البركة والتبرك

من ذهبيات الحافظ الذهبي

قراءة عابرة في سير أعلام النبلاء

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م

تقدمة

الحمــد لله، وســلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد فهذه فوائد جليلة، وشوارد نفيسة، تشد إليها الرحال؛ لما فيها من الدرر الغوالي، ولأنها صدرت من إمام، حافظ، ناقد، بصير عارف، مؤرخ، محقق، عالم صالح؛ هو الإمام أبو عــبد الله محمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، المولود سنة ٦٧٣ هــ والمتوفى سنة ٧٤٨ رحمه الله تعالى، وقدّس روحه، وأسكنه فسيح جنانه، وقد التقطت هذه الفوائد والنفائس من كتابه العجاب « سير أعلام النبلاء »، وهو من آخر ما كتبه رحمه الله تعالى.

وقد احتوى هذا الكتاب الجليل على فوائد مهمة في شتى أنواع العلوم، فهو روضــة فــيها فوائد متنوعة، في القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والسلوك، والتاريخ والأدب واللغة، وغيرها من النفائس التي تقر بها عين طالب العلم، بل وتقر بها عين كل مسلم.

ولجلالــة الحــافظ الذهبي، وكونِ كلمته لها موقع في قلوب العلماء وطلاب العــلم، وتحقــيقاتِ الذهبي تقع في نفوس أهل العلم وقلوبهم موقع الإجلال والقــبول والاحترام -من أجل ذلك كله ولأمور أخرى- رأيت من الفائدة وخدمــة ديــن الله تعــالى أن أجمع الفوائد المنثورة من كتاب « سير أعلام النــبلاء»، وعزمت على إخراج المجموعة الأولى منها، وهي ما تتعلق بالبركة والتبرك، ومذهب الحافظ الذهبي فيه وموقفه منه .

وســـوف أخرج إن شاء الله تعالى بعد هذه المجموعة مجموعةً أخرى فيها ثناء الذهبي رحمه الله تعالى على السادة الصوفية الصالحين الأولياء العبّاد الذين أفنوا أعمـــارهم في العبادة، والذين اجتهدوا اجتهاداً كبيراً يعجز أقواننا اليوم على بلوغ عُشر ما بلغوه رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

وقد قسمت هذا الكتاب ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأدلة على البركة والتبرك من الكتاب والسنة.

الفصل الثاني: لمحة عن حياة الحافظ الذهبي رحمه الله.

الفصل الثالث: البركة والتبرك عند الحافظ الذهبي.

الخلاصة والنتيجة.

الخاتمة.

وتعمدت الإطالة في مناقب بعض الأئمة، فنقلت ثناء الذهبي عليهم، وثناء غيره من أهل النقد والمعرفة، وذلك لعدة أسباب:

١- الـــتعرّض لـــرحمات الله ونفحاته بذكر هؤلاء السادة، فقد ثبت عن الإمام الجليل سفيان بن عيينة وغيره أنه قال: عند ذكر الصالحين تـــنـــزل الرحمة. رواه أبو نعيم في الحلية (٧/٢٨٥).

وقـــال الإمـــام المرُّوذي في كتاب الورع (ص ٨٦): ذكرت لأبي عبد الله (أحمد بن حنبل) الفضيل وعُرِيَّهُ، وفَتْحَ الْمَوْصِلِيَّ وعُرِيَّه وصَبْرَه: فتغرغرت عينه وقال: رحمهم الله، كان يقال: عند ذِكر الصالحين تنـــزل الرحمة.

فَذِكْـــرُ هؤلاء وسِيَرُهم وحكاياتُهم تتنـــزل بها الرحمات، إضافة إلى ذلك

أن المسلم يأخذ منها الأخلاق والآداب، ويقوي بها إيمانه، قال الإمام الجليل أبو حنيفة رحمه الله: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم.

نقله الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٧/١) والقاضي عياض في ترتيب المدارك (٢٣/١).

وقال الإمام العابد مالك بن دينار رحمه الله: الحكايات تُحَفُ الجنة.

وقال العارف الجنيد رحمه الله: الحكايات جندٌ من جنود الله عز وجل، يقوي بها إيمان المريدين. فقيل له: هل لهذا من شاهد؟ قال: قوله تعالى: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾.

نقلهما الإمام ابن الجوزي في كتاب اللقط في حكايات الصالحين (مخطوط) أفاده العلامة الجليل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في «صفحات من صبر العلماء» (ص ١٨ الطبعة الخامسة).

٢- ليتبين القارئ أن هؤلاء الأئمة أهلٌ للتبرك بهم، وأهل لأن يَصِلُوا إلى مقام الولاية والقطبية والبدلية، كما ستقف عليه في محله.

٣-لبيان أن هؤلاء وَثَّقَهم أهل النقد والجرح والتعديل من علماء الحديث الذين لا يخافون في الله لومةَ لائم، ولا يُحابون في دين الله أحداً، فنراهم يوثقونهم ويثنون عليهم، ويُقِرُّون ما صدر منهم ومن غيرهم فيما يتعلق بالتبرك، ونحوه.

٤-لبيان مكانة هؤلاء السادة الصوفية عند الحفاظ والمحدّثين النقاد، فنراهم يوثقونهم ويثنون عليهم، ويتأدبون معهم، بل منهم من يتبرك بهم، كما

ستجده في هذا الكتاب.

وهــذه الفوائــد والحكايات الزائدة: مستفادة من سير أعلام النبلاء ومن غيره من كتب الأئمة الأعلام.

هــذا وقد اعتنيت بتوثيق النصوص التي نقلها الذهبي، قدر المستطاع، وما زدتــه عــلى كــلام الذهبي عبرت عنه بقولي: (قلت) وكتبت عند نهاية كلامي: (انتهى) بالحروف لا برمز: (اهـ). وقد أذكر الزيادة خلال كلام الذهبي وأضعه بين معقوفتين، أو هلالين.

وقد يقع تكرار لبعض النصوص، وهو أمر دعت إليه الضرورة والحاجة.

وأخــيراً نســأل الله تبارك وتعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لله الكريم، وأن يتقبلها بمنه وفضله، بجاه سيدنا ونبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وعلى آله وذريته وأزواجه الطيبين الطاهرين، وصحبه البررة المتقين، آمين آمين آمين.

الفصل الأول

الأدلة على البركة والتبرك من الكتاب والسنّة

تمهيد:

البركة هي النماء والزيادة. والبركة أيضاً الكثرة من كل ذي خير. والمبارك الذي يأتي مِن قِبَلِه الخير الكثير.

(لسان العرب لابن منظور ٣٩٥/١٠ و٣٩٦ وتفسير القرطبي ١/١٣).

وقد يُراد من التبرك التعظيم، فقد قَبّل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحجر الأسود. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطوف بالبيت ويستلم الركن (أي الحجر الأسود) بمحجنٍ معه ويقبّل المحجن (وهو عصا محنية الرأس). رواه مسلم (١٢٧٥). وقال نافع: رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده، ثم قبل يده وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله. رواه مسلم (١٢٦٨).

فاستنبط العلماء من ذلك جواز تقبيل كلّ ما هو مُعَظَّم، وكل من يستحق التعظيم، وكل ما له صلة بالمعظَّم. ومن التعظيم: تقبيل الحجر الأسود، أو أيّ شيء له علاقة به كالمحجن عندما يشار به إلى الحجر الأسود، أو اليد إذا أُشير بها إلى الحجر الأسود، ومن التعظيم: تَقبيلُ يدِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو أي جزء منه كشعره الشريف الطاهر، ومن التعظيم: التبرك به صلى الله عليه وآله وسلم أو بأي جزء منه، أو بأي أثر من آثاره. وكذلك الحال في السادة الصالحين نفعنا الله بهم؛ فِعْلُ هذا كله يدل على التعظيم، والتعظيمُ يصدر

مـــن المسلم امتثالاً لأمر الله في تعظيم حرمات الله، وطلباً لرضاه والثواب منه تعـــالى. فالتقرب إلى الله تعالى حاصل بالتبرك، لأنه تعظيم ولأنه طلب للخير من الموارد المشروعة.

إذن فالتـــبرك هو طلب الخير الكثير، كطلب الشفاءِ من الله تعالى عن طريق إنســـان مسلم صالح مبارك لمكانته الرفيعة عند الله، فالذي يتبرك بالأنبياء أو الصالحين أو بآثارهم إنما يطلب الخير الكثير من الله تعالى عن طريق هذا النبي أو هـــذا الإنســـان المســـلم الصالح، أو عن طريق أثر من آثارهم كما كان الصـــحابة يفعلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبآثاره، يتقربون إلى الله بالتبرك به وبآثاره.

وكذلـــك يكـــون التـــبرك عن طريق أيّ وسيلة مشروعة كالحجر الأسود، والبقاع المباركة التي خصها الله تعالى بمزيد فضل على غيرها.

قال الشيخ أحمد بن خالد السلاوي المغربي في كتاب «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» (٢٠٩/١):

واعلم أن التعلق بأولياء الله رضي الله عنهم يجب أن يكون مع استحضار أن الله تعالى هو المطلوب على الحقيقة والفاعل للأشياء كلها، لا معبود غيره ولا مرجو سواه، **وإنما التمسك بأهل الله لأجل التبرك بهم، والاستشفاع بهم إلى الله تعالى، لأنهم أبواب الله والدالون عليه، نفعنا الله بهم وأفاض (علينا) من**

يعتقد أن الشافي هو الله تعالى؛ كذلك من يتبرك بالأنبياء والأولياء يجب عليه أن يعـــتقد أن الضار والنافع والمعطي والمانع هو الله تعالى. فمن يُحَرِّمُ التبرك يلـــزم علـــيه أن يُحَرِّم أَخْذَ الدواء سداً للذريعة، أي لئلا يعتقد الناس بفعالية الدواء دون اعتقاد أن الله هو وحده الشافي.

ولو أصر القوم على تحريم التبرك فإصرارهم على تحريم الدواء يجب أن يكون أولى وألزم، لأن عامة الناس اليوم يتجرعون الدواء، ولا يخلو إنسان على وجه الأرض إلا ويأخذ الدواء قليلاً أو كثيراً. ولماذا نذهب بعيداً؟ فإن الناس كلهم يـــأكلون ويشـــربون، بعكس التبرك فإن القلة القليلة من المسلمين يتبركون، بالمقارنـــة مع عددهم الكبير، فعلى هذا يجب أن يُحرِّم القوم الدواءَ والطعام والشراب سداً للذريعة، وحفظاً لإيمان الأمة من الشرك، وهو اعتقاد أن الدواء يضـــر وينفع من دون الله وأن الطعام والشراب هو الذي يُشبِع من دون الله.

هذا كله على مفهوم المعترضين على التبرك، لا على مفهوم العقلاء، وأئمة الإسلام الذين يقولون بجواز التبرك، وأنه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وأنـــه لا يتنافى مع الإيمان، فإن المسلم الموحد لا يؤثر في عقيدته التبرك ولا تجَـــرُّع الـــدواء ولا تناوُلُ الطعام والشراب، فإن هذا المسلم منحدر من أُمّة موحـــدة، فـــأبوه النبي إبراهيم عليه السلام قال فيما حكى الله عنه: ﴿الذي خلقـــني فهـــو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والـــذي يميتني ثم يحيين﴾. فهو مؤمن موحد، يأكل ويشرب ويأخذ الدواء،









رواه مسلم في صحيحه (٢٠٦٩).

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (١٤/٤٤): وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم. انتهى.

وقال سهل بن سعد رضي الله عنه: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببردة ... فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه. فأخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها. فقال: « نعم ». فلما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لامه أصحابه قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذها محتاجاً إليها، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئاً فيمنعه. فقال: **رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أكفّن فيها.**

رواه البخاري في صحيحه (٦٠٣٦) وانظر رقم (١٢٧٧).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/١٤٤): **فيه التبرك بآثار الصالحين**...وقال بعض الشافعية: ينبغي لمن استعد شيئاً من ذلك (أي من لمن جهز قبره وكفنه قبل موته) أن يجتهد في تحصيله من جهة يثق بحلها أو من أثرِ من يعتقد فيه الصلاح والبركة. انتهى.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت فقيل لها هذا: النبي صلى الله عليه وآله وسلم نام في بيتك على فراشك. قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على

الفـــراش ففتحـــت عتيدها (أي صندوقها الصغير الذي تجعل فيه ما يعز من متاعها) فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قوارّيرها ففزع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما تصنعين يا أم سليم؟». فقالت: يا رسول الله **نرجو بركته لصبياننا. قال: « أصبت »**.

رواه مسلم (٢٣٣١ مكرراً).

وقال عثمان بن عبد الله بن موهب: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء - فقبض إسرائيل (راوي الحديث) ثلاث أصابع- من قُصّة فيه شعر من شعر الـــنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، **وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ أو شيء بعث إليها مخضبة، فاطلعتُ في الجلجل (مثل الجرس) فرأيت شعرات حمرا.**

رواه البخاري (٥٨٩٦).

وعـــن السيدة كبشة الأنصارية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل علـــيها وعندها قربة معلقة، فشرب منها وهو قائم، **فقطعت فم القربة تبتغي بركة موضع في (أي فم) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.**

رواه الترمذي (١٨٩٢) وابن ماجه (٣٤٢٣)، وإسناده صحيح.

وعـــن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل على أم سليم وفي البيت قربة معلقة فتـــناولها فشـــرب من فيها وهو قائم قال: **فقطعت أم سليم فم القربة فهي عندنا.**

رواه أحمد (٤٣١/٦) والترمذي في الشمائل (٢١٦) و الضياء في المختارة (٧/ ٢٩٥).

والنصـــوص كثيرة جداً، قال الدكتور الشيخ عيسى المانع الحميري في كتابه

التأمل في حقيقة التوسل (ص٤٥٢): التبرك لا يتحقق إلا من خلال الذوات، وهذا أمرٌ **طفح به الكتاب وقاضت به السنة**، كما هو في تابوت بني إسرائيل وقميص يوسف عليه السلام وآثار الأنبياء والمرسلين، وآثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شعر وأظافر ودم وعرق وجبة وقميص ونعل وغير ذلك. انتهى.

فهذه النصوص الصحيحة الصريحة في إثبات التبرك فَهِمَ منها السادةُ الفقهاء الحفاظ الأعلام جوازَ التبرك بالسادة الصالحين قدس الله سرهم.

وقد ذهب قوم لا تقوم بمذهبهم الحجة إلى أن التبرك خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاص بحياته!!!

وهذا التخصيص بنوعيه: باطل بدعة، لم يقل به أحدٌ من السلف، ولا المعتبرون من الخلف، وذلك لأن نصوص التبرك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عامة ولا يجوز تخصيصها إلا بدليل من الكتاب أو السنة، ومن زعم أنها مخصوصة و لم يأت بدليل مخصص فقد أخطأ.

وكذلك من زعم أن التبرك خاص بحياته صلى الله عليه وآله وسلم فقد أخطأ، وليس لقوله دليل إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، ولو أن التبرك وسيلة إلى الشرك لمنعهم سيد الموحدين رسول الله ﷺ، ولما أقرهم على ذلك، بل ولما لبى طلب بعضهم في ذلك، فإنه ﷺ شرع التبرك، وهو يَعْلَم ﷺ أن هذا ليس من وسائل الشرك، لأن المتبرِّك مسلم مؤمن بأن الضار والنافع هو الله تعالى، وما تبرك المسلم بمن هو أهلٌ للتبرك إلا لمكانته من الله تعالى، كرسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، ومن بعدهم من السادة الكرام.

فنحن المسلمين الموحدين نعتقد بأن الضار والنافع هو الله وحده. وإننا نتبرك

بالصالحين لمكانتهم ومنـــزلتهم عند الله تعالى، وإن النبي صلى الله عليه وآله وســـلم سيد الأنبياء والصالحين، والتبرك به لمكانته ومنـــزلته من الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لم تنقص مرتبته ولا منـــزلـــته ولا درجته، بل إن مقامه ما زال يزداد ويرتقي، فقد قال الله تعـــالى: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾. والصلاة عليه من الله وملائكته: مستمرة لا تنقطع، وذلك يجعله يزداد ويرتقي إلى العلى والدرجات الرفيعة، ومازال المسلمون منذ فجر الإســـلام يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويدعون له صلى الله علـــيه وآله وسلم، وسيبقون إلى قيام الساعة، وهذا كله يزيد في مقامه العالي الرفيع الشريف.

ثم إن الـــنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الحديث الصحيح: «إذا مات ابـــن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء والصالحين، وسيد العبّاد، وسيد العلماء، ومازال نسله الصالح باقياً لا ينقطع إلى يوم القيامة.

وهـــو صلى الله عليه وآله وسلم الذي نشر العلم والفضيلة وأسلم على يديه وبســـببه وبدعوتـــه الألـــوف المؤلفة بل المليارات، فهم جميعاً بصحيفته وله النصيب الأوفى من الأجر.

وهـــو القائل صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنةً فلَهُ أَجْرُهَا وأجرُ من عمِلَ بِها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

رواه مسلم (١٠١٧ مكرراً).

وفي روايــــة: «مـــن سن سنة صالحة في الإسلام فعُمل بها بعده كان له مثل أجورهم من غير أن ينتقص من أجورهم شيء».

رواه أحمد (٥١٩/٣١).

وفي رواية: «من سن سنة هدى فاتُّبع عليها كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

رواه أحمد (٣٢٦/١٦).

فالســـنن الحسنة والصالحة والهدى: التي سنها رسول الله صلى الله عليه وآله وســـلم لا تعــد ولا تحصى، وما زال الناس يعملون بها، وله من ذلك الأجر العظيم الذي لا ينقطع إلى يوم القيامة.

إذن فالـــنبي صـــلى الله علـــيه وآله وسلم مازال مقامه في ازدياد، وما زالت منـــزلـــته في ارتقـــاء، فالتبرك به وبآثاره في حياته وبعد انتقاله إلى الله تعالى جائز. **ومن فَرّق بين** التبرك به أو التوسل به في حياته، **وبين ذلك** بعد انتقاله: فإنه يخشى على إيمانه، لأن هذا التفريق يوحي بنسبة التأثير للمخلوق، من نفعٍ أو ضـــرٍ، وهذا التفريق هو الوسيلة إلى الشرك **لا التوسل والتبرك**. والحقُّ أن الضار والنافع هو الله تعالى، والمتَبَرَّك به، أو المتوسَّل به لا يضر ولا ينفع، وإنما يُتَبَرَّك به لمكانته عند الله، وهذه المكانة ثابتة مستمرة في الحياة وبعد الممات.

ولذلك لم يثبت عن أحد من الصحابة ولا من السلف أنه أنكر التبرك بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم ، بل ثبت عنهم رضي الله عنهم أنهم تبركوا بآثاره

واحـــتفظوا بها، فمن ذلك ما تقدم نقله قبل قليل من الأحاديث الصحيحة.
وكتب الحديث طافحة بمثل هذا عن الصحابة والتابعين.

وكذلك الحال في السادة الصالحين رضي الله عنهم لا فرق في التبرك بهم بين الحياة وبعد الممات، لأن مقامهم بعد مماتهم لم ينقص، بل مقام الكثير منهم في ازدياد، فمنهم من نشر العلم وخلّف علماً كثيراً وأنشأ طلاباً، ومنهم خلف ولـــداً صـــالحاً يدعو له، ومنهم من ترك صدقة جارية، وكل ذلك يزيد في الأعمال ويرفع الدرجات، فالتبرك بهم في حياتهم وبعد مماتهم سواء.
وعـــلى هذا درج السلف والخلف، فهم يتبركون بالصالحين وبآثارهم أحياء وأمواتـــاً، ولا يفرقون بين حياتهم وبعد مماتهم كما يفرق القوم بلا دليل ولا حجة سوى الأوهام والتخيلات والوساوس.
والأخبار عن السلف والخلف في التبرك مستفيضة متواترة لا تكاد تحصى، ولا ينكرها إلا جاهل متنطع، أو عالم مكابر صاحب هوى يتبع هواه.
ومـــن الحُفّاظ والنقاد الذين أثبتوا التبرك عن السلف والخلف الحافظ الذهبي رحمه الله وسيأتي النقل عنه في ثنايا هذه المجموعة المباركة.

التبرك عند السادة الحنابلة

وأرى من الفائدة أن أنقل بعض النصوص التي تثبت التبرك بالصالحين وآثارهم في حياتهم وبعد مماتهم، وأجعل هذا النقل عن غير الحافظ الذهبي؛ ليكون ذلك دلـــيلاً على استفاضة مشروعية التبرك بالصالحين وآثارهم عند أئمة الإسلام المعتـــبرين مـــن هذه الأمة المحفوظة من الإجماع على الخطأ، فلم يكن الذهبي

رحمه الله أوحدياً في ذلك، **وسأركز في النقل على السادة الحنابلة**؛ لأن لهم مكانة ومنـــزلة عند القوم، وكلامهم أوقع في نفوسهم من غيرهم.

قال الإمام العلامة الفقيه ابن الجوزي الحنبلي في مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص ٤٨٣): أنبأنا محمد بن أبي منصور، عن أبي علي الحسن بن أحمد الفقيه، قـــال: لمـــا ماتت أم القطيعي دفنها في **جوار أحمد بن حنبل**، فرآها بعد ليال فقالت: يا بني، رضي الله عنك، فلقد دفنتني في جوار رجل ينـــزل على قبره في كل ليلة، أو قالت: في كل ليلة جمعة: رحمة تعم أهل المقبرة، وأنا منهم.

قـــال أبو علي (أي الحسن بن أحمد الفقيه): وحكى أبو ظاهر الجمال شيخ صالح قال: قرأت ليلة وأنا في مقبرة أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿ فمنهم شقي وســعيد ﴾، ثم حملـــتني عيني، فسمعت قائلاً يقول: **ما فينا شقي والحمد لله ببركة أحمد**. انتهى.

وسيأتي أن الحافظ المتقن الورع التقي الولي عبد الغني المقدسي صاحب الكمال، قد تبرك واستشفى بقبر الإمام أحمد فشفاه الله تعالى، انظر (ص١٩٨).

وقال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة (٣/٩٥-٩٦) في ترجمة الإمام محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق المقرئ الزاهد الصالح المتوفى سنة ٤٩٩ هـــ : قال ابن الجوزي: كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهد المتعبدين، وكان له وِرْدٌ بين العشاءين، يقرأ فيه سبعاً من القرآن قائماً وقاعداً، حتى طعن في السن.

وقال ابن ناصر عنه (وهو من أعلام الحنابلة): كان شيخاً صالحاً زاهداً صائماً أكثر وقته، **كراماته ظهرت له بعد موته**.

ثم قال ابن رجب (٩٧/٣): وقال أبو منصور ابن خيرون: ما رأيت مثل يوم صلي على أبي منصور الخياط من كثرة الخلق **والتبرك بالجنازة**.

وقال السِّلفي: ذكر لي المؤتمن في ثاني جمعة من وفاة أبي منصور أن اليوم ختموا على رأس قبره مائتين وإحدى وعشرين ختمة. انتهى.

ونقل الحافظ الكبير ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/١٤١-١٤٢) عن الحافظ المؤرخ الثقة الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: أنه لما توفي الحافظ ابن تيمية بقلعة دمشق، بالقاعة التي كان محبوساً بها: حضر جمع كثير إلى القلعة، وأُذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤوا القرآن، **وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك**، ثم انصرفن واقتصروا على من يغسله.

ثم قال: **وشرب جماعة الماء الذي فضل من غُسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غُسل به، ودُفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل: مائة وخمسون درهماً.**

وقيل: إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمس مائة درهم. وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير، وتضرع، وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد، **وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون**، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة، ورثاه جماعة بقصائد جمة. انتهى باختصار.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة (٢٧/٤) في ترجمة الإمام الحافظ العابد عبد الغني المقدسي الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٦٠١ هـ، نقلاً عن

تلميذه وقريبه الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي الدمشقي الحنبلي قال: سمعت الحافظ أبا موسى ابن الحافظ عبد الغني يحدث عن رجل بدمياط قال: كنت يوماً عند الحافظ (عبد الغني المقدسي) فقلت في نفسي: **كنت أشتهي لو أن الحافظ يعطيني الثوب الذي يلي جسده حتى أكفن فيه.فلما أردت القيام قال: لا تبرح. فلما انصرف الجماعة خلع ثوبه الذي يلي جسده وأعطانيه.**

قال: فبقي الثوب عندنا، وكل من مرض أو وجع رأسه تركوه عليه حتى يبرأ بإذن الله تعالى. انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب أيضاً (١٠٧/٤) عن الحافظ ضياء الدين المقدسي قال: سمعت الإمام الحافظ أبا إسحاق إبراهيم بن محمد العراقي يقول: ما رأيت الحديث في الشام كله إلا **ببركة الحافظ عبد الغني**. انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب أيضاً (١٤/٤) والحافظ ابن عبد الهادي الحنبلي في طبقات علماء الحديث (١٥٣/٤) عن الحافظ الضياء المقدسي قال: سمعت أبا الثناء محمود بن سلامة الحراني بأصبهان قال: **كان الحافظ (عبد الغني) بأصبهان يصطف الناس في السوق فينظرون إليه.**

قال الضياء: وسمعته يقول: لو أقام الحافظ بأصبهان مدة وأراد أن يملكها لملكها. يعني من حبهم له ورغبتهم فيه. **ولما وصل إلى مصر أخيراً كنا بها فكان إذا خرج يوم الجمعة إلى الجامع لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق يتبركون به ويجتمعون حوله**.انتهى.

وقال الحافظ ابن عبد الهادي أيضاً (١٥٤/٤): قال الضياء: **وكنا بمصر نخرج معه**

إلى الجمعة فلا نقدر نمشي معه من زحمة الناس يتبركون به، ويجتمعون حوله. انتهى.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد (٢/٦٧) وابن أبي يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة (٢/٦٣) وابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد (٢/٢٥٤) وابن الجوزي في المنتظم (١٣/ ٢٥٢) والعليمي الحنبلي في المنهج الأحمد (٢/٢١٣) في ترجمة علي بن محمد بن بشار الزاهد العارف الولي الصالح شيخ الحنابلة المتوفى سنة ٣١٣هـ: **دفن بالعقبة وقبره إلى الآن ظاهر معروف يتبرك الناس بزيارته.** انتهى.

وقد علق حامد الفقي على هذه العبارة (يتبرك الناس بزيارته) فقال في تعليقه (بل شؤمه) على كتاب طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى:

(لا حول ولا قوة إلا بالله، إن التبرك بزيارة القبور هو الشرك..). انتهى كلام الفقي.

قلت: بفيك الحجر!! فقد اتهمت بالشرك: علماء الأمة وأعلام الدين وسادات العلماء !!! فالحافظ أبو بكر الخطيب والعلامة الفقيه المحدث ابن أبي يعلى والعلامة الفقيه ابن مفلح الحنبلي والحافظ الفقيه ابن الجوزي والعلامة العليمي، وأمثالهم يقررون الشرك عند الفقي !!! بل يفتون به على زعم الفقي، فقد ثبت عن الإمام أحمد فتوى سوف يضرب الفقي وأشياعه رؤوسهم بالحائط غيظاً منها، قال عبد الله ابن الإمام أحمد لأبيه: **سألته عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويتبرك بمسه، ويقبِّله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، أو نحو هذا؛ يريد بذلك التقرب إلى الله عز وجل ؟ فقال: لا بأس بذلك.** انتهى نصه بحروفه من كتاب العلل (٢/٣٢ رقم٢٥٠

ط المؤسسة الثقافية، و٢/٤٩٢ رقم ٣٢٤٣، طبعة المكتب الإسلامي).

وهؤلاء المذكورون آنفاً الإمام أحمد والخطيب وابن أبي يعلى وابن الجوزي وابن مفلح والعُليمي كلهم عند الفقي مشركون أو يدعون إلى الشرك أو يقررونه للأمة؟!!

وقال ابن أبي يعلى في الطبقات (٢/٢٥٥): أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد العلثي أحد المشهورين بالصلاح والزهد، صحب الوالد السعيد سنين يسمع درسه والحديث منه، **فعادت بركته عليه** فصار عالماً زاهداً عابداً فظهر له في الناس القبول والمحبة وإجابة الدعاء. انتهى.

وقال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/٣٨٧-٣٨٩): أنبأنا الوالد السعيد قدس الله روحه قال: أخبرنا علي العكبري قال: قرأت على الحسن بن شهاب قال: أخبرنا يحيى الخصيب إجازة، حدثنا أبو بكر السكري، أخبرنا الحسن بن خليل بن أحمد المصري، حدثنا محمد بن علي البصري الصفار، عن بعض الصالحين من أهل عَبّادان وحلّفني أن لا أخبر باسمه، أنه قدم إلى بغداد سنة أربعين وثلاث مائة شوقاً منه إلى زيارة قبر أحمد بن حنبل وقبر معروف (الكرخي)، وأنه زار قبر معروف في يوم السبت. قال: ففرحت فرحاً شديداً لما رأيت من كثرة الناس وجمعهم، **وإظهار السنة**. فلما قضيت زيارتي، ومضيت من وقتي إلى قبر أحمد: لم أصادف عند قبره إلا الواحد بعد الواحد. فاغتممت عند ذلك غماً شديداً، ثم إني رأيت إنساناً، وكأن قلبي أَنِسَ إليه دون الجماعة ممن حضر، فأطلعته على ما في نفسي من جهة قبر معروف وقبر أحمد بن محمد بن

حنبل. فقال: إن زيارة هذا القبر يوم الإثنين. قال: فرجعت إليه يوم الإثنين فلم أر عند قبره عشر الذي رأيته عند قبر معروف. ولقيت ذلك الرجل بعينه، فعاودته بسبب الزيارة. فقال: إن قبر أحمد بعيد، وليس ينشط إليه كل إنسان. فكأن قلبي سكن إلى ذلك من كلامه. ورجعت سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة إلى عَبّادان، فبينما أنا ذات ليلة قائم في وردي لأقضيه، إذ حملتني عيناي فنمت وأنا جالس، فرأيت رجلاً جميلاً عليه ثياب بيض، وحوله جماعة من الشيوخ يعظمونه، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل. فدنوت منه، فسلمت عليه، وأردت أن أسأله عن زيارة قبره وقبر معروف. فقال لي: يا فلان، كأني بك تريد أن تسألني عن زيارة قبري وقبر معروف؟ فقلت: قد كان ذلك يا أبا عبد الله. فقال لي: إن أخي معروفاً رحمه الله كان أشد الناس بغضاً لليهود عليهم لعنة الله، وكان قد ألزم نفسه أن يصلي في كل يوم سبت مائة ركعة يقرأ في كل ركعة عشر مرات ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى أن يعلم أن اليهود قد انصرفوا من كنائسهم، غيرة لله عز وجل وتعظيماً وتنـــزيهاً. قال: فلذلك نشر الله له هذا العلم الذي رأيت كل سبت. ثم قال: يا فلان، تعرفه؟ فقلت؟ لا والله.

قال: فالتفت عن يميني. فإذا برجل أنضر الناس عليه ثياب بياض. فقال: هذا معروف، فسلم عليه، فسلمت عليه، وخلوت به. فقال: يا فلان، لا أكبر في عينيك، لما رأيت من كثرة الزيارة عند قبري، ولا يصغر أبو عبد الله في عينيك لما رأيت من قلة الناس عند قبره. **فإنه ما من يوم وليلة إلا ويدخل الله ببركته الجنة ما لا يحصى من الناس كثرة.**

ثم سلمت مودعاً، فقال لي أحمد: قم يرحمك الله، لا يفوتك وردك. فانتبهت والحمد لله. انتهى.

وقال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/٢٣٤): أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي، أحد الفقهاء العقلاء والمناظرين والأذكياء .... مات بآمد سنة سبع أو ثمان وستين وأربع مائة، **وقبره هناك يُقصد ويُتبرك به**. انتهى.

وقال العلامة ابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد (٢/٢٥٣) والعلامة العليمي الحنبلي في المنهج الأحمد (٢/٣٨٢)، في ترجمة علي بن محمد المذكور: **وقبره هناك مقصود بالزيارة**. انتهى.

ولا تلتفت إلى ما كتبه المعلق على طبقات الحنابلة والمقصد الأرشد، بأنه من الشرك، وأعمال الوثنية، فإن هؤلاء لا يدرون ما يخرج من رؤوسهم، وقد أدرج هؤلاء في الشرك: أعلاماً نبلاء. وتكفيرُ الأمة الموحدة من عادة الخوارج.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في الذيل (٤/١٦٤) والعلامة ابن مفلح في المقصد الأرشد (١/١٤٥) والعلامة العليمي في المنهج الأحمد (٤/١٧٩): أحمد بن علي بن أحمد الموصلي الفقيه الزاهد.

قال ابن الساعي: كان شيخاً صالحاً كثيرة العبادة يعتقد فيه **ويتبرك به**، أماراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر. انتهى.

وقال الحافظ المؤرخ محب الدين ابن البخاري: أحمد بن مهلهل بن عبيد الله البرداني المقرئ الزاهد الضرير كان منقطعاً في مسجده لا يخالط أحداً مشتغلاً بالله تعالى وكان الإمام المقتفي يزوره، وكذلك وزيره ابن هبيرة. **والناس كافة يتبركون به.**

انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٣/٢٣٧) والمقصد الأرشد لابن مفلح الحنبلي (١/١٩٧) والمنهج الأحمد للعليمي الحنبلي (٣/١٥٨) وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٦/٢٨٤).

وقد كان البرداني هذا يصلي في كل يوم أربع مائة ركعة (كما في المصادر السابقة).

وقال الحافظ ابن رجب في الذيل (٤/٣٢٩): إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي الصالحي، الفقير الزاهد الشيخ العابد شيخ الإسلام، **بركة الشام قطب الوقت**... انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب في الذيل على الطبقات (٣/٦٠) في ترجمة المفسر الحافظ الصوفي الواعظ عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١ هـ نقلاً عن الحافظ عبد القادر الرُّهاوي قال: **وقد رأيت كرسي شيخ الإسلام (عبد الله بن محمد الأنصاري) قليل المراقي في زاوية من جامع هراة، والناس يتبركون به.** انتهى.

وقال ابن رجب في الذيل (٣/١٧٣): قال ابن النجار: محمد بن علي بن عبيد الله المقرئ الزاهد، كان مشهوراً بالصلاح والدِّين، درس الفقه على الشريف أبي جعفر وصحبه، وانتفع به جماعة قرؤوا عليه **وعادت عليهم بركته**. انتهى.

وقال الإمام الحافظ الثقة الضابط المتقن العدل ضياء الدين المقدسي الحنبلي، في

أحوال الإمام العالم الفقيه المقرىء المحدث، شيخ الإسلام الزاهد القدوة، الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد المقدسي الدمشقي الحنبلي رحمه الله تعالى:

ذكر بركة كتبه ورقاعه

سمعت الشيخ الزاهد العابد أبا أحمد نصر بن سليمان **المجاب الدعوة يقول: كتب لي الشيخ أبو عمر كتابين، فكنت على أي شيء تركتها من الأمراض يبرأ بإذن الله تعالى**. أو ما هذا معناه.

وسمعت أحمد بن عبد الرحمن بن بلال المقدسي يقول: **ما رأيت مثل كتب الشيخ أبي عمر، كنت آخذ الكتاب من وقت ما أعلقه عليّ تخليني الحمى.**

وقد سمعت أن الناس كانوا يأتون إليه يقولون: اكتب لنا إلى فلان، يعني بعض الأمراء فيقول: أنا لا أعرفه فيقال: **إنما نريد بركة رقعتك**. فيكتب إلى ذلك، فيقبل رقعته وإن كان لا يعرفه.

وسمعت أبا عثمان يوسف بن أُحيمدان يقول: لما حوصرت دمشق زمن حصرها المسلمون لم يبق بدمشق معاش، فأخرجت ثلاثة أحمال أكسية، فنهب منها حملان وبقي حمل، فلما رجعت إلى البلد غُمز عليّ فطالبوني بسبعين درهماً، فجئت إلى الشيخ رحمه الله فحكيت له القصة وقلت: تكتب لي رقعة؟ فقال: أنا لا أعرف فلاناً، يعني الذي يأخذ منك. فقلت: **أنا أريد بركة خطك**. **فكتب لي رقعة فمضيت بها إليه، فلم يأخذ مني شيئاً.**

وقال الحافظ الضياء أيضاً: **ذكر بركة دعائه**

وسمعت الشيخ الزاهد أبا أحمد خضر بن محمد بن سليمان المرداوي بها يقول:

خرجنا من دمشق جماعة، يعني على زمان الفرنج خذلهم الله، نريد التوجه إلى أرض نابلس، فرافقنا جماعة معهم جمال، فأخذوا أصحاب الجمال ونحن معهم لم يتعرض لنا، وكان معنا قماش وغير ذلك. قال: فعرفت أن سلامتنا **ببركة دعاء الشيخ أبي عمر لنا**. أو نحو ذلك.

وقال الحافظ الضياء أيضاً: **ذكر بركة الطعام عند حضوره**

سمعت الفقيه الإمام الزاهد أبا عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أحمد بأرض الجزيرة يحدث عن أمة أم يحيى بنت إسماعيل بن أحمد قالت: لما جئنا من تلك البلاد سكنا في الدير، فعملنا ليلة في صحنٍ فطيرةً بسمن وقلت لأبي يحيى: لو قلت لابن عميّ، تعني الشيخ أبا عمر: يجيء إلينا، قالت: فجاء فأبصر الصحن، فرأيته قد جعل أصبعه فيه ثم غطاه وقال: اُدعوا أهل الدير فدعوناهم، فلقد أكل منه أهل الدير وفضل ما فرقنا منه.

وهذا معنى ما سمعته منه.

وسمعت الإمام أبا محمد عبد الله ابن الشيخ أبي عمر قال: حدثني ابن الصوري صديق والدي قال: جئنا يوماً إلى الوالد ونحن جياع، وكنا ثلاثة فأخرج لنا سُكُرُّجَّة (أي إناء صغير) فيها لبن، وسُكُرُّجة فيها عسل وكسيرات، قال: فأكلنا وشبعنا، ثم نظرت إليه كأنه لم يتغير ولم ينقص.

وقال الحافظ الضياء أيضاً: **ذكر زيارة الناس له**

كان العلماء والزهاد والفقراء والسلاطين والأمراء والقضاة يأتون إلى زيارته ويتبركون به.

ولقد رأيت ناساً قدموا من سنجار، ذكروا أنهم **لم يقدموا إلا لزيارته**.

وسمعت الشيخ أبا العباس أحمد بن سلامة بن أحمد النجار، أن الفقيه أبا محمد عبد الرزاق بن أبي الفهم حدثه أن رجلاً **مغربياً جاء من الغرب** إلى زيارة الشيخ أبي عمر وذكر أنه **لم يأتِ إلا لذلك حسب**. انتهى.

انظر مناقب الشيخ أبي عمر المقدسي، للحافظ ضياء الدين المقدسي الحنبلي (ص ١٥-٥٥ و٧٠ و٨٠-٨٤). وانظر مزيداً من أحوال الشيخ أبي عمر في (ص١٩٩-٢٠٤)، من كتابنا هذا.

وقال العلامة ابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١١٢/١): أحمد بن سالم بن أبي عبد الله بن سالم بن أبي الفتح بن حسن بن قدامة...قال الحافظ الضياء: كان يحفظ كثيراً من الأحاديث والفقه، وكان ثقة ديناً خيراً، كثير النفع قليل الشر، لا يكاد أحد يصحبه إلا ينتفع به. ويقال: **إن من أخذته الحمى فإنه إذا علق عليه من تراب قبره يبرأ بإذن الله تعالى**. مات سنة إحدى وستمائة بزرع.

وقال ابن مفلح أيضاً (٣٢٧/٢): كرم بن بختيار بن علي البغدادي الرصافي... قال الناصح ابن الحنبلي: سمعت منه جزءاً بقراءة الشيخ طلحة العلثي قال: وزرته مرة وهو مضطجع على جنبه والفقيه ابن فضلان الشافعي عنده يزوره، **فأخذ بيد الشيخ كرم يُقَبّلها تبركاً**، وكان زاهداً منقطعاً في الرصافة. وقال القطيعي: كان زاهداً سريع الدمعة كثير العبادة، وفي بعض الأوقات يصدر منه كلمات على خاطر الحاضر عنده. كان أحد الشيوخ الموصوفين بالصلاح. توفي سنة ٥٧٩ هـ. ودفن بمقبرة الإمام أحمد في دكة بشر الحافي.

وقال ابن مفلح أيضاً (٤٢٧/١-٤٢٨): سعد بن عثمان بن مرزوق الفقيه... وحصل له القبول التام من الخاص والعام وكان ورعاً زاهداً عابداً، **رأى رجل**

في بغداد النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: **لولا الشيخ سعد نزل بكم بلاء**. أو كما قال. ثم سعى الشيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام، **فانعكف الناس عليه يتبركون به، وازدحموا فرموه مرات**.

قال القادسي: هو أحد الزهاد **والأبدال الأوتاد ومن تشد إليه الرحال**... وكان كثير البكاء والخشوع، مات سنة ٥٩٢ هـ ساجداً في صلاته.

وقال العلامة ابن الجوزي في كتاب «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٢/ ٣١١): **باب ذِكْرُ بقاعٍ بالمدينة يستحب زيارتها والتبرك بها والصلاة عندها**.

ثم ذكر مسجد سيدنا النبي ﷺ، والروضة، ومسجد قباء ومسجد الفتح وخاصة موضع الأسطوانة الوسطى، وما حوله من مساجد، ومساجد أخرى منها مسجد بني ظفر، قال ابن الجوزي: وفي هذا المسجد **حجر جلس عليه رسول الله ﷺ، فقلَّ امرأة يصعب حملها تجلس على ذلك الحجر إلا حملت**. (**وفي نسخة: وضعت**). ثم ذكر ابن الجوزي مواضع منها: بيت أنس ودار الشفاء، ثم قال: وفي مواضع أخرى يطول ذكرها فيستحب تتبعها لمن عرفها بالمدينة، ثم قال: وليزر جبل أحد ومن عنده من الشهداء، وليبدأ بقبر حمزة عليه السلام، وقد روى أبو مصعب عن العطاف بن خالد قال: حدثتني خالة لي وكانت من العوابد قالت: ركبتُ يوماً حتى جئت قبر حمزة، فصليت ما شاء الله، ولا والله ما في الوادي داعٍ ولا مجيبٌ، وغلامي آخذ برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قمتُ فقلت: السلام عليكم. وأشرت بيدي إلى قبر حمزة، فسمعت ردّ السلام من تحت الأرض؛ أعرفه كما أعرف أن الله سبحانه خلقني، فاقشعرتْ كل شعرة مني، فدعوت الغلام وركبت دابتي. انتهى.

الفصل الثاني

لمحة عن حياة الحافظ الذهبي رحمه الله

عصر الحافظ الذهبي:

كانت دمشق في نهاية القرن السابع الهجري ومطلع القرن الثامن مركزاً كبيراً من مراكز الحياة الفكرية؛ فيها العدد الكبير من المدارس العامرة، ودور الحديث والقرآن، قام بعمارتها والعناية بها حكام دمشق وأهل اليسر والفضل من أبنائها؛ ولا سيما نور الدين زنكي رحمه الله، وقد كانت العناية بالدراسات الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد هي السمة البارزة لهذا العصر.

الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام. د. عواد (ص ٧٥).

وفي هذه الآونة أسس الحكام (مثل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله) المدارس الخاصة بالمذاهب الفقهية، كمذهب الإمام الشافعي، ومدارس الحديث الشريف، واعتنوا بنشر عقيدة الإمام الأشعري، كذلك كان للحنابلة دور الحديث والفقه، وفي هذه الآونة كان التصوف منتشراً في أرجاء الأرض انتشاراً واسعاً، يعتنقه أكابر الحفاظ والفقهاء والمحدثين، من الذين اتفقت الأمة على جلالتهم وعدالتهم وعلمهم وثقتهم وأمانتهم، وفي هذه البيئة ولد الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي، فلم يكن معادياً للتيار العلمي الذي ولد فيه؛ سواء الفقهي أو الحديثي، أو السلوكي (التصوف)، بل كان موقفه معتدلاً، لا يقر الخرافة والشعوذة، ولا ينكر على الأئمة من أهل التصوف، بل يوافقهم

على كثير من أرائهم ومبادئهم، كما ستراه في ثنايا هذا الكتاب، وكما يراه الناظر المتأمل في كتبه التي من أهمها سير أعلام النبلاء، خلال تراجمه للسادة الصوفية الأخيار.

اسمه ولقبه: هو الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.

ولادته ونشأته: ولد سنة (٦٧٣ هـ)، بقرية كفر بطنا[1]، من قرى غوطة دمشق الشرقية.

عاش الذهبي بين أكناف أسرة علمية متدينة محافظة، وترعرع وهو طفل صغير بين أحضان العلماء والمربين والمرشدين، وكان أول ما تلقاه هو التربية والعناية بحفظ القرآن الكريم، ثم توجه إلى طلب العلم، فاعتنى بعلم القراءات وعلم الحديث الشريف، وفي سن الثامنة عشرة من عمره مال إلى علم الحديث ميولاً عجيباً، واعتنى به عناية فائقة، حتى ملأ تفكيره واستغرق حياته، فسمع على العلماء ما لا يحصى من الكتب، ولقي الكثير من الشيوخ والشيخات، ورحل إلى الآفاق والبلدان ليسمع الحديث ويتلقاه عن أهله، واستمر في طلب العلم ودراسته طيلة حياته.

---

[1] قرية كفر بطنا ما زالت موجودة عامرة بالعلم والثقافة، فيها العديد من طلبة العلم النوابغ، وقد ألف الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة (٥٧١ هـ) جزءاً عن علمائها المحدثين الذين حدّثوا بها سماه: حديث أهل كفر بطنا. وبلغني أن الأستاذ الباحث أديب الكمداني الدمشقي ألف تاريخاً عنها.

شيوخه وأقرانه:

اتصل الحافظ الذهبي بثلاثة أعلام من الأئمة في العلم وهم: أبو الحجاج المزي، وعلم الدين البرزالي وأبو العباس ابن تيمية. وكان الذهبي أصغرهم سناً، وهؤلاء شيوخ له وأقران في نفس الوقت، فقد كان بعضهم يقرأ على بعض. وقد كانوا من أئمة الشافعية ما عدا ابن تيمية فهو من أعلام الحنابلة. وأما **المذهب العقدي فالمزي كان أشعرياً، وقد كتب بخطه ذلك وأشهد على نفسه بأنه أشعري، كما قال تلميذه التاج السبكي في الطبقات (١٠/٢٠٠).**

وأمـــا الباقون فقد كانوا على مذهب كثير من السلف **(وليس كل السلف)** يمرون النصوص كما ثبتت، بلا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، فهم مُفَوِّضة[1].

وقـــد كـــانوا يجلـــون بعضهم البعض ويحترمون آراء بعضهم، ويثنون على بعضـــهم، ولم يمنعهم ذلك من أن ينتقدوا بعضهم نقداً علمياً، **فهذا الحافظ الذهبي يصرح بأنه يخالف شيخه ورفيقه ابن تيمية في مسائل تتعلق بأصول العقيدة وفروعها، وفروع الفقه.** كما في ذيل تاريخ الإسلام للذهبي (ص ٣٢٩).

مذهبه الفقهي والعقدي:

كان الذهبي على مذهب الإمام الشافعي في الفروع. وعلى مذهب كثير من السـلف في الأصـول والعقائد، فلا يرى التأويل في النصوص المتشابهة، **ولا ينكر على من يؤول بتأويل سائغ معتبر**، يرى ذلك واضحاً مَن نظر في كتبه

(1) إنما قلت: (وليس كل السلف) لأنه ثبت عن بعض السلف أنهم أولوا الأخبار الإضافية، فدائرة التأويل كانـت ضيقة في عصر السلف، وواسعة في عصر الخلف. انظر كتاب: «تصحيح المفاهيم العقدية» للدكتور الشيخ عيسى المانع الحميري أحد علماء الإمارات العربية، ففي كتابه تحقيق نفيس لهذه المسألة.

وبخاصة كتابه العظيم سير أعلام النبلاء، الذي ألفه في آخر حياته، ومن أراد أن يعــلم مذهبه في الأصول والفروع والسلوك (التصوف) فعليه بقراءة سير أعلام النبلاء.

قــال الذهبي في السير (١٤/٤٠) بعد كلامٍ عن مسائل في العقيدة: **(ولو أنا كــلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه وبدّعــناه وهجرناه: لَمَا سَلِمَ معنا لا ابن نصر ولا ابن منده، ولا من هو أكــبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة)**. انتهى. وما أكثر أهل الهوى والفظاظة اليوم ممن نصبوا أنفسهم للحكم على علماء الأمة من الأشاعرة والماتريدية.

وقــال الذهبي في السير (١٤/٣٧٥-٣٧٦): ولابن خزيمة عظمة في النفوس وجلالة في القلوب لعلمه ودينه واتباعه السنة. وكتابُه في التوحيد مجلد كبير، **وقــد تــأول في ذلــك حديث الصورة، فليعذر من تأول بعض الصفات**. وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل آمنوا وكَفُّوا وفوضوا علم ذلــك إلى الله ورســوله، **ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه. انتهى.**

مناصبه ونشاطه العلمي:

في سنة ٧٠٣ هـ تولى الذهبي الخطابة بمسجد كفر بطنا، وظل على ذلك إلى سـنة ٧٢٩، بقــي خطيباً نحو ٢٨ سنة. وفي سنة ٧١٨ ،تولى دار الحديث

بـــتربة أم صالح. وفي سنة ٧٢٩ ولي دار الحديث الظاهرية، و في سنة ٧٣٩ تـــولى تدريـــس الحديـــث بالمدرسة النفيسية وإمامتها، وفي هذه السنة باشر مشـــيخة الحديث في دار الحديث والقرآن التنكزية. وكان أيضاً شيخاً لدار الحديث الفاضلية.

وقـــد تـــولى الذهبي هذه المناصب في وقت واحد، فحينما توفي كان يتولى مشيخة الحديث في خمسة أماكن:

١- دار الحديث بتربة أم صالح.

٢- دار الحديث بالمدرسة النفيسية.

٣- دار الحديث التنكزية.

٤- دار الحديث الفاضلية.

٥- دار الحديث العروية.

مؤلفاته:

له من المؤلفات النفيسة والقيمة ما عجز عن مثلها من قبله ومن عاصره ومن أتى بعده، زادت تآليفه على المائتين، منها كتابه الواسع النفيس:

١- تاريخ الإسلام. ألفه في قرية كفر بطنا، انتهى من تأليفه سنة ٧١٤ هـــ، طبع في ٥٣ مجلداً.

٢- معجم الشيوخ. وهو كتاب نفيس ومفيد للغاية. طبع بمجلدين.

٣- **طـــرق حديـــث «مـــن كنت مولاه فعلي مولاه»**، أثبت الذهبي فيه أن الحديث صحيح. وهو كتاب مفيد للغاية لكنه مفقود.

٤- **محبة الصالحين**. وهو مفقود.

٥- <u>النصيحة الذهبية لابن تيمية</u>. طبعت. وهي صحيحة النسبة إليه، خلافاً لمـــن زعم أنها مزورة. وتوجد نسخة مخطوطة بخط العلامة المتقن ابن قاضي شـــهبة محفوظـــة في دار الكتب المصرية (رقم ١٨٨٢٣ ب) ونسخة في دار الكتب الظاهرية (رقم ١٣٤٧). وقد أثبتها وأثنى عليها الحافظ السخاوي في الإعلان والتوبيخ (ص٥٠٤).

٦- كـــتاب الكبائر. وقد طبع الكتاب قديماً عدة مرات، وكلها محرفة مزيد عليها ما هو خرافة ودسٌّ على الذهبي، حتى هيأ الله تعالى جماعة من أهل العلم المحققين، فعثروا على النسخ الصحيحة المعتمدة الخالية من الأحاديث الموضوعة والقصـــص الخرافية، فطبعت طبعة متقنة بالدار المتحدة، وبدار ابن كثير طبعة أقل إتقاناً من الأولى، وطبعت بدار أخرى لا يحضرني الآن اسمها بتحقيق علي الحلـــبي، طبعة متقنة. كل هذه الطبعات معتمدة على نسخ جيدة خالية مما في الطبعات القديمة التي ليس لها زمام ولا خطام.

٧- ســـير أعلام النبلاء، الجزء الأول والثاني من المخطوط: في السيرة النبوية، والأخـــير هـــو الذيل من تأليفه، والباقية هي هي، والكتاب من أجلّ كتب الذهـــبي وأعظمها فائدة، وأكثرها بركة، وقد بدأ تقريباً بتأليف هذا الكتاب سنة ٧٣٢، وانتهى منه تقريباً سنة ٧٣٩ هـــ، طبع في (٢٣) مجلداً.

وقـــد تميز هذا الكتاب بالموضوعية والمنهجية والإنصاف، فنرى الذهبي ينقل آراء الموافقـــين والمخالفين في التراجم، وبعد ذلك إما أن يدافع أو يسكت أو يؤيد، فنراه مثلاً يذكر السادة الصوفية ويثني عليهم ويبجلهم ويحترمهم ويدافع عنهم، وهذه كله في حق المعتدلين من أهل التصوف.

موقفه من التصوف وأهله:

كـان الحافظ الذهبي رحمه الله محباً للتصوف وأهله، وكتابه سير أعلام النبلاء خير شاهد على ذلك:

قـال رحمـه الله (٤٣٩/٢٠): الشيخ عبد القادر (الجيلاني) **الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء.**

ثم أفاض في ترجمته.

وقـال في ترجمة النباجي (٥٨٦/٩): **القدوة العابد الرباني** أبو عبد الله سعيد بن بريد **الصوفي**، له كلام شريف ومواعظ، روى أبو نعيم عن أبيه عن خاله أن النباجي **كان مجاب الدعوة وله آيات وكرامات.**

والنباجي عاش في أواخر **القرن الثاني.**

وقال في ترجمة أبي تراب النخشبي (٥٤٥/١١): **الإمام القدوة شيخ الطائفة** أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبي... **كتب العلم وتفقه ثم تأله وتعبد وساح وتجرد.** توفي سنة **٢٤٥** هـ.

وقال الذهبي (٦٢/١٤-٦٣): أبو عثمان الحيري، **الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام الأستاذ** أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري **الصوفي**، مولده سنة **ثلاثين ومائتين**،... قال الحاكم: **لم يختلف مشايخنا أن أبا عثمان كان مجاب الدعوة وكان مجمع العبّاد والزهاد ولم يزل يسمع ويجل العلماء ويعظمهم.** سمع من أبي جعفر بن حمدان صحيحه المخرج على مسلم بلفظه، **وكان إذا بلغ سُنّة لم يستعملها وقف عندها حتى يستعملها.** قلت (القائل الذهبي): هو

للخراسانيين نظير الجنيد للعراقيين.

وقال الذهبي (١٤/١٥٢): **الصوفي الشيخ المحدث الثقة المعمر** أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد البغدادي **الصوفي الكبير**، ولد في حدود سنة عشر ومائتين، **وكان صاحب حديث وإتقان.**

وقال الذهبي (١٤/١٥٣): **الصوفي** الصغير الشيخ **العالم المحدث** أبو الحسن أحمد بن الحسين بن إسحاق البغدادي الصوفي الصغير ... وله رحلة ومعرفة توفي آخر سنة ٣٠٢.

وقال الذهبي (١٧/٣٠١): الماليني **الإمام المحدث الصادق الزاهد الجوال** أبو سعد أحمد بن محمد ...الأنصاري الهروي الماليني **الصوفي** الملقب بطاووس الفقراء، جال في طلب العلم ولقاء المشايخ إلى نيسابور وأصبهان وبغداد والشام ومصر والحرمين، وحصل، وله معرفة وفهم، جمع وصنف... **وكان ذا صدق وورع وإتقان** حصل المسانيد الكبار.

وقال الذهبي (١٧/٤٥٤): **الإمام الحافظ الثقة العلامة شيخ الإسلام** أبو نعيم المهراني الأصبهاني **الصوفي**. اهـــ .

ترجمته طويلة حافلة، **وقد كان الحافظ الثقة أبو نعيم أشعرياً**، وكان بينه وبين الحنابلة تنافر ، فقد قال الذهبي (١٧/٤٥٩-٤٦٠): وكان بين **الأشعرية والحنابلة تعصب زائد** يؤدي إلى فتنة وقِيل وقال، وصداع طويل، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام وكاد الرجل يُقتل. قلت (القائل الذهبي): **ما هؤلاء بأصحاب الحديث بل فجرة جهلة أبعد الله شرهم.** انتهى.

قلت: سمعنا كثيراً في هذا العصر عن أدعياء يدعون أنهم أصحاب حديث ! ولكن أخلاقهم أخلاق السوقة، يستعملون في الجدل، وإقناع الآخرين: القوة، والضرب والإيذاء، والكلام الفاحش البذيء في حق من يخالفونهم في الرأي والمذهب، وهؤلاء يصدق عليهم بل هو لابسهم: قول الحافظ الذهبي رحمه الله: (**ما هؤلاء بأصحاب الحديث بل فجرة جهلة أبعد الله شرهم**. انتهى.

وقال الذهبي (١٧/٥٦٣): **محمد** بن عيسى بن عبد العزيز الصباح، **الإمام المحدث الرئيس الأوحد شيخ همذان** أبو منصور الهمذاني **الصوفي العبْد الصالح**... قال شيرويه في تاريخه: كان صدوقاً ثقة وكان متواضعاً رحيماً يصلي آناء الليل والنهار حج نيفاً وعشرين حجة ووقف الضياع والحوانيت على الفقراء وأنفق أموالاً لا تحصى على وجوه البر.

وقال الذهبي (١٨/٢٢٨-٢٢٩و٢٣٠): **الإمام الزاهد القدوة الأستاذ** أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي **الصوفي المفسر صاحب الرسالة، وكان عديم النظير في السلوك والتذكير لطيف العبارة طيب الأخلاق غواصاً على المعاني**، وقال أبو بكر الخطيب: كتبنا عنه **وكان ثقة** وكان حسن الوعظ مليح الإشارة، **يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. قلت: مع هذا أثنى عليه الذهبي ثناء عطراً.**

وقـــال الذهبي (١٨/٢٤٨ و ٢٤٩): الكتاني **الإمام الحافظ المفيد الصدوق محدث دمشـــق** أبـــو محمـــد عـــبد العزيز بن أحمد ... التميمي الدمشقي الكتاني **الصـــوفي**... قال ابن ماكولا: **مكثر متقن**. وقال الخطيب: **ثقة أمين**. وقال

الأكفـــاني: كان كثير التلاوة صدوقاً **سليم المذهب**. ثم قال الذهبي: **وكان مديماً للتلاوة مكباً على طلب الحديث.**

وقال الذهبي (١٨/٣٥٧): الْجُوري **العالم الحافظ المفيد الثقة** أبو منصور عمر بن أحمد بن محمد بن موسى الجوري الحنفي **الصوفي العابد.**

وقال الذهبي (١٨/٣٨٥-٣٨٦): الزنجاني **الإمام العلامة الحافظ القدوة العابد شيخ الحرم** أبو القاسم سعد بن علي بن محمد ..الزنجاني **الصوفي**...قال أبو سعد: **كان سعد حافظاً متقناً ثقة ورعاً كثير العبادة، صاحب كرامات وآيات، وإذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود.**

وقال الذهبي (١٨/٤١٩ و ٤٢٠): أبو صالح المؤذن **الإمام الحافظ الزاهد المسند محدث خراسان** أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي ...النيسابوري **الصوفي** المؤذن...قال عبد الغافر في السياق: أبو صالح المؤذن **الأمين المتقن المحدث الصوفي** نسيج وحده في طريقته وجمعه وإفادته، ما رأيت مثله في حفظ القرآن وجمع الأحاديث، سمع الكثير وجمع الأبواب والشيوخ وأذن سنين حسبة وكان يحثني على معرفة الحديث .

وقال الذهبي (١٩/٣٦١ و٣٦٣): محمد بن طاهر...**الإمام الحافظ الجوال الرحال** ذو التصانيف ابن القيسراني المقدسي الأثري الظاهري **الصوفي**...كتب ما لا يوصف كثرة بخطه السريع القوي الرفيع، وصنف وجمع وبرع في هذا الشأن وعني به أتم عناية وغيره أكثر إتقاناً وتحرياً منه...قال أبو زكريا يحيى بن منده: كان ابن طاهر أحد الحفاظ **حسن الاعتقاد جميل الطريقة** صدوقاً عالماً

بالصحيح والسقيم كثير التصانيف **لازماً للأثر**.

وقال الذهبي (٢٠/٦٦-٦٩): يوسف بن أيوب بن يوسف بن حسين بن وهرة، **الإمام العلم الفقيه القدوة العارف التقي شيخ الإسلام** أبو يعقوب الهمذاني **الصوفي** شيخ مرو...كتب الكثير **وعني بالحديث** وأكثر الترحال لكن تفرقت أجزاؤه بين الكتب فما كان يتفرغ لإخراجها كان مشغولاً بالعبادة، **من أولياء الله**...قال أبو سعد السمعاني: هو الإمام الورع التقي الناسك العامل بعلمه والقائم بحقه، **صاحب الأحوال والمقامات**، انتهت إليه تربية المريدين الصادقين، واجتمع في رباطه جماعة من المنقطعين إلى الله ما لا يتصور أن يكون في غيره من الربط مثلهم، وكان عمرَه على طريقة مرضية وسداد واستقامة سار من قريته إلى بغداد، وقصد الشيخ أبا إسحاق فتفقه عليه ولازمه مدة حتى برع وفاق أقرانه خصوصاً في علم النظر، وكان أبو إسحاق يقدمه على عدة من صغر سنه لعلمه بحسن سيرته وزهده ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة واشتغل بالعبادة ودعوة الخلق وإرشاد الأصحاب، أخرج لنا أكثر من عشرين جزءاً سمعناها وقد قدم بغداد في سنة ست وخمس مائة وظهر له قبول تام ووعظ وازدحموا عليه ثم رجع وسكن مرو ثم سار إلى هراة وأقام بها مدة ثم رجع إلى مرو ثم سار إلى هراة ثانياً فتوفي في الطريق بقرب بغشور.

وقال الذهبي (٢٠/٤٧٥ و ٤٧٦): أبو النجيب **الشيخ الإمام العالم المفتي المتفنن الزاهد العابد القدوة شيخ المشايخ** عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي الشافعي **الصوفي** الواعظ شيخ بغداد...قال عمر بن علي

القرشي: هو من أئمة الشافعية وعَلَم من أعلام الصوفية.

وقال الذهبي (٢١/٢٣٩-٢٤٠): الشيرازي **الشيخ الإمام المحدث الحافظ الرحال** أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن إبراهيم الشيرازي ثم البغدادي **الصوفي** صاحب الأربعين البلدية... وكان ذا رحلة واسعة **ومعرفة جيدة وصدق وإتقان**. وثقه ابن الدبيثي...وكان حلو المحاضرة ظريفاً دمث الأخلاق.

وقال الذهبي (٢١/٥٠٢-٥٠٤): ابن سكينة **الشيخ الإمام العالم الفقيه المحدث الثقة المعمر القدوة الكبير شيخ الإسلام مفخر العراق** ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب ابن الشيخ الأمين أبي منصور علي بن علي البغدادي **الصوفي** الشافعي...**وعني بالحديث عناية قوية** وبالقراءات فبرع فيها...قال ابن النجار: شيخنا ابن سكينة **شيخ العراق في الحديث** والزهد وحسن السمت **وموافقة السنة والسلف**، عمر حتى حدث بجميع مروياته وقصده الطلاب من البلاد وكانت أوقاته محفوظة لا تمضي له ساعة إلا في تلاوة أو ذكر أو تهجد أو تسميع وكان إذا قرئ عليه منع من القيام له أو لغيره وكان كثير الحج والمجاورة والطهارة لا يخرج من بيته إلا لحضور جمعة أو عيد أو جنازة ولا يحضر دور أبناء الدنيا في هناء ولا عزاء يديم الصوم غالباً، **ويستعمل السنة في أموره ويحب الصالحين ويعظم العلماء ويتواضع للناس**، وكان يكثر أن يقول: أسأل الله أن يميتنا مسلمين. وكان ظاهر الخشوع غزير الدمعة ويعتذر من البكاء ويقول: قد كبرت ولا أملكه. وكان الله قد ألبسه رداء جميلاً من البهاء وحسن الخلقة وقبول الصورة ونور الطاعة وجلالة العبادة وكانت له في القلوب منـــزلة عظيمة ومن رآه انتفع برؤيته فإذا تكلم كان

عليه البهاء والنور لا يشبع من مجالسته لقد طفت شرقاً وغرباً ورأيت الأئمة والزهاد فما رأيت أكمل منه ولا أكثر عبادة ولا أحسن سمتاً صحبته قريباً من عشرين سنة ليلاً ونهاراً وتأدبت به وخدمته وقرأت عليه بجميع رواياته وسمعت منه أكثر مروياته وكان ثقة حجة نبيلاً علماً من أعلام الدين. انتهى.

والحافظ الذهبي يَصِفُ الكثير من السادة الصوفية بـــ: القطب، والعارف، والأبدال، وكبار الأولياء، **صاحب الأحوال والكشف، صاحب المقامات والإشارات. وهذه مقامات عالية جداً يبلغها الكبار من الأئمة العلماء العُبّاد المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بدقة فائقة.**

قال الذهبي (٥/٢٢ و ٨): الشيخ أبو عمر **الإمام العالم الفقيه المقرىء المحدث البركة شيخ الإسلام** أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي الحنبلي **الزاهد** واقف المدرسة. (ثم ساق له ترجمة تشد إليها الرحال، ثم قال:) وقد ساق له الضياء **كرامات ودعوات مجابات** وذكر حكايتين في أنه **قُطّب في آخر عمره.** انتهى.

والحكايتان موجودتان في كتاب مناقب الشيخ أبي عمر للحافظ ضياء الدين القدسي الحنبلي، سيأتي نقل ذلك في هذا الكتاب (ص٢٠٢-٢٠٣).

وقال الذهبي (٣١٢/٢٣ و ٣١٤ و ٣١٦): المرسي **الإمام العلامة البارع القدوة المفسر المحدث النحوي ذو الفنون** أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمي الأندلسي...قال ابن النجار: وهو زاهد متورع كثير العبادة فقير مجرد متعفف نزه قليل المخالطة حافظ لأوقاته طيب الأخلاق كريم متودد ما رأيت في فنه مثله.

ثم نقل عن ياقوت الحموي: كلاماً طويلاً فيه قول شيخ المرسي ابن دهقان: **قطب الأرض اليوم ابن الأشقر. أو قال: الأشقر، وإن مات قبلي فأنا أصير القطب.**

وقال الذهبي (٣٨٧/٧): إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر **القدوة الإمام العارف سيد الزهاد** أبو إسحاق... مولده في حدود المائة.

وقال الذهبي (١١٠/١٢ و١١١): المحاسبي الزاهد **العارف شيخ الصوفية** أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي صاحب التصانيف الزهدية.

ثم قال الذهبي: **المحاسبي كبير القدر.**

وقال الذهبي (٣٧٣/٢٢ فما بعدها): السهروردي **الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحد الصوفية** شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي **الصوفي**. انتهى. وللترجمة تتمة مهمة انظرها.

ووصف الذهبي الجنيد (٦٦/١٤ – ٦٧) بأنه **الأستاذ العارف شيخ الصوفية**، وأنه **أتقن العلم** ثم أقبل على شأنه وتأله وتعبد ونطق بالحكمة. قال ابن المنادي: سمع الكثير وشاهد الصالحين وأهل المعرفة ورزق الذكاء **وصواب الجواب** لم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا.

قال أبو نعيم: حدثنا علي بن هارون وآخر قالا: سمعنا الجنيد غير مرة يقول: **علمنا مضبوط بالكتاب والسنة؛ من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم**

يتفقه لا يقتدى به. قال عبد الواحد بن علوان: سمعت الجنيد يقول: **علمنا يعني التصوف مشبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.**

وعن أبي العباس ابن سريج أنه تكلم يوماً فعجبوا فقال: **ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.**

وقال الذهبي (١٢/٧٧-٨٠): الرفاعي **الإمام القدوة العابد الزاهد شيخ العارفين** أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن **أحمد الرفاعي** المغربي...**كان كثير الاستغفار عالي المقدار رقيق القلب غزير الإخلاص.**

وقال الذهبي (١٦/٣٤٢-٣٤٧): ابن خفيف **الشيخ الإمام العارف الفقيه القدوة ذو الفنون** أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي **شيخ الصوفية**... قال السلمي: هو اليوم شيخ المشايخ وتاريخ الزمان، لم يبق للقوم أقدم منه ولا أتم حالاً... وهو من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر، متمسك بالكتاب والسنة، فقيه شافعي.

ثم نقل الذهبي عن ابن باكويه قال: سمعت ابن خفيف يقول: كنت في بدايتي ربما أقرأ في ركعة واحدة عشرة آلاف (قل هو الله أحد) وربما كنت أقرأ في ركعة القرآن كله.

قلت (القائل الذهبي): **قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل وعلو السند والتمسك بالسنن ومتع بطول العمر في الطاعة.** يقال: إنه عاش مائة سنة وأربع سنين وانتقل إلى الله تعالى في ليلة الثالث من شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة والأصح أنه عاش خمساً وتسعين سنة. وازدحم الخلق على سريره وكان أمراً عجيباً!!! وقيل: إنهم صلوا عليه نحواً من مائة مرة.

والأمثلة كثيرة جداً على ذكر (**العارف**)، انظر أيضاً (٤٣٩/١٣ و ١١١/١٤ و ٢٤٨ و ٢٥١ و ٥٣٣ و ٢٣٢/١٥ و ٦٥/١٦ و ٢٢٧ و ٥٣٦ و ٦٠٩/١٧ و ٢٢٨/١٨ و ٤٩١ و ٥١٣/١٩ و ٥٩٧ و ٢٠/ ٧٢ و ١١١ و ١٩٧ و ٢٥٢ و ٢٧٢ و ١٩٥/٢١ و ٤٧٨ و ١١/٢٢ و ٧٩ و ٩٦/٢٣).

وقال الذهبي (١١١/١٤-١١٢): ابن سيد حمدويه **الإمام العارف شيخ العباد** أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد حمدويه... **الصوفي الدمشقي صاحب الأحوال والكشف** ... وكان يلقب بالمعلم. قال ابن الناصح: أقام خمسين سنة ما استند ولا مد رجله هيبة لله تعالى.

ويقال: إنه بسط رداءه على الماء عند الحد عشرية وصلى عليه ولم يبتل الرداء. رواها عبد الرحمن بن أبي نصر عن عمر بن البري. فالله أعلم. وقيل: كانت تطوى له الأرض. استوفى ابن عساكر أخباره. توفي سنة ٣٠١ هـ .

وقال الذهبي (١١١/٢٠): ابن العريف أحمد بن موسى **الإمام الزاهد العارف المقرئ صاحب المقامات والإشارات**.

وقال الذهبي (٢٢/١٦): أبو الخير التِّيناتي الأقطع **العابد صاحب الأحوال والكرامات** وهو مغربي أسود سكن تينات من أعمال حلب يقال: اسمه حماد.

وقال الذهبي (٧٨/٩-٧٩): أبو معاوية الأسود **من كبار أولياء الله** صحب سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وغيرهما، **وكان يعد من الأبدال**. وقيل: إنه ذهب بصره فكان إذا أراد التلاوة في المصحف أبصر بإذن الله.

وقال الذهبي (١٦٥/١٠-١٦٦): إدريس بن يحيى **الإمام القدوة الزاهد** شيخ مصر

أبو عمرو الأموي مولاهم المصري المعروف بالخولاني، **أحد الأبدال**، كان يشبه ببشر الحافي في فضله وتألهه. قال يونس (بن عبد الأعلى الحافظ): ما رأيت في الصوفية عاقلا سواه.

وقال أبو عمر الكندي: كان أفضل أهل زمانه وأعظمهم قدراً. وقال أبو زرعة (الحافظ الثقة): صدوق صالح من أفاضل المسلمين.

قلت: صحح له الحاكم. توفي سنة ٢١١ هـ .

وقال الذهبي (٤٧٩/٢١): **الإمام القدوة المجاب الدعوة** أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن غالب البلوي المالقي...وكان ربانياً متألهاً قانتاً لله كثير الغزو **يعد من الأبدال وفحول الرجال.**

ونقل الذهبي في السير عن كبار الحفاظ إطلاقهم على بعض الصالحين أنهم من الأبدال؛ مثل الإمام الشافعي والحافظ أبي حاتم الرازي ووكيع وغيرهم. انظر هذا وغيره (١٤٨/٦ و٣٧٦ و ٢٤٧/٧ و ٤٤٧ و ١٥٣/٨ و ١٩٣ و ٤٢٥ و ١٥٩/٩ و ٢٧٢ و ٣٠٣ و ٣٠٧ و ٣٩٩ و ٢٦٢/١٠ و ٣٤١ و ٥٧٢ و ٦٤١ و ٦٥٤ و ٥٤٧/١١ و ٣٠٧/١٢ و ٣١٧ و ٢٦٤/١٣ و ٣٣٣ و ٥٦٢ و ٥٠٥/٢١ و ٥٠/٢٢ و ١٢٦).

وقد تعمدت الإطالة في هذا النقل؛ رداً على من زعم أن الحافظ الذهبي يعادي الصوفية و لا يحبهم !! وهو محض افتراء عليه، فإنه من أشد الناس حباً لهم؛ ولكنه يكره الشطح، ومع كرهه للشطحات المخالفة للشرع نراه يلتمس لهم الأعذار، كما يراه الناظر في كتابه السير. وخير شاهد على حبه للسادة الصوفية ما رأيناه من مدحه لهم وثنائه عليهم وتوقيرهم وتبجيلهم وذكر محاسنهم.

وهذا غيض من فيض، وقد وصف الكثير من أئمة **الصوفية بالعدالة والثقة والإتقان والعبادة والقدوة والصلاح والجلالة والعلم والفقه والفهم والتقوى والورع وحسن الطريقة والفضل والخشية، والولاية، وأنهم من كبار أولياء الله**، ومن أراد ذلك فليرجع إلى سير أعلام النبلاء.

بل إن الذهبي ليلتمس الأعذار لهم، فقد نص في ترجمة الشيخ ابن عربي الطائي الصوفي (٢٣/٤٩):على **أن كثيراً من عباراته له تأويل.**

وعودة إلى ترجمة الحافظ الذهبي:

ثناء العلماء عليه ومكانته:

قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في الرد الوافر (ص ٦٦-٦٧): الذهبي...الشيخ الإمام الحافظ اهمام مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، وإمام المعدّلين والمجرحين...الشافعي. وكان آية في نقد الرجال، وعمدة في الجرح والتعديل، **عالماً بالتفريع والتأصيل، إماماً في القراءات، فقيهاً في النظريات، له دربة بمذاهب الأئمة الأربعة وأرباب المقالات**، قائماً بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف. انتهى.

وقال التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٩/١٠٠): **الذهبي شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ...محدّث العصر**، اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ بينهم عموم وخصوص: المزي ، والبرزالي ، والذهبي ، والشيخ الإمام الوالد ، ولا خامس لهؤلاء في عصرهم.

ثم قال السبكي: **وأما أستاذنا أبو عبد الله فبحر لا نظير له، وكنـــز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظاً**، وذهبُ العصر معنًى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها، وكان محط رحال تغيبت، ومنتهى رغبات من تغييت، تعمل المطي إلى جواره، وتضرب البزل المهاري أكبادها فلا تبرح أو تنبل نحو داره، وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة، جزاه الله عنا أفضل الجزاء، وجعل حظه من غرفات الجنان موفر الأجزاء، وسعده بدراً طالعاً في سماء العلوم، يذعن له الكبير والصغير من الكتب والعالي والنازل من الأجزاء. انتهى.

وقال ابن رافع في الوفيات (٢/٥٦): الشيخ الإمام الحافظ..حدث وطلب بنفسه وقرأ وكتب الكثير العالي والنازل وانتقى على الشيوخ ودرَّس بعدة دروس في الحديث وصنف كثيراً وجمع ونفع الناس، وكان صالحاً خيراً، له قيام ليل وعبادة وتلاوة وبر وصدقة رحمه الله تعالى بكرمه.

وقال الحسيني ذيل تذكرة الحفاظ (ص٣٤): الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه ومفيده. كان أحد الأذكياء المعدودين والحفاظ المبرزين.

وقال ابن قاضي شهبة في طبقات ابن شهبة (٣/٥٥-٥٧): الإمام العلامة الحافظ المقرىء، مؤرخ الإسلام...الذهبي...قرأ القراءات وأتقنها وشارك في بقية العلوم وأقبل على صناعة الحديث فأتقنها، وتخرج به حفاظ العصر وصنف التصانيف

الكثيرة المشهورة مع الدين المتين والورع والزهد...قال السبكي: محدث العصر وخاتم الحفاظ القائم بأعباء هذه الصناعة **وحامل راية أهل السنة والجماعة**، إمام أهل عصره حفظاً وإتقاناً وفرد الدهر الذي يذعن له أهل عصره ويقولون: لا ننكر أنك أحفظنا وأتقانا وشيخنا وأستاذنا ومخرجنا، وهو على الخصوص سيدي ومعتمدي، وله علي من الجميل ما أخجل وجهي وملأ يدي، جزاه الله عني أفضل الجزاء وجعل حظه من غرفات الجنان موفر الإجزاء. انتهى. تأمل قول العلامة السبكي، الموضوع تحته خط.

وقال العلامة الصفدي في الوفيات (٢/١٦٣): الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، حافظ لا يجارى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس، مع ذهن يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير...اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه، ولم أجد عند جمود المحدثين، ولا كدونة النقلة، بل هو فقيه النظر، له دُربة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات، وأعجبني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن أو ظلام إسناد أو طعن في رواته، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/٢٢٥): الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين ... وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه.

وقال التقي ابن رافع السلامي: كان خيراً صالحاً متواضعاً حسن الخلق حلو المناظرة، غالب أوقاته في الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة. له ورد من الليل، وعنده مروءة وعصبية وكرم.

وقال البدر العيني: الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المؤرخ شيخ المحدثين.

وقال سبط الحافظ ابن حجر: الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ الوقت الذي صار هذا اللقب علماً عليه...فلله دره من إمام ...فكم دخل في جميع الفنون، وخرج وصحح وعدل وجرح وأتقن هذه الصناعة...فهو الإمام سيد الحفاظ إمام المحدثين قدوة الناقدين.

وقال السبط أيضاً: وعني بهذا الفن أعظم عناية وبرع فيه وخدمه الليل والنهار.

وقال الزركشي: ...مع ما كان عليه من الزهد التام والإيثار العام والسبق إلى الخيرات والرغبة بما هو آت.

نقل هذه الأقوال الدكتور بشار عواد في كتابه: «الذهبي» (ص١٣٢-١٣٣).

وقال الحافظ المتقن البارع التقي الفاسي في ذيل سير أعلام النبلاء (ص٤٧-٥٠): شمس الدين الذهبي الحافظ العلامة المفنن المحقق المعتمد، محمد بن أحمد الشافعي، أخذ عنه جماعة من الحفاظ والمحدثين والعلماء والقراء وغيرهم، واعترف له علماء عصره بوافر الفضل في فنون الحديث والتاريخ وغير ذلك، وكان الذهبي متبحراً في معرفة المتقدمين والمتأخرين، ولا يحابي منهم أحداً، ولا يتحامل على أحد، ويوضح ما يقع في كلام غيره من إسراف في جرح أو انتقاد فيما يحكيه عن غيره، وكان كثير الحفظ للمتون والآثار، جيد الخبرة

بعلل الحديث والعالي والنازل، مليح العبارة في تصانيفه وتعاليقه. انتهى.

وقال الحافظ السيوطي في الطبقات (ص٥٤٧): الذهبي الإمام الحافظ، محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، ومؤرخ الإسلام، وفرد الدهر، والقائم بأعباء هذه الصناعة...سمع الكثير ورحل، وعني بهذا الشأن وتعب فيه وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه، وتلا بالسبع وأذعن له الناس.

وقال التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١٠٩/٩-١١١) : وقد كنت لما توفي شيخنا رثيته بقصيدة مطلعها:

من للحديث وللسارين في الطلب ... من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي

مــن للرواية للأخبار ينشــرها ... بيــن البــرية من عجم ومن عرب

من للدرايــة والآثار يحفــظها ... بالنقد من وضع أهل الغي والكذب

من للصناعة يدري حل معضلها ... حتى يريك جلاء الشــك والريب

من للجماعة أهل العلم تلبسهم ... أعلامه الغر من أبرادها القشــب

من للتخاريج يبديها ويدخل في ... أبوابــها فاتحاً للمقفل الأشــب

من في القراءات بين الناس نافعهم ... وعاصم ركنها في الجحفل اللجب

من للخطابة لما لاح يرفل في ... ثوب السواد كبدر لاح في سحب

ومنها:

وإن تغب ذات شمس الدين لا عجب ... فأي شــمس رأيناها و لم تغب

هو الإمام الذي روت روايتــه ... وطبق الأرض من طلابه النجــب

مهذب القول لا عي ولجلجة ... مثبت النقل سامي القصد والحسب

ثبت صدوق خبير حافظ يقظ | في النقل أصدق أنباء من الكتب
كالزهر في حسب والزهر في نسب | والنهر في حدب والدهر في ريب
اللـــه أكبـــر ما أقرا وأحفظـــه | من زاهد ورع في الله مرتقـــب

وهي طويلة فليقع الاقتصار على ما أوردناه. انتهى. والبيت الأخير من ذيل سير أعلام النبلاء للحافظ التقي الفاسي (ص٥٢) وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٤٨) وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص٣٤٩). ووقع عند الفاسي: (ما أجزى) مكان: (ما أقرا).

شيوخه:

قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في الرد الوافر (ص ٦٦): مشيخته بالسماع والإجازة نحو ألف شيخ وثلاث مائة شيخ، يجمعهم معجمه الكبير. انتهى.

وللذهبي شيوخ هم أقران في الوقت نفسه مثل:

الحافظ الكبير البارع يوسف بن عبد الرحمن المزي الشافعي، صاحب الكتاب الفريد «تهذيب الكمال». والحافظ المتقن المؤرخ العلم البرزالي، القاسم بن محمد، صاحب التاريخ النافع. والحافظ الفقيه ابن تيمية الحراني.

ومن شيوخه في الفقه: العلامة البارع الفقيه كمال الدين ابن الزملكاني، وبرهان الدين الفزاري، وكمال الدين ابن قاضي شهبة، وغيرهم. انظر طبقات ابن شهبة (٥٦/٣).

ومن شيوخه الحفاظ الفقهاء الإمام الحافظ المجتهد الأعجوبة ابن دقيق العيد.

أما شيوخه في الحديث فكثيرون جداً، انظرهم في معجم شيوخه الكبير المطبوع في مجلدين.

تلاميذه:

قال تلميذه العلامة الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٦): حمل عنه الكتاب والسنة خلائق.

وقال العلامة ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية (٣/٥٦): تخرج به حفاظ العصر.

وقال ابن قاضي شهبة أيضاً: سمع منه السبكي و البرزالي (وهو من شيوخه ورفقائه) والعلائي وابن كثير وابن رافع وابن رجب وخلائق من مشايخه ونظرائه...وتخرج به حفاظ.

انظر كتاب ((الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام))، د. بشار عواد (ص١٣٣-١٣٤).

وتلاميذه بلغوا المئآت، منهم الحفاظ الأعلام كالحافظ الفقيه ابن رجب الحنبلي والحافظ الفقيه الصلاح العلائي الشافعي، والحافظ الفقيه المفسر المؤرخ ابن كثير الشافعي، والحافظ المؤرخ السيد محمد بن الحسن الحسيني، والعلامة المؤرخ الأديب الصلاح الصفدي، وغيرهم.

وفاته:

توفي الحافظ الذهبي رحمه الله ليلة الإثنين، الثالث من ذي القعدة، سنة ٧٤٨ هـــ . وصلي عليه يوم الإثنين في الجامع الأموي، ودفن بقبرة باب الصغير.

أهم مصادر ترجمته:

١- الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام للدكتور بشار عواد معروف.

٢- طبقات الشافعية للسبكي (٩/١٠٠).

٣- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/٥٥).

٤- الوفيات لابن رافع (٢/٥٥).

٥- البداية والنهاية (١٤/٢٢٥).

٦- الوافي بالوفيات (٢/١٦٣).

٧- ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص٣٤).

٨- ذيل سير أعلام النبلاء للتقي الفاسي (ص ٤٧).

٩- الرد الوافر لابن ناصر (ص ٦٦).

١٠- طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٥٤٧).

الفصل الثالث
البركة والتبرك عند الحافظ الذهبي

التبرك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبآثاره

مولده صلى الله عليه وآله وسلم أعظم بركة

قال الحافظ البركة شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى في سير أعلام النبلاء، السيرة النبوية[1]، (١/٣٣): مولده المبارك صلى الله عليه وآله وسلم.

بركته صلى الله عليه وآله وسلم تظهر على المحسوسات

قال الذهبي رحمه الله في قسم السيرة (٢/٢٣٨):

قال الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أو عن أبي سعي؛ شَكَّ الأعمشُ؛ قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعةٌ، فقالوا: يا رسول الله، لو

---

[1] سير أعلام النبلاء (١/٣٣) قسم السيرة النبوية طبعة مؤسسة الرسالة المكتوب على غلاف الكتاب: «سير أعلام النبلاء السيرة النبوية» فقد نقل الدكتور بشار عواد معروف في مقدمة السيرة (١/٦) عن الحافظ الذهبي أنه جعل كتابه «سير أعلام النبلاء» في أربعة عشر مجلداً، أفرد المجلدين الأول والثاني منها للسيرة النبوية الشريفة وسير الخلفاء الراشدين، لكنه لم يكتبهما، وإنما أحال على كتابه الوسيع «تاريخ الإسلام» ليؤخذا منه ويُضما إلى «سير أعلام النبلاء» فقد جاء في طرة المجلد الثالث من نسخة أحمد الثالث الأولى تعليق بخطه كتب إلى الجهة اليسرى نصه: «في المجلد الأول والثاني سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الأربعة تكتب من تاريخ الإسلام». انتهى.

من أجل هذا رأيت أن أنقل منه بعض النصوص التي استشهد بها الحافظ الذهبي عن البركة والتبرك.

أذنت لنا فننْحَر نَواضِحَنا، كأكلنا وادّهنّا. فقال: «أفعلُ». فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فَعلتَ قَلَّ الظهر، ولكن ادع بفضل أزوادهم، **وادع الله لهم فيها بالبركة**. فقال: نعم، فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم. فجعل الرجل يأتي بكفٍّ ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الأخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبركة، ثم قال لهم: خذوا في أوعيتكم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؛ لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة». أخرجه مسلم [٤٢/١].

الجمادات تحن إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتتبرك به

قال الذهبي رحمه الله في السيرة (٣١١/٢): قال عبد الله بن محمد بن عقيل: عن الطفيل بن أبيّ بن كعب، عن أبيه: كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصلي إلى جذع ويخطب إليه، فصنع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر، فلما جاوز النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الجذع خار حتى تصدّع وانشقّ، فنـزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع صوت الجذع، **فمسحه بيده**، ثم رجع إلى المنبر، فلما هُدم المسجد **أخذ ذلك الجذع أبيٌّ** فكان عنده في بيته حتى بلي وأكَلَتْه الأرَضَة وعاد رُفاتاً.

رُوي من وجهين عن ابن عقيل.

قلت: وحنين الجذع ثبت في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بلغت حد التواتر والقطع لا ينكرها إلا مجنون. انتهى.

آثاره صلى الله عليه وآله وسلم بركة يستشفي بها الموحدون

قال الذهبي رحمه الله في السيرة (٢/٤٢٢):

قال عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر، أنها أخرجت جُبَّة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجنها مكفوفين بالديباج، فقالت: هذه جُبَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان صلى الله عليه وآله وسلم يلبسها، **فنحن نغسلها للمريض يستشفي بها**. أخرجه مسلم [برقم ٢٠٦٩].

ورواه أحمد في مسنده [٣٤٨/٦] وفيه: جُبّة طيالسة عليها لِبنَةُ شِبْر من ديباج كسرواني.

قلت: قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم ٤٤/١٤: **وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم**. اهـ.

ونشرع الآن بسير أعلام النبلاء قسم التراجم فنقول:

بركته صلى الله عليه وآله وسلم تظهر على الأمة

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (٢/٢٦٤-٢٦٥):

(روى) يونس عن ابن إسحاق: حدثنا محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة، عن عائشة، قالت: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في سهم رجل، فكاتبته، وكانت حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه. فأتت رسول الله ﷺ تستعينه؛ فكرهتها، يعني لحسنها، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبتُ، فأعني.

فقال: «أو خَير من ذلك: أؤدي عنك وأتزوّجك»؟ فقالت: نعم. ففعل. فبلغ الناسَ، فقالوا: أصهار رسول الله! فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق. فلقد أعتق بها مائة أهل بيت. **فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.**

قلت: أخرجه أحمد في المسند (٦/٢٧٧) وإسناده حسن. انتهى.

التبرك بعرقه صلى الله عليه وآله وسلم

قال الذهبي رحمه الله (٢/٣٠٨): قال ابن سعد: أخبرنا عبد الله بن جعفر: حدثنا عبيد الله، عن عبد الكريم، عن البراء بن زيد: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في بيت أم سليم على نطع، فعرق، فاستيقظ، وهي تمسح العرق، فقال: «ما تصنعين»؟ قالت: **آخذُ هذه البركة التي تخرج منك.**

قلت: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤٢٨) وأخرجه مسلم من طريق آخر (٢٣٣١ مكرراً) وأحمد (٣/٢٢٦،٢٢١). وفي رواية عند مسلم: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تصنعين يا أم سليم؟». فقالت: يا رسول الله **نرجو بركته لصبياننا. قال:** «**أصبت**». انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢/٣٠٨): عفان: حدثنا حماد: أخبرنا ثابت، عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يحلق رأسه بمنى، أخذ أبو طلحة شق شعره، فجاء به إلى أم سليم، **فكانت تجعله في سُكِّها (أي طيبها).** قالت: وكان يقيل عندي على نِطْعٍ (بساطٍ من جلد) وكان مِعراقاً (كثير العرق) صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعلت أسلت العرق في قارورة. فاستيقظ، فقال: «ما تفعلين»؟ قلت: أريد أن أدوفَ (أخلط) بعرقك طيبي.

قلت: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤٢٨-٤٢٩) وأحمد في المسند (٣/ ٢٨٧) وإسناده صحيح. انتهى.

التبرك بموضع فمه صلى الله عليه وآله وسلم

قال الحافظ الذهبي رحمه الله (٢/٣٠٨): ابن جريج، عن عبد الكريم بن مالك: أخبرني البراء ابن [بنت] أنس، عن أنس: **أن النبي صلى الله عليه وآله** وسلم دخل على أم سليم، وقربة معلقة، فشرب منها قائماً، **فقامت إلى في السقاء، فقطعته.**

رواه عبيد الله بن عمرو، فزاد: **وأمسكته عندها.**

قلت: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٢٨/٨) والترمذي في الشمائل (٢١).

وله شاهد عن كبشة أو كُبيشة، رضي الله عنها، ولفظه: **فقطعتْ فم القربة تبتغي بركة موضع في (أي فم) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.**

إسناده صحيح، أخرجه ابن حبان (٥٣١٨) والترمذي (١٨٩٢) وابن ماجه (٣٤٢٣).

قال الإمام النووي في رياض الصالحين ص٣٣٩: وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ، **وتتبرك به**، وتصونه عن الابتذال. انتهى.

التبرك بنعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال الحافظ الذهبي رحمه الله (٤٦٣/٢) في ترجمة الصحابي الجليل شداد بن أوس الأنصاري رضي الله عنه:

وكانت النعل [أي نعل سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم] زوجاً، خلّفها شدّاد [بن أوس] عند ولده، فصارت إلى [ابنه] محمد بن شداد؛ فلما أن رأت أخته خزرج ما نزل به وبأهله، جاءت، فأخذتْ فرد النعلين وقالت: يا أخي، ليس لك نسل، وقد رزقتُ ولداً، وهذه مكرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب أن تشرك فيها ولدي، [في تاريخ الإسلام: أن يشركك فيها ولدي]، فأخذتها منه.

وكان ذلك في أول أوان الرجفة، فمكثت النعل عندها حتى أدرك [كِبَرَ

أولادها، فلما جاء المهدي إلى بيت المقدس أتوه بها، وعرفوه نسبها من شداد [بن أوس]، فعرف ذلك، **وقَبلَه [في تاريخ الإسلام: فقبلها]**، وأجاز كل واحد منهما بألف دينار، [وقَرَّبه] وأمر لكل واحد منهما بضيعة، وبعث إلى محمد بن شداد، فأتي به يحمل لزمانته، فسأله عن خبر النعل، فصدق مقالة الرجلين [الأخوين] فقال له المهدي: ائتني بالأخرى. **فبكى، وناشده الله، فرقَّ له، وخلاها عنده [وأقرها عنده]**.

قلت: أورده مطولاً الذهبي في تاريخ الإسلام (٨/٢٩-٣٠ حوادث سنة ١٢١-١٤٠)، وما بين المعقوفات منه. قال الذهبي: وفيها (أي في سنة ١٣٠ هـ) كانت الزلزلة العظيمة بالشام، قال ابن جوصا: حدثنا محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عمرو بن محمد بن شداد بن أوس الأنصاري، حدثنا أبي عن أبيه، فذكر حديثاً طويلاً، منه: لما كانت الرجفة التي بالشام سنة ثلاثين ومائة كان أكثرها ببيت المقدس، فهلك كثير ممن كان فيها من الأنصار وغيرهم، ووقع منـــزل شداد بن أوس على من كان معه، وسلم محمد بن شداد، وذهب متاعه تحت الردم. وكانت النعل زوجاً..ثم ذكر ما تقدم.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢/٤٠٩-٤١٠) قال: أنبانا أبو جعفر محمد بن أبي علي، أنبأنا أبو بكر الصفار، أبنا أحمد بن علي بن منجويه، أنا أبو أحمد الحاكم قال: أبنا أحمد بن عمير، حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الوهاب، وهو ابن محمد بن عمرو بن محمد بن شداد بن أوس الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ، حدثني أبي عن أبيه، عن جده قال:

كانت كنية شداد أبا يعلى، وكانت له خمسة أولاد أربع بنين وبنت وكان أكبرهم يَعْلَى، ثم محمد، وعبد الوهاب، والمنذر، فمات شداد وعبد الوهاب والمنذر صغيران، ولم يعقب يَعْلَى أعقبوا كلهم، وكانت البنت اسمها خَزْرَج، تزوجت في الأزد، وتوفي شداد سنة أربع وستين، ونشأ لابنته خَزْرج نسل إلى سنة ثلاثين ومائة، وكانت الرجفة التي كانت بالشام سنة ثلاثين ومائة، وحان فيها خروج أبي مسلم وزوال أمر بني أمية، فرجفت الشام وكان أكثر ذلك ببيت المقدس ففني كثير ممن كان فيها من الأنصار وغيرهم، ووقع المنــزل الذي كان فيه محمد بن شداد على كل من كان فيه من أهله وولده ففنوا جميعاً، وسلم محمد قد ذهبت رجله تحت الردم، فعمّر بعد ذلك إلى قدوم المهدي، وكانت النعل زوجاً خلّفها شداد عند ولده فصارت إلى محمد بن شداد، فلما أن رأت أخته خَزْرَج ما نزل به وبأهله، وأنه لم يبق منهم أحد جاءت فأخذت فرد النعلين وقالت: يا أخي، ليس لك نسل وقد رُزقتُ ولداً وهذه مكرمة رسول الله ﷺ أحب أن تشرك فيها ولدي، فأخذها منه.

وكان ذلك في أوان الرجفة، ومكثت النعل عندها حتى أدرك أولادها، فلما أن صار المهدي إلى بيت المقدس أتوه بها وعرفوه نسبها من شداد فعرف ذلك، وقَبلَ النعل منهما، وأجاز كل واحد منهما بألف دينار، وأمر لكل واحد منهما بضيعة، وكتب كل واحد منهما في مائة من العطاء، ثم بعث إلى محمد بن شداد فأتي به فحمل على أيدي الرجال للزمانة التي كانت به أصابته من الرجفة، فسأله عن خبر النعل فصدق مقالة الرجلين فيها، وقال له المهدي: ائتني بالأخرى، **فبكى محمد بن شداد واسترحمه وناشده بقرابته من**

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: إن الأخرى قد فرت مني **فلا تفجعني بها ولا تسلبني مكرمة اختصنا بها ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة**، فرقّ المهدي للشيخ وأقرّها على حالتها.

فأخبرني من أدركت من مشايخ الأنصار من ولد شداد وغيره أن الرجلين هلكا وهلك ما كان لهما و لم يعقبا. انتهى.

بركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرة بعد وفاته بسنوات

قال الحافظ الذهبي رحمه الله (٢/٦٣٠) في ترجمة السيد الحافظ الفقيه الصحابي الجليل أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه:

مِزْود أبي هريرة (والمزود هو وعاء الزاد):

قال حمّاد بن زيد: حدثنا المهاجر مولى آل أبي بكرة، عن أبي العالية، عن أبي هريرة، قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتمرات، فقلتُ: **ادعُ لي فيهنَّ يا رسول الله بالبركة**. فقبضهنَّ، ثم دعا فيهنَّ **بالبركة**، ثم قال: «خذهنَّ فاجعلهنَّ في مِزْوَد؛ فإذا أردت أن تأخذ منهنَّ؛ فأدخل يدك، فخذ ولا تنثُرْهُنَّ نَثْراً».

فقال: فحملتُ من ذلك التمر كذا وكذا وسقاً في سبيل الله، وكنا نأكل ونطعم؛ وكان المزود معلقاً بِحَقْوي، (أي خصري) لا يفارق حقوي؛ فلما قتل عثمان انقطع.

قلت: الحديث أخرجه أحمد (٢/٣٥٢) والترمذي (٣٧٣٩)، وقال الترمذي: حسن غريب. انتهى.

ثم روى الذهبي عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة، فأصابهم عَوَزٌ من الطعام، فقال: «يا أبا هريرة، عندك شيء؟» قلتُ: شيء من تمر في مِزْوَد لي. قال: «جئ به». فجئتُ بالمزود، فقال: «هات نطعاً»، فجئت بالنطع، فبسطه. فأدخلَ يده، فقبض على التمر، فإذا هو إحدى وعشرون تمرة. قال: ثم قال: «بسم الله». فجعل يضعُ كل تمرة ويسمي؛ حتى أتى على التمر، فقال به هكذا؛ فجمعه؛ فقال: «ادعوا فلاناً وأصحابه»، فأكلوا حتى شبعوا، وخرجوا؛ ثم قال: «ادعوا فلاناً وأصحابه»، فأكلوا، وشبعوا، وخرجوا؛ ثم قال: «ادعوا فلاناً وأصحابه»، فأكلوا وشبعوا وخرجوا وفضل تمر، فقال لي: «اقعد». فقعدت، فأكلتُ وفضل تمر فأخذه فأدخله في المزود فقال: «يا أبا هريرة، إذا أردت شيئاً، فأدخل يدك، فخذ، ولا تكفأ فيكفأ عليك». (أي لا تقلب الإناء لتخرج ما فيه، فتذهب بركته). قال أبو هريرة: فما كنت أريد تمراً إلا أدخلت يدي، فأخذت منه خمسين وسقاً في سبيل الله عز وجل. فكان معلقاً خلف رحلي؛ فوقع في زمان عثمان ابن عفان، فذهب.

قلت: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/١٠٩-١١١) وهو صحيح.

وأخرج الإمام أحمد (٢/٣٢٤)، عن أبي هريرة، قال: أعطاني رسول الله ﷺ شيئاً من تمر، فجعلته في مكتل، (في قفة) فعلقناه في سقف البيت، فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره إصابة أهل الشام، حيث أغاروا بالمدينة. انتهى.

التبرك بقبر سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتبرك به وبمنبره وساريته ومحجنه وقصعته وحجرته وقلامة أظفاره وطلب النصر بِشَعْرِه

قال الذهبي رحمه الله (٤/٤٨٣-٤٨٥):

ابن عجلان عن سهيل وسعيد مولى المهري عن حسن بن حسن بن علي أنه رأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ يدعو له ويصلي عليه فقال للرجل: لا تفعل فإن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني».

هذا مرسل، وما استدل حسن -في فتواه- بطائلٍ من الدلالة، (أي الحديث لا يدل على هذا الفهم والاستدلال) **فمن من وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مُسَلّماً مُصلّياً على نبيه، فيا طوبى له، فقد أحسن الزيارة، وأجمل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه أو في صلاته، إذ الزائر له أجرُ الزيارة وأجر الصلاة عليه، والمصلي عليه في سائر البلاد له أجرُ الصلاة فقط. فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشراً،** ولكن من زاره، صلوات الله عليه، وأساء أدب الزيارة، **أو سجد للقبر أو فعل ما لا يُشرع، فهذا فعل حسناً وسيئاً فَيُعلّم برفق، والله غفور رحيم؛ فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم، والصياح وتقبيل الجدران، وكثرة البكاء، إلا وهو محب لله ولرسوله؛ فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار؛ فزيارة قبره من أفضل القُرب**، وشدُّ الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء، لئن

سلمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فشد الرحال إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مستلزم لشد الرحل إلى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حجرته إلا بعد الدخول إلى المسجد، فليبدأ بتحية المسجد، ثم بتحية صاحب المسجد، رزقنا الله وإياكم ذلك آمين.

قلت: تأمل قول الذهبي (**هذا مرسل**) فقول الحسن رضي الله عنه سنده ضعيف ليس بحجة.

وإن سُلّم ثبوته فموقف السيد الحسن بن الحسن موقف لطيف، فلم **يُبَدِّع ولم يُضلّل**، بل كان أديباً في التوجيه المبني على وجهة نظر له غير ملزمة، ولا تفيد أبداً أيَّ إلزام أو تحريم لِمَا صَدَرَ من الرجل الداعي عند القبر الشريف. وقد وافق عملُ هذا الرجل الداعي: عَمَلَ كثير من أعلام الصحابة الفقهاء، وغيرهم من السلف، الذين ثبت عنهم أنهم دَعَوا عند قبر النبي ﷺ . قال عبد الله بن دينار: رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي ﷺ؛ فيصلي على النبي ﷺ، ويدعو لأبي بكر وعمر.

رواه مالك في الموطأ (برواية أبي مصعب (٥٠٦) وسويد (ص١٤٥) وابن القاسم ، كما في البيان والتحصيل ١٨/٦٠٤).

وفي رواية عنه: يسلم على النبي ﷺ **ويدعو، ثم يدعو** لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

رواه البيهقي في السنن (٥/٢٤٥) من طريق يحيى بن بكير عن مالك به.

وقال الحافظ الذهبي في معجم شيوخه (٧٣/١): أخبرنا أحمد بن عبد المنعم غير مرة، أخبرنا أبو جعفر الصيدلاني كتابة، أخبرنا أبو علي الحداد حضوراً، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا محمد بن عاصم، حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، أنه كان يكره مسَّ قبر النبي ﷺ.

قلت (القائل الذهبي): **كَرِهَ ذلك لأنه رآه إساءة أدب. وقد سئل أحمد بن حنبل عن مسِّ القبـــر النبوي وتقبيله فلم ير بذلك بأساً**. رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد.

فإن قيل: فهلا فعل ذلك الصحابة ؟

قيل: لأنهم عاينوه حياً، وتملوا به وقبّلوا يده، وكادوا يقتتلون على وَضوئه، واقتسموا شعره المطهَّر يوم الحج الأكبر. وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه.

ونحن لما لم يصحَّ (أي لم يقع) لنا مثل هذا النصيب الأوفر **ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل**. ألا ترى كيف فعل ثابت البناني؟ كان يقبِّل يد أنس بن مالك ويضعها على وجهه ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ.

وهذه الأمور لا يحركها من المسلم إلا فرطُ حبه للنبي ﷺ، إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين، ومن أمواله ومن الجنة وحورها، بل خَلْقٌ من المؤمنين يحبون أبا بكر وعمر أكثر من حب أنفسهم.

حكى لنا جُندار أنه كان بجبل البقاء فسمع رجلاً سبَّ أبا بكر، فسل سيفه وضرب عنقه، ولو كان سمعه يسبه أو يسب أباه لما استباح دمه، ألا ترى الصحابة في فرط حبهم للنبي ﷺ قالوا: ألا نسجد لك؟ فقال: لا.

فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال وتوقير، لا سجود عبادة، كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف.

وكذلك القول في **سجود المسلم لقبر النبي ﷺ على سبيل التعظيم والتبجيل لا يكفر به أصلاً، بل يكون عاصياً، فَلْيُعَرَّف أن هذا منهي عنه، وكذلك الصلاة إلى القبر**. انتهى كلام الحافظ الذهبي رحمه الله.

وقال المعلق على سير أعلام النبلاء (٤/٤٨٥): قصد المؤلف رحمه الله بهذا الاستطراد الرد على شيخه ابن تيمية الذي يقول بعدم جواز شد الرحل لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرى أن على الحاج أن ينوي زيارة المسجد النبوي كما هو مبين في محله. انتهى كلام المعلق.

ولا يخفى على كل ذي علم أن ابن تيمية خالف الإجماع في ذلك وفسر الحديث تفسيراً لا يستقيم مع اللغة ولا مع الشرع، وجموده أورثه حكماً مشيناً هو حرمة شد الرحال من أجل زيارة أشرف البشر صلى الله عليه وآله وسلم. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/٦٦): **وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية**. ومِن جملة ما استَدل به على دَفعِ ما ادعاه غيره مِن الإجماع على مشروعية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما نُقل عن مالك أنه كره أن يقول: زرت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أجاب عنه المحققون من أصحابه بأنه كره اللفظ أدباً لا أصل الزيارة، فإنها من أفضل الأعمال وأجل القُربات الموصلة إلى ذي الجلال، وأن مشروعيتها محل **إجماع بلا نزاع**، والله الهادي إلى الصواب.

قال بعض المحققين: قوله: «إلا إلى ثلاثة مساجد» المستثنى منه محذوف، فإما **أن يُقدر عاماً** فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان، في أي أمر كان، إلا إلى الثلاثة. **أو أخص** من ذلك. لا سبيل إلى **الأول (أي العموم)** لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها، فتعين **الثاني**.

والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو: **لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة**. فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين والله أعلم.

وقال السبكي الكبير: ليس في الأرض بقعة لها **فضل** لذاتها حتى تشد الرحال إليها غير البلاد الثلاثة، ومرادي بالفضل ما شهد الشرع باعتباره ورُتب عليه حكماً شرعياً، وأما غيرها من البلاد فلا تشد إليها لذاتها، بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات.

قال: وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة: داخل في المنع، وهو خطأ لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لا تشد الرحال إلى **مسجد** من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة. وشدُّ الرحال إلى زيارة أو طلب علمٍ ليس إلى المكان بل إلى **من في ذلك المكان** والله أعلم.

انتهى كلام الحافظ. وانظر تقرير هذا في شرح الكرماني (٧/١٢) والعيني (٦/٢٧٦).

وذكــر الحافظ الفقيه الصلاح العلائي المسائل التي تفرد بها ابن تيمية، وقال: «ومــنها...أن إنشــاء السفر لزيارة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم معصية لا تقصــر فيها الصلاة، وبالغ في ذلك ولم يقل به أحد من المسلمين قبله. انتهى كلامه. نقله العلامة الكوثري في تكملة الرد على النونية (ص١٤٣).

وقال الحافظ الفقيه أبو زرعة العراقي في تكملة طرح التثريب (٤٢/٦): وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام بشع عجيب، يتضمن منع شد الرحال للزيارة، وأنه ليس من القُرب بل بضد ذلك، ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام، فشفى صدور قوم مؤمنين. انتهى كلامه.

وقال أيضاً في الأجوبة المرضية (ص ٩٦-٩٨): وما أبشع مسألتي ابن تيمية في الطلاق والزيارة، وقد رد عليه فيهما معاً الشيخ تقي الدين السبكي، وأفرد ذلك بالتصنيف فأجاد وأحسن. انتهى كلامه.

ثم إنه لا شك أن المقصود من الزيارة وشد الرحال هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس التراب أو البقعة التي هو فيها، فصارت زيارته مشروعة حتى عند ابن تيمية، فإنه قال في الفتاوى (٢١/٢٧): قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» يتناول المنع من السفر إلى **كل بقعة مقصودة**، بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك، فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت، **وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله فإنه هو المقصود حيث كان**. انتهى كلامه.

ونحن نقول: السفر لزيارة حضرة جناب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

وسلم **هو المقصود**، وليس المكان الذي دُفن فيه، فصارت زيارته صلى الله عليه وآله وسلم مشروعة، وإطلاق (القبر) من باب المجاز المرسل.

ومع هذا فإن الحديث لا يشمل النهي عن زيارة القبور ولا النهي عن شد الرحال إلى غير تلك المساجد الثلاثة، ومفهوم الحديث أن **الفضيلة التامة** إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة. هكذا فهم العلماء الربانيون من هذه الأمة، مثل الإمام النووي في شرح مسلم (١٠٦/٩) وابن قدامة الحنبلي في المغني (١٠٣/٢-١٠٤) وابن مفلح الحنبلي في المبدع (١٠٧/٢) وجعلاه هو الصحيح في تفسير الحديث، واستدل ابن قدامة بحديث زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمسجد قباء راكباً وماشياً، وحديث زوروا القبور.

وهذا المفهوم هو الذي فهمه الصحابة الفقهاء الأعلام، مثل سيدنا عمر وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: **لو كان مسجد قباء في أفق من الآفاق ضربنا إليه أكباد المطي.**

رواه عبد الرزاق في المصنف (١٣٣/٥). وإسناده قوي. وله طريق آخر رواه ابن شبة في تاريخ المدينة لمنورة (٤٩/١)، فصار صحيحاً.

ولا تنس أن سيدنا عمر رضي الله عنه ممن رووا حديث: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...»، فلو كان النهي للتحريم لما قال هذا الكلام السابق في حق مسجد قباء.

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: **لأنْ أصلي في مسجد قباء ركعتين أحبُّ إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما في قباء لضربوا**

إليه أكباد الإبل.

رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٤٢/١). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٩/٣): **إسناده صحيح.**

وقال سعد أيضاً: لو كنت من أهل مكة ما أخطأني جمعة لا أصلي فيه، يعني مسجد الخيف، ولو يعلم الناس ما فيه **لضربوا إليه أكباد الإبل**، ولأن أصلي في مسجد الخيف ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين فأصلي فيه.

رواه الفاكهي في أخبار مكة (٢٦٧/٤). ورواه ابن أبي شيبة (٣٧٣/٢) من طريق آخر مختصراً.

فائدة جليلة: قال ابن القيم في بدائع الفوائد (١٦٨/٣): قال ابن عقيل: سألني سائل: أيما الأفضل حجرة النبي ﷺ أو الكعبة؟ فقلت: إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل، **وإن أردت وهو فيها**؛ فلا والله ولا العرش وحَمَلَته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة؛ لأن بالحجرة جسداً لو وُزن بالكونين لرجح. اهـــ .

وقال القاضي عياض في الشفا (٩١/٢): لا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض. اهـــ . وقال القسطلاني في المواهب (٦٠٢/٤): أجمعوا على أن الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة. اهـــ. وقال أبو اليمن ابن عساكر في الإتحاف (ص٣٦): أفضل بقاع الأرض على الإطلاق. اهـــ. ونقل السمهودي في الوفا (٢٨/١) هذا الاتفاق عن التاج الفاكهي ثم قال: وأقول أنا: أفضل بقاع السماوات أيضاً.

انتهى كلامي، وعذراً من هذه الإطالة فإنها من الضروريات.

قال الذهبي رحمه الله (٥/٣٥٨-٣٥٩): قال مصعب بن عبد الله: حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي قال: **كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه، فكان يُصيبه صُمات (أي إغلاق واعتقال في اللسان) فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يرجع، فعوتب في ذلك! فقال: إنه يصيبني خطر فإذا وجدت ذلك استعنت بقبر النبي ﷺ. وكان يأتي موضعاً من المسجد (مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم) يتمرغ فيه ويضطجع، فقيل له في ذلك؟ فقال: إني رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الموضع.**

قلت: وجاء نصه في تاريخ الإسلام للذهبي (٨/٢٥٦ حوادث سنة ١٢١-١٤٠):

إنه تصيبني خطرة، فإذا وجدت ذلك استغثت بقبر النبي ﷺ. انتهى.

وهذه الرؤيا إما أن تكون مناماً؛ وإما أن تكون يقظة، فإن رؤية النبي ﷺ يقظة غير ممتنعة عقلاً ولا شرعاً، والأدلة على ذلك كثيرة منها قول النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة**». حديث صحيح صحيح، رواه أحمد (١/٤٠٠) وابن ماجه (٢/١٢٨٤) والبزار (٧/٢٠١) والطيالسي (١/٣١٧) والطبراني في الأوسط (مجمع ٧/١٨١) والكبير (مجمع ٧/١٨١ و١٨٢) من طرق عنه ﷺ. وقال النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**». رواه البخاري (٦٩٩٣). وانظر للفائدة: في فتح الباري (١٢/٣٨٥).

وأحب أن أعرِّف على وجه السرعة، بهذا الإمام الجليل الثقة محمد بن المنكدر، قال الحافظ الذهبي في السير (٥/٣٥٣) **الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام. قال ابن حبان: كان من سادات القراء، لا يتمالك البكاء إذا قرأ**

حديث رسول الله ﷺ. وقال مالك: كان ابن المنكدر سيد القراء. وقال يحيى بن الفضل الأنيسي: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله وسألوه، فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرت بي آية ؟ قال: وما هي؟ قال: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فبكى أبو حازم معه فاشتد بكاؤهما.

قال مالك: كان محمد بن المنكدر لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي. وقال ابن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت. وقال يعقوب الفسوي: هو غاية في الإتقان والحفظ والزهد. حجة.

وقال سفيان: كان ابن المنكدر يقول: كم من عين ساهرة في رزقي في ظلمات البر والبحر. وكان إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.

توفي ابن المنكدر سنة ١٣٠ تقريباً. فمثل هذا الإمام العظيم يصدر منه ما تقدم، ويتبرك بقبر سيد الأكوان صلى الله عليه وآله وسلم. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٢/٤٠٠ و٤٠٤): الإمام الحافظ الرباني الزاهد العابد القدوة محمد بن إسماعيل البخاري ﷺ : [قال البخاري:] وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الليالي المقمرة ، وقلّ اسم في التاريخ إلا وله قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ يقولـــون: حوَّل محمد بن إسماعيل تراجم جامعه **بين قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.**

قلت: صنفه عند القبر الشريف ليستمد البركة من سيدنا رسول الله ﷺ، فإنه حي في قبره ﷺ . و لَيْتَ البخاري ذكر هذه القصص، فإنها تحتوي العجائب مـــن أمثال هذه القصص التي ذكرها الحافظ الذهبي. وقولُ البخاري المذكور رواه الخطيب في التاريخ (٢/٧٠). انتهى.

التبرك بسارية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره

قال الذهبي رحمه الله (٥/٢١١) في ترجمة الإمام العالم الكبير الثقة الحافظ الفقيه الحكم بن عتيبة الكوفي: قال مغيرة: **كان الحكم إذا قدم المدينة فُرغت له سارية النبي ﷺ يصلي إليها.**

قلت: إسناده صحيح، وأورده الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/١١٧). والحكم بن عتيبة إمام كبير، قال الأوزاعي: قال لي يحيى بن أبي كثير ونحن بمنى: لقيت الحكم بن عتيبة؟ قلت: نعم. ـــ وفي رواية قال الأوزاعي: حججت فلقيتُ عبدة ابن أبي لبابة فقال لي: هل لقيت الحكم؟ قلت: لا. قال: فالقه ـــ فما بين لابتيها أفقه منه. وبها عطاء وأصحابه. وقال ابن معين: كان الحكم صاحب عبادة وفضل. وقال العجلي: كان الحكم ثقة ثبتاً فقيهاً صاحب سنة واتباع. توفي سنة ١١٥ . انظر السِّير (٥/٢٠٨-٢١٣) وتذكرة الحفاظ (١/١١٧).انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٨/٥٤) في ترجمة الإمام شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى: قال مصعب الزُّبَيري: سمعت ابن أبي الزبير، يقول: حدثنا مالك، قال: **رأيت عطاء بن أبي رباح دخل المسجد، وأخذ برمانة المنبر، ثم استقبل القبلة.**

قلت: أخذ عطاء رمانة منبر النبي ﷺ ليتبرك بها، لأنها نالت البركة أفضل مخلوق على الإطلاق.

وأما عطاء بن أبي رباح فقد وصفه الذهبي في السير (٥/٧٨) فقال: الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم، حَدَّث عن عائشة وأم سلمة وأم هانىء وأبي هريرة وابن عباس وحكيم بن حزام ورافع بن خديج وزيد بن أرقم وزيد بن خالد الجهني وصفوان بن أمية وابن الزبير وعبد الله بن عَمرو وابن عُمر وجابر ومعاوية وأبي سعيد **وعدة من الصحابة. قال عطاء: أدركت مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.**

وحدَّث عنه أمم من أعلام التابعين وأتباعهم.

(حدَّث) الثوري عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن أمه أنها أرسلت إلى ابن عباس تسأله عن شيء؟ **فقال: يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء؟!**

(وفي رواية أن قائل ذلك هو) ابن عمر.

وقال بشر بن السري عن عمر بن سعيد عن أمه **أنها رأت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامها فقال لها: سيد المسلمين عطاء بن أبي رباح.**

توفي سنة ١١٥ هـ. انتهى باختصار.

فماذا يقول المتنطعون في عطاء بن أبي رباح ؟! أهو مبتدع لما تبرك برمانة منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مرأى من الإمام الفقيه الحافظ مالك بن أنس؟! وعلى مرأى من أعلام الأمة وعلمائها من السلف؟

ولم يكن عطاء أول من تبرك برمانة المنبر، بل كان الصحابة يفعلون ذلك، فقد قال ابن أبي شيبة في المصنف (١٢١/٤/٢) ما نصه: **(في مس منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم).** ثم قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني أبو مودود قال: حدثني يزيد بن عبد الله ين قسيط قال: **رأيت نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعا فمسحوها ودعوا. قال: ورأيت يزيد يفعل ذلك).**

إسناده صحيح، ووقع في مطبوع المصنف تحريف في السند. انتهى.

طلب النصر بشَعره ﷺ والتبرك به

قال الحافظ الذهبي (٣٧٤/١-٣٧٥): قال هشيم: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها. فلم يجدوها. ثم وجدت فإذا هي قلنسوة خَلَقَة (أي بالية). فقال خالد: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فحلق رأسه، فابتدر الناس شَعره، فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسوة، **فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقتُ النصر.**

ابن وهب: عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبد الرحمن بن الحارث:

أخبرني الثقة أن الناس يوم حلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابتدروا شَعره، فبدرهم خالد إلى ناصيته، فجعلهآ في قَلَنْسُوَته.

قلت: رواه أبو يعلى في مسنده (١٣٨/١٣) وسعيد بن منصور (كما في الإصابة ٢/٢٥٣-٢٥٤) والحاكم في المستدرك (٢٩٩/٣) وأبو نعيم في الدلائل (٥٧٣/٢) عن الطبراني في الكبير (١٠٤/٤) ومن طريقه الذهبي في السير (١٣٠/١٦) من طريق عبد الحميد، به.

ولفظ أبي يعلى في آخره: **فما وجهت في وجه إلا فتح لي.**

وعزاه الحافظ في الفتح (١٠١/٧)، إلى سعيد بن منصور وسكت عنه. وقال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في إتحاف الخيرة (٣٦١/٩): رواه أبو يعلى بسند صحيح. اهـــ . وقد ذكر الذهبي شاهداً له من طريق ابن وهب، كما تقدم. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٣٠٨/٢): عفان: حدثنا حماد: أخبرنا ثابت، عن أنس: أن النبي ﷺ لما أراد أن يحلق رأسه بمنى، أخذ أبو طلحة شق شعره، فجاء به إلى أم سليم، **فكانت تجعله في سُكِّها** (أي طِيبها). قالت: وكان يقيل عندي على نِطْعٍ (بساطٍ من جلد) وكان مِعراقاً (كثير العرق) ﷺ ، فجعلت أسلت العرق في قارورة. فاستيقظ، فقال: «ما تفعلين»؟ قلت: أريد أن أدوفَ (أخلط) طيبي.

قلت: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٢٨/٨-٤٢٩) وأحمد في المسند (٣/ ٢٨٧) وإسناده صحيح. وقد تقد من غير وجه وغير لفظ. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٥٨/٣-١٦٠) عن ابن عباس ، قال: لما احتضر معاوية، قال: **إني كنت مع رسول الله ﷺ على الصفا، وإني دعوت بمشقص، فأخذت من شعره، وهو في موضع كذا وكذا، فإذا أنا مت،**

فخذوا ذلك الشعر، فاحشوا به فمي ومنخري.

وروي بإسناد عن ميمون بن مهران نحوه.

وقيل: إن معاوية قال ليزيد: **إن أخوف ما أخافه شيء عملته في أمرك**[1]، **شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً قلم أظفاره، وأخذ من شعره، فجمعت ذلك، فإذا مت، فاحش به فمي وأنفي.**

عبد الأعلى بن ميمون بن مهران: عن أبيه، أن معاوية أوصى فقال:

كنت أوضئ رسول الله ﷺ، فنـــزع قميصه وكسانيه، فرفعته، وخبأتُ قلامة أظفاره، فإذا مت، فألبسوني القميص على جلدي، واجعلوا القلامة مسحوقة في عيني، فعسى [الله أن يرحمني ببركتها].

قلت: إسناده صحيح. ويزداد صحة بالطرق الأخرى، وما بين المعقوفتين من تاريخ الطبري. والحديث أخرجه الطبري في تاريخه (١٨٢/٦) قال: حدثني أحمد بن زهير عن سليمان بن أيوب.

وأخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (١٦٠/٥) قال: حدثني هشام بن عمار عن عبد الحميد بن حبيب:

وأخرجه ابن سعد في الطبقات ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (مخطوط ج ١٦/ورقة٣٧٩/أ) قال ابن سعد: أخبرنا علي بن محمد عن سليمان بن أيوب:

---

[1] يعني ولاية العهد، وتولية ابنه يزيد مع وجود من هو أفضل منه وأحق بالخلافة منه بمليار مرة، مثل السيد الحسين بن علي عليه السلام، وغيره من عظماء الصحابة.

كلاهما (سليمان وابن حبيب) عن الأوزاعي عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه أن معاوية قال في مرضه الذي مات فيه: كنت أوضئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: «ألا أكسوك قميصاً؟» قلت: بلى بأبي أنت وأمي، فنــــزع قميصاً كان عليه فكسانيه فلبسته لبسة ثم رفعته (حفظه عنده لئلا يبلى) وقلم (ﷺ) أظفاره فأخذتُ القلامة فجعلتها في قارورة، فإذا مت فاجعلوا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جلدي، وقطّعوا تلك القلامة واسحقوها واجعلوها في عيني، فعسى **الله أن يرحمني [ببركتها]**.

واللفظ لابن عساكر والزيادة من الطبري، ولفظه: قال معاوية في مرضه الذي مات فيه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كساني قميصاً فرفعته، وقلم أظفاره يوماً فأخذت قلامته فجعلتها في قارورة، فإذا مت فألبسوني ذلك القميص وقطعوا تلك القلامة واسحقوها وذروها في عيني وفي فيَّ (أي فمي) **فعسى الله أن يرحمني ببركتها.**

وأخرجه الطبري قال: حدثني أحمد زهير عن علي عن سليمان بن أيوب عن علي بن مجاهد عن عبد الأعلى، به.

وأورده البلاذري (٥/١٥٩) عن المدائني عن علي بن مجاهد، به.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج١٦/ورقة٣٧٩/أ) قال: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، أخبرنا أبو بكر اللالكائي، أخبرنا أبو الحسين المعدل، أخبرنا أبو علي البردعي، حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا زكريا بن يزيد، حدثنا علي بن عاصم، عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن طاووس

عن ابن عباس قال: **لما احتضر معاوية قال: يا بني إني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا، وإني دعوت بمشقص فأخذت من شعره، وهو في موضع كذا و كذا، فإذا أنا مت فخذ ذلك الشعر فاحشو به فمي ومنخري.**

وأخرجه ابن عساكر أيضاً (ج١٦/٣٧٩/ب/٣٨٠/أ) من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: كان يزيد في بعض المواضع فجاءه الرسول بمرض معاوية فركب... (حتى أتى أباه ودخل عليه) ثم قال له: يا بني إني صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرجت معه ذات يوم فكساني أحد ثوبيه الذي يلي جلده فخبأته لمثل هذا اليوم، فإذا أنا مت فأشعرني ذلك القميص دون كفني يلي جلدي، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شعره وأظفاره فأخذته فخبأته لمثل هذا اليوم وخذ ذلك الشعر والأظفار فاجعله على فمي وعيني وفي مواضع السجود فإن ينفع شيء فالله غفور رحيم.

قال الحافظ ابن عساكر عقب هذا الطريق: والصحيح أن يزيد لم يدركه حياً وإنما جاء بعد موته. اهـ. قلت: قول معاوية صحيح له شواهد، وذِكْرُ وجود يزيد لعله خطأ من أحد الرواة. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٤/٤٢-٤٣) في ترجمة الإمام العلم الفقيه الثقة المتقن التابعي الجليل عَبيدة بن ناجية السَّلْماني رحمه الله:

قال محمد (بن سيرين): لعبيدة: إن عندنا من شعر رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم شيئاً من قِبل أنس بن مالك. فقال [عَبيدة]: **لأن يكون عندي منه شعرة أحب إلي من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.**

قلت (القائل الذهبي): هذا القول من عَبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يُؤْثِرَ شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس، ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمسين سنة؛ فما الذي نقوله نحن في وقتنا؟! لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت أو شسع نعل كان له، أو قلامة ظفر أو شقفة من إناءٍ شربَ فيه. فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده أكنتَ تعده مبذراً أو سفيهاً ؟ كلا ، فابذل مالك في زورة مسجده الذي بنى فيه بيده، والسلام عليه عند حجرته في بلده، والتذّ بالنظر إلى «أُحُدِه» وأحِبَّه، فقد كان نبيك صلى الله عليه وآله وسلم يحبه، وتَمَلَّ بالحلول في روضته ومقعده، فلن تكون مؤمناً حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم. وقَبِّلْ حجراً مكرماً نزل من الجنة، و ضَعْ فمك لاثماً مكاناً قَبَّلَه سيد البشر بيقين.

فهنأك الله بما أعطاك فما فوق ذلك مفخر، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحجر ثم قبَّل محجنه لَحُقّ لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل، ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله.

وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبَّلها ويقول: يَدٌ مَسَّت يدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فنقول نحن إذ فاتنا ذلك: حَجرٌ مُعظَّم بمنــزلة يمين الله في الأرض مسّته شفتا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لاثماً له. فإذا فاتك الحج وتلقيت الوفد، فالتزم الحاج وقبِّل فمَه وقل: فَمٌ مَس بالتقبيل حَجراً قَبَّله خليلي صلى الله عليه وآله وسلم.

قلت: قول عبيدة: رواه ابنُ سعد في الطبقات (٩٥/٦) وما بين المعقوفتين منه. وروى البخاري في صحيحه (١٧٠) عن محمد بن سيرين قال: قلت لعَبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه مِن قِبَل أنس أو مِن قِبَلِ أهل أنس. فقال: **لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها.**

وقال أنس: لما حلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره.

رواه البخاري (١٧١).

أبو طلحة هو زوج أم سليم والدة أنس. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٧٤/١): **فيه التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه.** انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٤٣/٥) في ترجمة الإمام العابد الصالح الولي القانت الأواه الثقة عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

(روى) ابن وهب، عن مالك أن صالح بن علي الأمير سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز فلم يجد من يخبره، حتى دُل على راهب، فسأله، فقال: قبرَ الصدّيق تريدون؟ هو في تلك المزرعة.

(قال) ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا محمد بن مسلم بن جماز، عن

عبد الرحمن بن محمد قال: أوصى عمر بن عبد العزيز عند الموت، **فدعا بشعر من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأظفاره فقال: اجعلوه في كفني.**

قلت: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٠٦/٥) وتقدم أن محمد بن عمر إمام حجة في التاريخ. انتهى.

وروى الذهبي رحمه الله (٤١٧/٧): عن أنس قال: «رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحلاّقُ يحلقه، **وقد اجتمع أصحابه، فما تسقط من شعرة إلا بيد رجل**».

قلت: الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٢٥). قال الإمام النووي رحمه الله تعالى (طبعة أبي حيان ٩١/٨) وفيه (أي في الحديث) **التبرك بآثار الصالحين، وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم، وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية، وتبركهم بشعره الكريم وإكرامهم إياه أن يقع شيء منه إلا في يد رجل سبق إليه.** انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢١٢/١١) في ترجمة الإمام الأعظم أحمد بن حنبل:

ومن آدابه:

قال عبد الله بن أحمد: **رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيضعها على فيه يقبّلها. وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به.**

ورأيته أخذ قصعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغسلها في حُب (أي جرة) الماء، ثم شرب فيها، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

قلت (القائل الذهبي): أين المتنطع المنكر على أحمد ؟! وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأساً.

(ثم قال الذهبي مباشرة): أعاذنا الله وإياكم من رأى الخوارج ومن البدع.؟!

قلت: وسؤال عبد الله لأبيه مرويٌّ في كتاب العلل (٢/٣٢ رقم٢٥٠) قال عبد الله: سألته عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويتبرك بمسه، ويقبّله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، أو نحو هذا؛ يريد بذلك التقرب إلى الله عز وجل ؟

فقال: لا بأس بذلك. انتهى نصه بحروفه.

وهو أيضاً في النسخة التي طبعت في المكتب الإسلامي (٢/٤٩٢ رقم ٣٢٤٣)، تحقيق وصي الله عباس (السلفي).

قال الحافظ العراقي: أخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال: رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقبيل غيره؟ فقال: لا بأس بذلك. فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عندي أحمد جليل !! يقول هذا ؟! قال: وأي عجب في ذلك ؟!!

من هامش الرد المحكم المتين (ص٢٧٣).

وفتوى الإمام أحمد رحمه الله ثابتة عنه بلا شك، فقد رواها عنه ابنه وهو أوثق من روى الكتبَ عن أبيه، وقد انتقل أبوه إلى الله وابنه بين أحضانه، وهذا المسند لم يأتنا من طريق أحد غير عبد الله بن أحمد، وكذلك الحال في غالب كتبه. وزيادة على ذلك نَقْلُ الحفاظ الأثبات هذه الفتوى عن أحمد، مثل المحقق الناقد الحافظ الذهبي، والحافظ الصلاح العلائي، وغيرهما من الحفاظ. انتهى.

ذكــر الذهــبي رحمـــه الله (١١/٢٥٠) خبر المحنة التي ابتلي بها الإمام أحمد، وأحوالَــه وهو يعذَّب ويُضرَب، ثم نقل عن الإمام أحمد وهو تحت التعذيب قولَه: **وقد كان صار إليّ شعر من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كُـــمّ قميصي**، فوجَّه إليّ إسحاق بن إبراهيم يقول: ما هذا المصرور ؟ **قلت: شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**، وسعى بعضهم ليخرق القمـــيص عني !! فقال المعتصم: لا تخرقوه. فنـــزع فظننت أنه إنما درئ عن القميص الخرق بالشَّعر.

وقـــال الذهبي (١١/٣٣٧): [قال] الخلال: أخبرني عصمة بن عصام، حدثنا حنـــبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله (أحمدَ بن حنبل) **وهـــو في الحـــبس ثلاثَ شعرات فقال: هذه من شعر النبي صلى الله عليه وآلـــه وسلم. فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة؛ وشعرة على لسانه. ففعل ذلك عند موته.**

قلت: قال ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (١٨٦-١٨٧): (الباب الرابع والعشرون في ذكر **تبركه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم وشعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقصعته**).

ثم روى ابن الجوزي عن صالح ابن الإمام أحمد قال: كنت ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحاً فيه ماء فيقرأ فيه ثم يقول: اشرب منه واغسل وجهك ويديك.

وروى ابن الجوزي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: **رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضعها على فيه ويقبّلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغمسها في الماء، ثم يشربه يستشفي به، ورأيته قد أخذ قصة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغسلها في حب الماء –أي الجرة– ثم شرب فيها**، ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفي به، و يمسح به بدنه ووجهه.

وروى ابن الجوزي في (ص ٤٠٦-٤٠٧) عن حنبل قال: **أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله (الإمام أحمد) وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذا من شعر النبي ﷺ. فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يُجعل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففعل به ذلك عند موته**. اهـ .

ومن آثار تبركه بشعر سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته رضي الله عنه، ما قاله الحافظ الذهبي في السير (٢٣١/١١): **استفاض وثبت أن** الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مائة ببغداد عام على مقابر مقبرة أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز علو ذراع، **ووقف بقدرة الله، وبقيت الحصر حول قبر الإمام بغبارها، وكان ذلك آية**. اهـ .

فائدة جليلة: قال العلامة ابن الجوزي الحنبلي في مناقب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ص ٤٥٤-٤٥٥): حدثني أبو بكر بن مكارم بن أبي يعلى الحربي، وكان شيخاً صالحاً، قال: كان قد جاء في بعض السنين مطر كثير جداً قبل دخول رمضان بأيام، فنمت ليلة في رمضان، فأريت في منامي كأني قد جئت على عادتي إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل أزوره، فرأيت قبره قد التصق بالأرض مقدار ساف أو سافين، فقلت: إنما تم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث، فسمعته من القبر يقول: لا، بل هذا من هيبة الحق عز وجل، لأنه عز وجل قد زارني؛ فسألته عن سر زيارته إياي في كل عام؟ فقال عز وجل: يا أحمد لأنك نصرت كلامي، فهو ينشر ويتلى في المحاريب. **فأقبلت على لحده أقبّله.**

ثم قلت: **يا سيدي ما السر في أنه لا يُقبَّل قبر إلا قبرك؟** (أي من بين القبور الموجودة في المقبرة) فقال لي: يا بني ليس هذا كرامة لي ولكن هذا كرامة لرسول الله ﷺ، **لأن معي شعرات من شعره ﷺ**، ألا ومن يحبني لم لا يزورني في شهر رمضان؟! قال ذلك مرتين.

وقـــال الذهبي رحمه الله (١٢/٤٥٣) في ترجمة **الإمام الحافظ الرباني الزاهد العـــابد القدوة محمد بن إسماعيل البخاري** ﷺ: قال محمد الوراق: دخل **أبو عـــبد الله (البخاري) بفربر الحمامَ وكنتُ أنا في مشلح الحمام أتعاهد عليه ثـــيابه، فلما خرج ناولته ثيابه فلبسها ثم ناولته الخف فقال: مسستَ شيئاً**

فـــيه شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقلت: في أي موضع هو من الخف؟ فلم يخبرني فتوهمت أنه في ساقه بين الظهارة والبطانة.

وقـــال الذهبي رحمه الله: (١٣/٥٤٥-٥٤٧): أبو جعفر الترمذي هو **الإمام العلامـــة شيخ الشافعية بالعراق في وقته...الزاهد.** ولد سنة ٢٠١...قال الدارقطني: **ثقة مأمون ناسك...** ونقل الشيخ محيي الدين النووي أن أبا جعفر جزم بطهارة شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد خالف في هذه المسألة جمهور الأصحاب.

قلت (القائل هو الذهبي): يتعين على كل مسلم القطع بطهارة ذلك وقد ثبت أنـــه صلى الله عليه وآله وسلم لما حلق رأسه فرق شعره المطهر على أصحابه إكراما لهم بذلك. **فوا لهفي على تقبيل شعرة منها.**

وقال الذهبي رحمه الله (١٦/٤٨٤ و٤٨٧): ابن حنـــزابة الإمام الحافظ الثقة الوزير الأكمل أبو الفضل جعفر ابن الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر...ولد سنة (٣٠٨).

قيل: **كان ابن حنـــزابة متعبداً، ثم يفطر ثم ينام، ثم ينهض في الليل ويدخل بيت مصلاه فيصفُّ قدميه إلى الفجر.**

قال المسبِّحي: **لما غُسل ابن حنـــزابة جعل فيه ثلاث شعراتٍ من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أخذها بمالٍ عظيم.**

قال ابن طاهر: رأيت عند الحبال كثيراً من الأجزاء التي خُـــرِّجـــت لابن

حنـــزابة، وفي بعضها: **الجزء الموفي ألفاً من مسند كذا، والجزء الموفي خمس مائة من مسند كذا**، وكذا سائر المسندات. ولم يزل ينفق في البِر والمعروف الأموال، **وأنفق كثيراً على أهل الحرمين إلى أن اشترى داراً أقرب شيء إلى الحجرة النبوية، وأوصى أن يدفن فيها**، وأرضى الأشراف بالذهب. فلما حمل تابوته من مصر تلقوه ودفن في تلك الدار.

توفي سنة ٣٩١ .

وقال الذهبي رحمه الله (٢٣/٣٦٣):

الباخرزي **الإمام القدوة شيخ خراسان** سيف الدين أبو المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد... **أهدت له ملكة بنت أُزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان سنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي كُسر يوم أحد...**

قلت: للكلام تتمة انظرها آخر الكتاب. انتهى.

التبرك بمواضع مسها جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال الحافظ الذهبي رحمه الله (٣/٢١٣) في ترجمة الإمام القدوة شيخ الإسلام الصحابي الفقيه الورع عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

ابن وهب: عن مالك، عمن حدثه، أن ابن عمر كان **يتبع أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك.**

قال نافع: **لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لقلت: هذا مجنون.**

عبد الله بن عمر، عن نافع: أن ابن عمر **كان يتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس.**

وقال نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو تركنا هذا الباب للنساء» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات.

قلت: كان ابن عمر رضي الله عنهما مشهوراً بشدة الاقتداء برسول الله ﷺ في كل شؤونه، وليس هذا التحري بدعة ولا منكراً؛ خلافاً للخوارج، فإن المحب يفعل العجائب، وقد أُمرنا بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه وتوقيره، ومن أعظم ثمرات الحب هو الاتباع على أكمل وجه،

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم، وبلغت المحبة فيهم إلى حد لا يكاد يوصف، فقد قال سيدنا أنس رضي الله عنه: **ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي. ثم يبكي**. أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٢٠) ورجاله ثقات.

وكان ابن عمر إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى.

أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣١/ ١٢٥-١٢٦).

وثبت بالأسانيد الصحيحة عن سيدي ابن عمر أنه كان شديد التتبع لآثار سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن ذلك ما أورده الحافظ الذهبي رحمه الله آنفاً عن ابن وهب. وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة (برقم ٤٩١) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ١١٩-١٢٠).

وحديث عبد الله بن عمر هو العمري، الذي ذكره الذهبي في تعاهد الشجرة أخرجه البيهقي في السنن (٥/ ٢٤٥) وابن عساكر (٣١/ ١٢١) ولكن جاء عندهما: (عبيد الله بن عمر). قلت: تَعَاهُدُ الشجرة رواه البيهقي في السنن (٥/ ٢٤٥). ورواه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٥١): ذكر تتبع بن عمر آثار رسول الله ﷺ واستعماله سنته بعده... عن نافع قال: كان ابن عمر يتتبع آثار رسول الله ﷺ وكلّ منـــزل نزله رسول الله ﷺ ينـــزل فيه، فنـــزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرَة، فكان ابن عمر يجيء بالماء فيصبه في أصل السَّمُرة كيلا تيبس.

وحديث باب النساء أخرجه ابن سعد (٤/ ١٦٢)، وهو متفق على صحته كما قال الذهبي في تاريخ الإسلام (٥/ ٤٥٩ حوادث ٦١-٨٠). وأخرجه ابن عساكر (٣١/ ١٢١).

وقال الزبير بن بكار في نسب قريش (ص٣٥٠-٣٥١) ورواه من طريقه ابن

عساكر (٣١/١٢١-١٢٢): كان (ابن عمر) يتحفظ ما يسمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويسأل من حضر، إذا لم يحضر، عن ما قال رسول الله ﷺ أو فعل، **وكان يتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يعرض براحلته في كل طريق مر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقال له في ذلك فيقول: إني أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلة رسول الله ﷺ.**

ومن هذا التحري وتتبع الآثار النبوية ما أخرجه البخاري في صحيحه، باب المساجد التي على طرق المدينة، والمواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ. ثم روى عن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله **يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها**، **ويحدّث أن أباه** (ابن عمر) **كان يصلي فيها وأنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في تلك الأمكنة**. وحدثني نافع عن ابن عمر أنه **كان يصلي في تلك الأمكنة**. وسألت سالماً فلا أعلمه إلا وافق نافعاً في الأمكنة كلها، إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء.

وعن نافع أن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينـــزل بذي الحليفة حين يعتمر وفي حجته حين حج تحت سمرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو حج أو عمرة هبط من بطن واد، فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية، فعرس ثَمّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بحجارة ولا على الأكمة التي عليها المسجد، كان ثَمّ خليج يصلي عبد الله عنده في بطنه كُثُب كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثَمّ يصلي، فدحا

السيل فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلي فيه.

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بشرف الروحاء، **وقد كان عبد الله يعلّم المكان الذي كان صلى فيه النبي ﷺ** يقول: ثَمّ عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك.

وأن ابن عمر كان يصلي إلى العِرق الذي عند منصرف الروحاء، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة وقد ابتُني ثَمّ مسجدٌ، فلم يكن عبد الله يصلي في ذلك المسجد كان يتركه عن يساره ووراءه ويصلي أمامه إلى العرق نفسه. وكان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلي الظهر حتى يأتي ذلك المكان فيصلي فيه الظهر، وإذا أقبل من مكة فإن مر به قبل الصبح بساعة أو من آخر السحر عرَّس حتى يصلي بها الصبح.

وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينـــزل تحت سَرحة ضخمة دون الرُّويثة عن يمين الطريق ووِجاه الطريق في مكانٍ بطحٍ سهلٍ، حتى يفضي من أكمة دُوين بريد الرويثة بميلين، وقد انكسر أعلاها فانثنى في جوفها وهي قائمة على ساق وفي ساقها كثب كثيرة.

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى في طرف تِلعة من وراء العَرج وأنت ذاهب إلى هضبة عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة، على القبور رَضمٌ من حجارة عن يمين الطريق عند سَلِمات الطريق بين

أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة، فيصلي الظهر في ذلك المسجد.

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل عند سرحات عن يسار الطريق في مسيل دون هرشى، ذلك المسيل لاصق بكراع هرشى، بينه وبين الطريق قريب من غلوة، وكان عبد الله يصلي إلى سرحة هي أقرب السرحات إلى الطريق وهي أطولهن.

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينـــزل في المسيل الذي في أدنى مر الظهران قِبَل المدينة حين يهبط من الصفراوات ينـــزل في بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، ليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين الطريق إلا رمية بحجر.

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينـــزل بذي طوى ويبيت حتى يصبح يصلي الصبح حين يقدم مكة، ومصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثَمّ، ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة.

وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استقبل فُرضتي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذي بني ثَمّ يسار المسجد بطرف الأكمة، ومصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ثم تصلي مستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة.

روى هذه الأحاديث البخاري في صحيحه (من رقم ٤٨٣ إلى ٤٩٢).

فانظر إلى هذا الوصف المتناهي والغاية في الدقة للمواضع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي نزل بها وتشرفتْ بجسد هذا النبي العظيم، ثم تأمل هذا الحب العجيب الذي جعل صاحبه يحفظ الأماكن المباركة المقدسة التي مسها الجسد الشريف، ثم تأمل هذا التصرف من سيدي ابن عمر رضي الله عنهما؛ وتَتَبُّعِ الآثار النبوية التي يستمد منها المؤمن الموحِّد معاني يقوي بها إيمانه، ويعبر من خلالها عن صادق إيمانه ومحبته وشوقه.

وأما الشجرة المباركة التي كان يتعاهدها ابن عمر، ويصب في أصلها الماء لكيلا تيبس؛ فليس في هذا العمل ريبة عند من نوَّر الله قلبه.

وبهذه المناسبة نحقق حديث الشجرة التي بايع الصحابةُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم تحتها، وكانت موجودة فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مائة فقال لنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنتم اليوم خير أهل الأرض». وقال جابر: **لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة. وفي رواية: لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.**

رواه البخاري (٤١٥٤) والرواية الثانية له، ومسلم (١٨٥٦ مكرراً ٧١).

والراوي عن جابر هذا الحديث هو عمرو بن دينار المولود سنة ٥٦ هـ تقريباً، والمتوفى سنة ١٢٦ هـ، فقد ولد بعد وفاة سيدنا عمر بثلاث وثلاثين سنة، وهذا يردّ الخبر المنكر الذي رواه ابن سعد في الطبقات أن عمر قطع الشجرة!! كيف يقطعها وجابر يقول: لو كنت أبصر لأريتكم مكان الشجرة؟! وهذا القول قاله جابر بعد وفاة عمر بسنوات.

ومما يدل على أن الشجرة موجودة بعد سيدنا عمر ما ثبت عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنهم كانوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الشجرة قال: **فنسوها** من العام المقبل.

رواه مسلم (١٨٥٩ مكرراً ٧٨).

وفي رواية: قال لقد رأيت الشجرة، ثم أتيتها بعدُ فلم **أعرفها**.

رواه البخاري (٤١٦٢) ومسلم (١٨٥٩ مكرراً ٧٩). وفي رواية عند البخاري (٤١٦٢): **ثم أنسيتها بعد**.

وفي رواية: فرجعنا إليها العام المقبل **فعُميت علينا**.

رواه البخاري (٤١٦٤).

فمرة قال المسيب: (لم أعرفها). وهذا يدل على أن المكان مليء بالأشجار. ومرة قال: (عميت علينا). وهذا يدل أيضاً على أن الأشجار كثيرة إذ التعمية لا تكون إلا عند وجود المتشابهات. ومرة قال: (أنسيتها). وهذا يدل أيضاً على كثرة الأشجار في ذاك المكان.

ومما يؤيد وجودها قول سيدنا جابر المتقدم، فإنه من الذين لم ينسوها ولا ممن عمّيت عليهم. ومثله جماعة آخرون من التابعين، فقد روى البخاري في صحيحه (٤١٦٣) أن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون. قلت: ما هذا المسجد ؟ قالوا: **هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيعة الرضوان**.اهـ .

فبعضهم أنسي موضع الشجرة لكثرة الأشجار في تلك البقعة، وبعضهم ما زال يذكر مكانها مثل جابر رضي الله عنه.

وأما إنكار سعيد بن المسيب ذلك في الحديث السابق (٤١٦٣) فلا دلالة فيه، قال طارق: فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة قال: فلما خرجنا من العام المقبل أنسيناها فلم نقدر عليها. فقال سعيد: إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلموها، وعلمتموها أنتم ؟! فأنتم أعلم !! فإن سعيداً ينقل عن أبيه واقعة، وغيره ينقل الواقعة نفسها، فيها خلاف ما قاله المسيب، وكلٌّ حدّث بما علم ورأى، والجمع بين النصوص أولى من رد أحدها. وما المانع من أن يكون القوم الذين يصلّون تحت الشجرة قد تحروا وسألوا، وبخاصة من سيدنا جابر، فأخبرهم عن موضعها بعلامات وإشارات ودلائل يهتدون بها إلى تلكم الشجرة المباركة التي تشرفت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وما المانع من أن يكون المسيب رضي الله عنه قد ضاعت عنه الشجرة لاعتبارات الله أعلم بها، وغير المسيب مثل جابر والقوم من التابعين الذين صلوا تحتها لم ينسوا مكانها ولا ضاعت عنهم ؟؟

وقد قرر الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٤٨/٧) **أن إنكار سعيد بن المسيب** على من زعم أنه عرفها معتمداً على قول أبيه أنهم لم يعرفوها في العام المقبل: **لا يدل على رفع معرفتها أصلاً**، فقد وقع عند المصنف (البخاري) من حديث جابر الذي قبل هذا: لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة. **فهذا يدل على أنه كان يضبط مكانها بعينه، وإذا كان في آخر عمره بعد الزمان الطويل يضبط موضعها ففيه دلالة على أنه كان يعرفها بعينها، لأن**

الظاهر أنها حين مقالته تلك كانت هلكت إما بجفاف أو بغيره، واستمر هو يعرف موضعها بعينه. انتهى.

قلت: **وللكلام بقية سيأتي نقاشه بعد قليل.** وكلام الحافظ المتقدم يدل على رد الرواية الضعيفة المنكرة سنداً ومتناً؛ التي تقول: إن عمر أمر بقطعها.

وما قرره الحافظ من أن الشجرة هلكت محتمل؛ لكنه احتمال ضعيف فإن طارق بن عبد الرحمن رأى قوماً يصلون عندها؛ وهذا يدل على وجودها بعد جابر أو في عهده.

وكلمة (موضع) في مقولة جابر لا تدل على أن الشجرة غير موجودة، فقد تطلق هذه الكلمة ويراد منها الشيء المستقر في الموضع، كشجرة ومنـزل، يدل على هذا ما رواه أبو عوانة في صحيحه (١/٤/٤٢٩)، أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاك العام، وإنهم **أنسوه** يعني **موضع الشجرة**. انتهى بحروفه. فأطلق على الشجرة لفظ (موضع).

وعلى كل حال فإن الحافظ قرر أن الشجرة معلومة لدى جابر، وكانت موجودة يعرفها جابر بعينها. لكنه استدرك فقال: (ثم وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن **نافع أن عمر** بلغه أن قوماً يأتون الشجرة فيصلون عندها، فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت).

واستدراكه هذا لا دلالة فيه على تبني القطع، فإنه قال: (بإسناد صحيح **عن نافع**) ولم يقل: (بإسناد صحيح **عن عمر**)، فهو **عنده** صحيح إلى نافع. وأما السند بعد نافع فهو غير صحيح عنده ولا عند غيره، فقد قرر الحافظ نفسه في تهذيب التهذيب في ترجمة نافع أن أحمد بن حنبل قال: **نافع عن عمر منقطع.**

ثم إن في حديث طارق فائدة نفيسة وهي أن القوم الذين كانوا يصلون تحت الشجرة قوم من السلف الصالح، وصدورُ مثل هذا منهم له دليله من نصوص الشريعة، ومن فِعلِ سيدنا عبد الله بن عمر في تتبع المواضع المباركة، والصلاة فيها، ومثل هذه الأعمال كانت منتشرة في عصر السلف.

وثبت دليل آخر على وجود الشجرة، وهو قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها؛ كانت رحمة من الله. رواه البخاري (٢٩٥٨).

ففي هذا دليل على أن بعضهم يعلم مكانها، والبعض الآخر لم يهتد إليها، فقوله: «ما اجتمع منا اثنان» أي في إثباتها خلافٌ، والخلاف هو وجود طرفين كلٌّ منهما يقول بخلاف قول الآخر. وقد اتفق علماء الأمة المهتدين على أنه لا إنكار في المسائل الخلافية.

وقول ابن عمر: «كانت رحمة من الله»، أي كانت الشجرة موضع رحمة من الله، ومحل رضوانه، ولنـــزول الرضا عن المؤمنين عندها، وحصول الثواب والفتح والمغانم من الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.

وقول من قال: (خفي عليهم مكانها لئلا يحصل بها افتتان؛ لِمَا وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لَمَا أُمِنَ تعظيم بعض الجهال لها، حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر كما نراه الآن مشاهداً فيما هو دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله: كانت رحمة من الله. أي كان خفاؤها عليهم بعد ذلك

رحمة من الله تعالى). **قول من قال هذا مردود، بل هو باطل**، وتحميلٌ للنص ما لا يحتمله، وابنُ عمر بريء من إرادة هذا المعنى، ونردّ هذا من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: عبد الله بن عمر كان يتفانى بالآثار النبوية ويلتمسها ويتتبعها أمام ملإٍ من الناس على شتى مستوياتهم، أما خشي بفعله هذا أن يفتتن من يراه من الناس؟ أما خشي أن يستدل الناس على تلك البقاء المباركة المقدسة التي تشرفت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ومِن ثَمَّ يخشى عليهم الفتنة؟ كل ذلك لم يخفْ منه ابن عمر لأنه يَعلم، ومن يراه يعلم، والمؤمنون يعلمون: أن الضار والنافع هو الله تعالى، وأن محو هذه الآثار، وطمس تلك المعالم، وقطع الشجرة: من الجهلِ والتخلفِ الفكري، وعدمِ الفقه في الدين.

ثم إن طمس ذلك لا يغير من الحال المعوج لدى الجهلة الغالين شيئاً، لأن الجهل يُزال بالتعليم والتوجيه والإرشاد، لا بالتكفير والتضليل، ولا بإزالة المعالم والآثار المباركة؛ ولذلك قال الحافظ الثقة الفطن الذهبي في حق من سجد لقبر النبي ﷺ **على سبيل التعظيم والتبجيل: لا يكفر به أصلاً، بل يكون عاصياً، فَلْيُعَرَّف أن هذا منهي عنه، وكذلك الصلاة إلى القبر.**

فلم يُفْتِ الذهبي بهدم القبر، وطمس الآثار؛ لأنه يعلم أن هذا لن ينفع، إضافة إلى أنه تخلف وعُقْمٌ في الفهم، بل أرشد إلى التوجيه والتعليم.

الوجه الثاني: **ثبت أن ابن عمر كان يتعاهد شجرةً نزل تحتها النبي ﷺ، فكان ابن عمر يسقيها لئلا تيبس**، فما بالك بالشجرة التي تشرفتْ بمزايا عديدة وهي شجرة الرضوان، ومن هذه المزايا: ١-نزول رسول الله ﷺ تحتها. ٢-ومعه الصحابة وهم سادات الصالحين بعده ﷺ. ٣- وهذه الشجرة موضع

نزول السكينة. ٤-وموضع البيعة. ٥-وموضع الرحمة. ٦- وموضع الرضوان. ٧- وموضع الوعد بالثواب. ٨-والفتح. ٩-والمغانم الكثيرة. ١٠- والقطع بأن من بايع تحت شجرة الرضوان لا يدخل النار.

فعناية ابن عمر بشجرة نزل تحتها النبي ﷺ يؤكد أن شجرة البيعة المميزة لها عناية أكبر عند ابن عمر، فمعنى قوله: «كانت رحمة من الله» أي الشجرة نفسها موضع نزول الرحمة بأنواعها، كما هو مذكور في القرآن والسنة.

الوجه الثالث: لو كان ابن عمر أراد هذا المعنى المزعوم المنسوب إليه لكان علينا أن نزيل أهم مَعْلَمَيْنِ من معالم هذا الدِّين: الْمَعْلَمُ الأول الكعبةُ المشرفة، إذ هي أولى من الشجرة، واعتقادُ الناس ببركة الكعبة أكثرُ من اعتقادهم ببركة الشجرة، ولم يحصل للمسلمين زيغ في عقيدتهم نحو الكعبة، ولم يقل واحد منهم: إن الكعبة تضر وتنفع. مع أن المسلمين ليلاً نهاراً وفي أقطار الأرض يسجدون لله متوجهين إليها. ويطوف المسلمون حولها ليلاً نهاراً.

الْمَعْلَمُ الثاني: القبر الشريف، قبر النبي الأعظم ﷺ، إذ القبر أشرف من الكعبة، بل هو أشرف بقعة في السماوات والأرض، ولم يقل أحد من الأمة ولا من العقلاء: القبر الشريف يُزال خشية افتتان المسلمين به. بل وأجمعت الأمة وعلى رأسهم الصحابة العظماء على مشروعية اقتناء ما بقي من آثار النبي ﷺ كشعره ومحجنه وثوبه وإنائه وقدحه وسيفه وخاتمه وغير ذلك.

قال الإمام الكبير الحافظ أبو عبد الله البخاري في أصح كتاب بعد كتاب الله: باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ومن شعره

ونعله وآنيته مما تبرك [به] أصحابه وغيرهم بعد وفاته.

ثم روى البخاري أحاديث عن عظماء هذه الأمة فيها التبرك بآثار نبيهم العظيم صلى الله عليه وآله وسلم واقتنائهم لها ومحافظتهم عليها. انظر كتاب فرض الخمس من صحيح البخاري (٦/٢١٢-٢١٣ من نسخة فتح الباري، وفي الفتح كلام نفيس انظره ٦/٢١٣-٢١٥).

وقد كان الواحد من عظماء هذه الأمة يفدي كل ما يملك بشعرة واحدة من شعر هذا النبي العظيم، ولم يخش واحد من عظماء هذه الأمة أن يفتن المسلمون بما آل إليهم من آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل كانوا بها يتبركون ويستشفون ويطلبون النصرة، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار، مضى بعضها وسيأتي الكثير منها.

وروي حديث منكر أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/١٠٠) قال: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، أخبرنا عبد الله بن عون، عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها: شجرة الرضوان، فيصلون عندها.

قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت.

فهذه الزيادة الأخيرة وهي قطع الشجرة منكرة لا تصح لا من جهة السند ولا المتن، أما السند فإن نافعاً لم يدرك عمر، فبينهما مفاوز، توفي نافع سنة ١١٧ هـ، وقيل: سنة ١٢٠ . قال أحمد بن حنبل: نافع عن عمر منقطع.

وفي السند عبد الوهاب بن عطاء صدوق ربما أخطأ.

فالعجب العجاب ممن يدعي التحري والتحقيق كيف يستدل بهذا الخبر على أن الشجرة قطعت، ويترك الأحاديث الصحيحة التي تُثبت أن بعضهم نسي

مكانها وبعضهم ما زال ذاكراً مكانها، وبعضهم صلى تحتها. كلّ ذلك بعد وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه.

وأما من ناحية المتن فليس هذا من عادة سيدنا عمر وفهمه، بل هو أجلُّ من أن يصنع ذلك، فإنه الفقيه الفطن، ولا يعالج مثل هذه القضايا بهذا الأسلوب المتخلف السمج، ولذلك ما رأيناه أنكر على ابنه عبد الله تصرفَه المتقدم، ولم ينكر على الرجل الذي جاء إلى القبر الشريف، وقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون وقل له: عليك الكيس عليك الكيس. فأتى عمرَ فأخبره فبكى عمرُ ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه.

رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/٣١-٣٢)، والخليلي في الإرشاد (ص ٦٣)، وغيرهما، وإسناده صحيح، قال ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٩٥/٢) وابن كثير في البداية (١٠٥/٧).

ومالك الدار الذي في إسناده ثقة متفق على توثيقه كما قال الخليلي في الإرشاد (ص٦٣)، وبه بطل من زعم من المعاصرين أن مالك الدار مجهول.

فلم ينكر سيدنا عمر على هذا الرجل الذي قيل: إنه بلال بن الحارث الصحابي، ولم يخفْ عليه من الشرك الموهوم الذي صار عقدة عند بعض الناس؛ حتى صرنا نخاف من زوال كل ما هو متصل بديننا، من كعبة، وزمزم، ومكان السعي، وقبر السيد الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وغيرها من المعالم الراسخة التي تزيد من إيماننا ويقيننا!! . انتهى.

تقبيل أبي هريرة موضعاً قَبَّلَه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال الحافظ الذهبي رحمه الله (٢٥٨/٣): (روى) ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: كنت مع الحسن فلقينا أبو هريرة فقال: **أرِني أُقبِّل منك حيث رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبِّل.**
فقال بقميصه (أي رفع قميصه وكشف عن بطنه) فقبَّل سرته.

قلت: أخرجه أحمد (٢٥٥/٢ و٤٢٧ و٤٨٨ و٤٩٣) وابن حبان في صحيحه (٤٢٠/١٥) والحاكم في المستدرك (١٦٨/٣) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/برقم: ٢٥٨٠ و٢٧٦٤). انتهى.

التبرك بدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال الذهبي رحمه الله (٣٦٦/٣): [قال] التّبوذكي: حدثنا هنيد بن القاسم: سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: سمعت أبي يقول: إنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحتجم، فلما فرغ، قال: «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد»، فلما برز عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **عمد إلى الدم فشربه**، فلما رجع، قال: «ما صنعت بالدم؟» قال: عمدت إلى أخفى موضع علمت فجعلته فيه قال: «لعلك شربته؟!» قال: نعم. قال: «و لم شربت الدم؟ ويل للناس منك، وويل لك من الناس».
قال موسى التبوذكي: فحدثت به أبا عاصم، فقال: كانوا يرون أن القوة التي

به من ذلك الدم. رواه أبو يعلى في «مسنده» وما علمت في هنيد جَرْحَةً.

قلت: أخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير والبزار في مسنده (كما في إتحاف الخيرة ١١٧/٩) والحاكم في المستدرك (٥٥٤/٣) والطبراني (كما في التلخيص الحبير ٣٠/١) –ومن طريقه الضياء في المختارة (٣٠٩/٩)– وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤١٤/١) والبيهقي في السنن (٦٧/٧).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢/٨): ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهو ثقة.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (١١٧/٩): هذا حديث حسن. اهـ.

وله طريقان آخران:

الأول رواه أبو نعيم في الحلية (٣٣٠/١) والطبراني (كما في التلخيص ٣١/١) والغطريفي في جزئه (٦٥) ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (ص٤٠٠ ترجمة عبد الله بن الزبير) عن كيسان مولى عبد الله بن الزبير قال: أخبرني سلمان الفارسي أنه دخل على رسول الله ﷺ وإذا عبد الله بن الزبير معه طست فشرب ما فيه، فقال [له] رسول الله ﷺ : «ما شأنك يا ابن أخي؟». قال: **إني أحببت أن يكون من دم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جوفي**. فقال: « ويل لك من الناس وويل للناس منك، **لا تمسك النار** إلا قَسَمَ اليمين ». قال الخطابي: معناه لا يدخل النار لِيُعاقَب بها، ولكنه يدخلها مجتازاً ولا يكون ذلك الجواز إلا قدر ما يحلل الرجل به يمينه.

انظر فتح الباري (١٢٣/٣). والجواز من فوق النار أي من فوق الصراط

المنصوب على النار، فمنهم من يجتاز الصراط كالبرق، ومنهم من يجتازه أسرع من الريح ﴿وإن منكم إلا واردها﴾.

الطريق الثاني: رواه الدارقطني في السنن (٢٢٨/١) والطبراني (كما التلخيص الحبير ٣٠/١-٣١) عن رباح النوبي أبي محمد مولى آل الزبير قال: سمعت أسماء بنت أبي بكر تقول للحجاج: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتجم فدفع دمه إلى ابني فشربه فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره فقال: «ما صنعت؟». قال: **كرهت أن أصب دمك**. فقال النبي ﷺ: «**لا تمسك النار**». ومسح على رأسه وقال: «ويل للناس منك، وويل لك من الناس».

وله شاهد رواه البخاري في التاريخ (٢٠٩/٤) وأبو يعلى والبزار (كما في إتحاف الخيرة ١١٧/٩-١١٨) والطبراني في الكبير (٨١/٧) والمحاملي في الأمالي (٥٢٦) وابن عدي في الكامل (٦٤/٢ و ٥٣/٥) -ومن طريقه البيهقي في السنن (٦٧/٧)- والشعب (٢٣٣/٥) عن سفينة ﷺ قال: احتجم رسول الله ﷺ ثم قال لي: «خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير والناس». قال: **فتغيبت به فشربته** قال: ثم سألني فأخبرته أني شربته، فضحك ﷺ. وهذا الحديث صحيح من مجموع هذه الطرق الخالية من أي راوٍ متروك.

ولا غرابة مما فعله ابن الزبير، فإن المحب الهيمان بحبيبه يصدر منه أكثر من هذا، ولا يعترض على هذه التصرفات وأمثالها إلا من فسد ذوقه وحُرِم من الحب؛ فطوبى لك يا ابن الزبير، اللهم اجعل هذا النبي العظيم: **أحب إلينا من أنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين**. انتهى.

التبرك بالأعواد التي غسل عليها النبي ﷺ حين انتقاله إلى ربه

قال الحافظ الذهبي رحمه الله (١١/٨٤) في ترجمة يحيى بن معين الإمام الحافظ الثقة الحجة الرباني العابد:

قال حبيش بن مبشر: كان يحيى بن معين يحج [فيذهب إلى مكة] على المدينة، ويرجع عليها. فلما كانت آخر حجة حجها، رجع على المدينة، فأقام بها يومين أو ثلاثة، ثم خرج حتى نزل المنــزل مع رفقائه، فباتوا، **فرأى في النوم هاتفاً يهتف به: يا أبا زكريا، أترغب عن جواري؟** فلما أصبح، قال لرفقائه: امضوا فإني راجع إلى المدينة، فمضوا ورجع، فأقام بها ثلاثاً ثم مات. قال: **فحمل على أعواد النبي صلى الله عليه وآله وسلم**، وصلى عليه الناس، وجعلوا يقولون: هذا **الذاب** عن رسول الله ﷺ **الكذبَ**.

وقال الذهبي في (١١/٩٠ــ٩١): قال مهيب بن سليم البخاري: حدثنا محمد بن يوسف البخاري الحافظ، قال: كنا في الحج مع يحيى بن معين، فدخلنا المدينة ليلة الجمعة، ومات من ليلته، فلما أصبحنا تسامع الناس بقدومه وبموته، فاجتمع العامة، وجاءت بنو هاشم، فقالوا: **نخرج له الأعواد التي غسل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**. فكره العامة ذلك!!! وكثر الكلام، فقالت بنو هاشم: نحن أولى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أهل أن يغسل عليها، فغسل عليها، ودفن يوم الجمعة في ذي القعدة. قال مهيب: فيها ولدتُ يعني: سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

قال عباس الدوري: مات قبل أن يحج عامئذ، وصلى عليه والي المدنية، وكلم

الجزامي الوالي، فأخرجوا له **سرير النبي ﷺ، فحمل عليه.**

وقال الذهبي في (٩٥/١١): قال عباس الدوري: مات **فحمل على أعواد النبي صلى الله عليه وآله وسلم** ، ونودي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال جعفر بن محمد بن كزال: كنت مع ابن معين بالمدينة، فمرض وتوفى بها، **فحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**، ورجل ينادي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله ﷺ.

أثر بركته صلى الله عليه وآله وسلم تظهر على من رآه في المنام

قال الذهبي رحمه الله (٣٢١/١٦-٣٢٢): ابن نباته الإمام البليغ الأوحد خطيب زمانه أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد.. الفارقي صاحب الديوان الفائق في الحمد والوعظ وكان خطيباً بحلب للملك سيف الدولة، وقد اجتمع بأبي الطيب المتنبي...وكان فصيحاً، مفوها، بديع المعاني، جزل العبارة، رزق سعادة تامة في خطبه..**وكان فيه خيرٌ وصلاح.**

رأى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في نومه، ثم استيقظ وعليه أثر نور لم يعهد قبل فيما قيل. وعاش بعد ذلك ثمانية عشر يوماً، وتوفاه اللّه، **فذكر أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم تفل في فيه، وبقي تلك الأيام لا يستطعم بطعام ولا يشرب شيئاً.**

التبرك بمن حمل حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قـــال الذهبي رحمه الله (١٢/٣٩٠): **الإمام الحافظ الضابط** أحمد بن منصور الرمادي كان من أوعية العلم (ثقة توفى سنة ٢٦٥).

قال ابن مخلد :**كان الرمادي إذا مرض يستشفي بأن يسمعوا عليه الحديث.**

وقـــال الذهبي رحمه الله (١٣/٢٠٣ و٢١٢ و ٢١٣): أبو داود سليمان بن الأشعث... السجستاني الإمام شيخ السنة ومقدَّم الحفاظ..محدث البصرة.

قال أبو حاتم ابن حبان: أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً، ونسكاً وورعاً وإتقاناً، جمع وصنف وذَبَّ عن السنن.

قال القاضي الخليل بن أحمد السجزي: سمعت أحمد بن محمد بن الليث قاضي بلدنـــا يقـــول: **جاء سهل بن عبد الله التستري إلى أبي داود السجستاني، فقـــيل: يا أبا داود هذا سهل بن عبد الله جاءك زائراً، فرحب به وأجلسه فقال سهل: يا أبا داود لي إليك حاجة؟ قال: وما هي؟ قال: حتى تقول: قد قضـــيتها مع الإمكان. قال: نعم. قال: أخرجْ إلي لسانك الذي تحدث به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبِّله. فأخرج إليه لسانه فَقَبَّلَه.**

قلـــت: وذكره الذهبي في السير (١٣/٣٣١) مختصراً في ترجمة شيخ العارفين سهل التستري رحمه الله. وانظر وفيات الأعيان (٢/٤٠٤-٤٠٥).

وهذا موقف جليل في احترام الحفاظ والمحدثين للسادة الصوفية، كالإمام الكبير العارف بالله الولي العابد الصالح السري السقطي، وموقف جليل في احترام السادة الصوفية للمحدثين. فيا ليت القوم يفقهون. انتهى.

وقال الذهبي رحـــمه الله (٢١٣/١٩ و٢١٥): ابن الطـــيوري الشـــيخ الإمام المحدث، العالم المفيد بقية النقلة المكثرين، أبو الحـــسين المبارك بن عبـــد الجبار...البغدادي الصيرفي. ولد سنة (٤١١).

وقال أبو علي بن سكرة الصدفي: **هو الشيخ الصالح الثقة أبو الحسين، كان ثبـــتاً فهماً، عفيفاً متقناً، صحب الحفاظ ودُرِّب معهم، سمعت أبا بكر بن الخاضبة يقول: شيخنا أبو الحسين ممن يستشفى بحديثه.**

وقـــال الذهبي رحمه الله (٣٦٥/٥) في ترجمة الإمام الثقة الحافظ الفقيه العابد التابعي صفوان بن سليم المدني رحمه الله: **عن أحمد بن حنبل قال: (صفوان) من الثقات يستشفى بحديثه، وينـــزل القطر من السماء بذكره... ثقة من خيار عباد الله الصالحين.**

قلت: وستأتي بعض مناقب هذا الرجل الصالح رحمه الله. انتهى.

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله (٦١٥/١٩-٦١٧): الفراوي الشيخ الإمام الفقيه المفتي مسند خراسان فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الشافعي. قال السمعاني: سمعت عبد الرزاق بن أبي نصر الطبسي يقول: قرأت

صحيح مسلم على الفراوي سبع عشرة نوبة، وقال: **أوصيك أن تحضر غسلي، وأن تصلي علي في الدار، وأن تُدخل لسانك في فـــيَّ، فإنك قرأت به كثيراً حديث رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.**

قال السمعاني: فصلي عليه بكرة، وما وصلوا به إلى المقبرة إلى بعد الظهر من الزحام، وأذكر أنا كنا في رمضان سنة ثلاثين وخمس مائة، **فحملنا محَفَّته على رقابنا إلى قبر مسلم لإتمام الصحيح، فلما فرغ القارئ من الكتاب، بكى الشيخ (الطبسي)، ودعا وأبكى الحاضرين**، وقال: لعل هذا الكتاب لا يُقرأ علي بعد هذا، فتوفي رحمه اللّه في الحادي والعشرين من شوال، ودفن عند إمام الأئمة ابن خزيمة. قال: وقد أملى أكثر من ألف مجلس. انتهى مختصراً وسيأتي المزيد من الكلام عنه رحمه الله.

التبرك بِذِكْرِ النبي وذِكْرِ اسمِهِ صلى الله عليه وآله وسلم

قـــال الذهـــبي رحمه اللّه (١٤/٦٢-٦٥): أبو عثمان الحيري **الشيخ الإمام المحـــدث الواعـــظ القـــدوة شـــيخ الإسلام** الأستاذ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل...النيسابوري الحيري **الصوفي.**

قال أبو عثمان لأبي جعفر بن حمدان: ألستم تَرْوُون أن عند ذكر الصالحين تنـــزل الرحمة؟ قال: بلى. قال فرسول الله ﷺ سيد الصالحين.

قلت: قول أبي عثمان رحمه الله: عند ذكر الصالحين تنـــزل الرحمة. رواه أبو نعيم في الحلية (٧/٢٨٥) عن سفيان بن عيينة من قوله.

وقـــال الإمام المرُّوذي في كتاب الورع (ص ٨٦): ذكرت لأبي عبـــد الله (أحمد بن حنبل) الفضيلَ وعريَّه، وفَتْحَ الموصلي وعريَّه وصبرَه: فتغرغرت عينه وقال: رحمهم الله، كان يقال: عند ذِكر الصالحين تنـــزل الرحمة. انتهى.

وقـــال الذهبي رحمه الله (١٦/٣٩-٤٠ و٤٣): الشافعي محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه، الإمام المحدث المتقن الحجة الفقيه مسند العراق، أبو بكر البغدادي الشافعي البزاز السفّار صاحب الأجزاء الغيلانيات العالية مولده في سنة (٢٦٠)... وهو أول من وَقَعَ ذِكرُه في تاريخ مصر للحافظ الإمام قطب الدين عبد الكريم بن منير الحلبي فسح الله في مدته، **ابتدأه بمن اسمه محمد بن عبد الله تبركاً باسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.**

التبرك بآل البيت الأطهار عليهم السلام

قال الذهبي رحمه الله (٣٨٨/٥) في ترجمة مقدَّم الشعراء الكُميت بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦ هـــ:

كان عم الكميت رئيسَ أسد، وكان الكميت شيعياً، مدح **علي بن الحسين، فأعطاه** من عنده ومن بني هاشم أربع مائة ألف، وقال: خذ هذه يا أبا المستهل، فقال: لو وصلتني بدانق لكان شرفاً، **ولكن أحسن إلي بثوب يلي جسدك أتبرك به**، فنـــزع ثيابه كُلَّها فدفعها إليه، ودعا له، فكان الكُميت يقول: مازلت أعرف بركة دعائه.

قلت: أورد هذا الكلام الذهبي أيضاً في تاريخ الإسلام (٢١٢/٨ حوادث ١٢١-١٤٠).

وهذا الخبر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (المخطوط ج١٤/١/٣٠٠/أ/ ٣٠١/ب) قال: قرأت بخط أبي الحسن رشأ بن نظيف، وأنبأنيه أبو القاسم العلوي وأبو الوحش المقرئ عنه (عن رشأ) قال: أنبأنا أبو الحسن محمد بن جعفر بن البخاري قال: أنبأنا أبو أحمد الجلودي قال: حدثنا محمد بن ركومة قال: حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال: أتى ا لكميت بن زيد إلى علي بن الحسين [بن علي زين العابدين الإمام العالم الصالح الثقة عليه السلام] فقال له: **إني قد مدحتكم بما أرجو أن يكون وسيلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة**، فأسمعه، فوجه علي بن الحسين فجمع أهله ومواليه ثم أنشده:

طربت وهل لك من مطرب

فلما فرغ منها قال له علي بن الحسين: ثوابك نحن عاجزون عنه، ولكن ما عجزنا عنه فإن الله ورسوله لن يعجزنا عن مكافئتك. وسقط له على نفسه وأهله أربع مائة ألف درهم، فقال له: خذ هذه يا أبا المستهل فاستعن بها على سفرك. فقال: لو وصلتني بدانق لكان شرفاً، **ولكن على مدحكم لا آخذ ثمناً ولا أجراً إلا من أردت به وجهه والوسيلة عنده، ولكن إن أحببت أن تحسن إلي فادفع بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرك به.**

فقام علي بن الحسين فنـــزع ثيابه فدفعها كلها إليه، وأمر بجبة كان يصلي فيها فدفعت إليه ثم قال: اللهم إن الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك

بنفسه حين ضن الناس، وأظهر ما كتمه غيره من الحق، فأمته شهيداً وأحيه سعيداً، وأره الجزاء عاجلاً، واجز له جزيل المثوبة آجلاً، فإنا قد عجزنا عن مكافأته وأنت واسع كريم.

قال الكميت: **فما زلت أتعرف بركة دعائه.**

ورواه ابن عساكر من طرق أخرى مختصراً (ق٣٠١/أ). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٣٩١/٩) في ترجمة **الإمام السيد الجليل الشريف** علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام:

وقيل: إن دِعْبِلاً الخزاعي أنشد علي بن موسى مدحة، فوصله بست مائة دينار، **وجُبَّة خز**، بَذَلَ له فيها أهلُ قُمّ ألف دينار، فامتنع، وسافر، فجهَّزوا عليه من قطع عليه الطريق، وأخذت الجبة، فرجع وكلمهم، فقالوا: ليس إلى ردها سبيل، وأعطوه الألف دينار **وخرقة من الجبة للبركة.**

وقال الذهبي رحمه الله (٣٩٣/٩): ولعلي بن موسى مشهدٌ بطوس **يقصدونه بالزيارة.**

قلت: انظر خبر التبرك في تهذيب الكمال للمزي (١٥٠/٢١-١٥١).

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٢٦٩/١٤-٢٧٢): **علي بن موسى الرضا أحد الأعلام...كان سيد بني هاشم في زمانه، وأجلهم وأنبلهم...ومشهده مقصود بالزيارة، رحمه الله. اهـ .**

وقال الإمام الحافظ الحجة أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (١٩٥/٣ط الرسالة) في ترجمة علي بن موسى الرضا نقلاً

عن الحافظ الثقة الحجة أبي عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور:

قال: وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: **خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه- يعني: ابن خزيمة- لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا.** اهـ.

وهذه قصة صحيحة؛ وتأمل هذا الموقف من إمام أهل الحديث، ومن معه من المحدثين وهم إذ ذاك متوافرون، فيا ليت القوم يعلمون!! انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٠/١٠٦-١٠٧): نفيسة السيدة المكرمة الصالحة ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد ابن السيد سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما، العلوية الحسنية، **صاحبة المشهد الكبير المعمول بين مصر والقاهرة**....

وقيل: كانت من الصالحات العوابد، **والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين**، وفي المساجد وعرفة ومزدلفة، وفي السفر المباح وفي الصلاة وفي السحر، ومن الأبوين ومن الغائب لأخيه ومن المضطر، وعند قبور المعذّبين وفي كل وقت وحين، لقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ ولا يُنهى الداعي عن الدعاء في وقت إلا وقت الحاجة، وفي الجماع وشبه ذلك، ويتأكد الدعاء في جوف الليل ودبر المكتوبات، وبعد الأذان.

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/٧٥-٧٧): ابن لال، الشيخ الإمام الفقيه المحدث..له رحلة وحفظ ومعرفة...وكان إماماً مفتناً.

قال شيرويه: كان ثقة أوحد زمانه مفتي البلد .. ما رأيت أحسن منه، **والدعاء عند قبره مستجاب.**

ثم قال الحافظ الذهبي:

قلت: والدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء، وفي سائر البقاع، لكن سبب الإجابة حضور الداعي وخشوعه وابتهاله، **وبلا ريب في البقعة المباركة** وفي المسجد وفي السحر ونحو ذلك يتحصل ذلك للداعي كثيراً وكل مضطر فدعاؤه مجاب. انتهى باختصار.

والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين عليه عَمَلُ كثير من السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

قال التابعي الثقة الجليل عبد الله بن دينار: **رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي ﷺ؛ فيصلي على النبي ﷺ، ويدعو لأبي بكر وعمر.**

رواه عن ابن دينار: مالك في الموطأ (برواية أبي مصعب (٥٠٦) وسويد (ص ١٤٥) وابن القاسم ، كما في البيان والتحصيل ١٨/٦٠٤).

وفي رواية عنه: يسلم على النبي ﷺ **ويدعو، ثم يدعو** لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

رواه البيهقي في السنن (٥/٢٤٥) من طريق يحيى بن بكير عن مالك به.

وانظر مزيداً من الأدلة في الباب الآتي. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٧٧/١٧ و٧٨): الوصي الشريف السيد أبو الحسن محمد بنّ علي بن الحسين العلوي الحسيني الزيدي...

قال شيرويه: ثقة صدوق، صوفي واعظ، وتزهد وجاور، مات سنة (٣٩٣).

وقال السلمي: كان أحد الأشراف علماً ونسباً، ومحبةً للفقراء وصحبة لهم مع ما يرجع إليه من العلوم، صحب الخلدي، ودخل دويرة الصوفية بالرملة، فكان يخدمهم أياماً، **حتى قدم فقيرٌ، فقبَّل رأسه، وقال: هذا شريف الجبل. فقام عباسٌ فقبَّل رجلهُ، فأخذ الشريف ركوته، وسافر.**

فائدة: جاء في آخر الجزء الثاني من سير أعلام النبلاء (٦٣٣/٢) ما يلي: تم الجزء الثالث من كتاب سير أعلام النبلاء للشيخ الإمام الناقد البارع شيخ المحدثين شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أمتع الله بحياته، **ونفع المسلمين ببركة**، ويتلوه في الجزء الرابع: ترجمة أبي بكر الثقفي مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان الفراغ من نسخه ليلة الجمعة مستهل شهر شعبان المبارك سنة تسع وثلاثين وسبع مائة.

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب ... وتبلى اليد مني في التراب

فياليت الذي يقرا كتابي ... دعا لي بالخلاص من الحساب

كتبت هذه النسخة المباركة بخط المصنف الشيخ الإمام الأوحد الحجة إمام المحدثين مؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي فسح الله في مدته، **ونفع المسلمين ببركته، بمحمد وآله وعترته.**

قلت: والكاتب والناسخ هو الشيخ فرج بن أحمد بن طوغان المتوفى سنة ٧٦١ رحمه الله تعالى. انتهى.

التبرك بالصالحين وآثارهم

التبرك بقبر الصحابي المجاهد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

قال الحافظ الذهبي رحمه الله (٢/٤٠٥، ٤١٢، ٤١٣) في ترجمة السيد الكبير الصحابي الجليل خالد بن زيد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:
قال الواقدي: توفي [أبو أيوب سنة اثنتين وخمسين] عام غزا يزيد في خلافة أبيه القسطنطينية [وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم] **فلقد بلغني أن الروم يتعاهدون قبره وَيَرُمُّونه، ويستسقون به.**

قلت: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٤٨٥) عن محمد بن عمر الواقدي، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦١/١٦). وله طريق آخر سيأتي.
والواقدي ثقة في التاريخ، قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧/١٤٢):
الواقدي وإن كان لا نزاع في ضعفه **فهو صادق اللسان كبير القدر.**
ونقل الذهبي في السير (٩/٤٦٤) عن العلماء قولهم في الواقدي: إن ما رواه عنه كاتبه (ابن سعد) في الطبقات هو أمثل قليلاً من رواية الغير عنه.
وقال في خاتمة ترجمته من سير أعلام النبلاء (٩/٤٦٩): وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، **يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ،** ونورد آثاره من غير احتجاج، **أما** في الفرائض فلا ينبغي أن يُذكر؛ فهذه الكتب الستة ومسند أحمد وعامة من جمع في الأحكام نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء بل ومتروكين، ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر شيئاً، **مع أن وزنه عندي أنه:**

مع ضعفه يُكتب حديثه ويروى، لأني لا أتهمه بالوضع. وقولُ من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه، كما أنه لا عبرة **بتوثيق مَن وثقه كيزيد وأبي عبيد والصاغاني والحربي ومعن، وتمام عشرة محدثين**؛ إذ قد انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة، وأن حديثه في عداد الواهي رحمه الله. اهـ.

فإذا علمت هذا فلا تلتفت إلى تهويش المعلق على السير (٢/٤١٣). انتهى.

قال الذهبي رحمه الله (٢/٤١٢): وعن الأصمعي عن أبيه [عن جده] أن أبا أيوب قبر مع سور القسطنطينية، وبني عليه، فلما أصبحوا قالت الرومُ: يا معشر العرب، قد كان لكم الليلة شأنٌ. قالوا: ماتَ من أكابر أصحاب نبينا، والله لئن نبِشَ، لا ضُرِبَ بناقوس في بلاد العرب. **فكانوا إذا قَحَطوا، كشفوا عن قبره، فأمطروا.**

قلت: وخبر الأصمعي هذا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/٦١) قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، أخبرنا أبو الحسن رَشَأ بن نظيف، أخبرنا الحسن بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن مروان، حدثنا أحمد بن علي المقرئ، حدثنا الأصمعي، عن أبيه، عن جده: أن أبا أيوب الأنصاري، وهو خالد بن زيد، غزا بلاد الروم، فمات بالقسطنطينية، فقُبِر مع سور المدينة، وبني عليه، فلما أصبحوا أشرف عليهم الروم، فقالوا: يا معشر العرب قد كان لكم الليلة شأن، فقالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والله لئن نبش لا ضُرب بناقوس في بلاد العرب، **فكان الروم إذا أمحلوا [قحطوا] كشفوا عن قبره فأمطروا.**

وأخرج ابن عساكر أيضاً (١٦/٦١-٦٢): عن أبي عمران التجيبي، قال: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى غزا القسطنطينية، وتوفي بها، فدفن بها. قال: وحدثنا ابن عائذ، حدثنا الوليد، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، قال: أوصى أبو أيوب أن يدفن إلى جانب القسطنطينية، فناهضنا المدينة حتى دنونا منها، ثم دفناه تحت أقدامنا.

ورواه جماعة، منهم أبو سعيد المعيطي أن أهل القسطنطينية قالوا ليزيد ومن معه: ما هذا ننبشه غداً، قال يزيد: ذا صاحب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهذا لئلا يكون أحد من المجاهدين ومن مات في سبيل الله: أقرب إليكم منه، لئن فعلتم لأنزلن كل جيش بأرض العرب، ولأهدمنّ كل كنيسة، قالوا: إنما أردنا أن نعرف مكانه منكم لنكرمته لصحبته ومكانه، قال: فبنوا عليه قبة بيضاء، وأسرجوا عليه قنديلاً، قال أبو سعيد: وأنا دخلت عليه القبة في سنة مائة ورأيت قنديلها فعرفنا أنه لم يزل يسرج حتى نزلنا بهم.

وأخرج ابن عساكر بسند صحيح عن صفوان بن صالح، حدثنا الوليد، نا ابن جابر: أن أبا أيوب لم يقعد عن الغزو في زمان عمر، وعثمان، ومعاوية، وأنه توفي في غزاة يزيد بن معاوية القسطنطينية.

قال الوليد: فحدثني شيخ من أهل فلسطين أنه رأى بنية بيضاء دون حائط القسطنطينية، قال الوليد: هذا قبر أبي أيوب الأنصاري، صاحب النبي ﷺ، فأتيت تلك البنية فرأيت قبره في تلك البنية وعليه قنديل معلق بسلسلة. اهـ.

وما زال قبر الصحابي الجليل أبي أيوب موجوداً في مدينة إستانبول قرب سور القسطنطينية، وله مشهد يزوره الكثير من الناس ويقصدونه من كل مكان،

بل إن الموحدين من أهل إستانبول إذا أراد أحدهم الزواج فإنه يذهب هو وزوجته في نهار الزفاف إلى زيارة أبي أيوب؛ طالباً هو وشريكة حياته التبركَ بزيارة هذا الصحابي الجليل، الذي استشهد في بلادهم؛ قادماً من بلاد بعيدة لينشر الإسلام فيها، ويخرج أهلها من الكفر ، والظلم والظلمات. انتهى.

التبرك بقبور جماعة من الصالحين

تقدم تقرير الحافظ الذهبي (١٠/١٠٦-١٠٧) في تـرجمة السيدة المكرمة الصالحة نفيسة ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد ابن السيد سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما: **أنّ الدعاء مستجاب عند قبرها، وعند قبور الأنبياء والصالحين.**

وقال الذهبي رحمه الله (١٢/٤٦٦-٤٦٧): قال محمد بن أبي حاتم:سمعت أبا منصـور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله (الإمام البخاري) يقـول: إنه أقام عندنا أياماً، فمرض واشتد به المرض، حتى وجه رسولاً إلى مديـنة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيأ للركوب فلبس خفيه وتعمم، فـلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده ورجل أخذ معي يقـوده إلى الدابـة ليركـبها، فقال رحمه الله: أرسِلوني فقد ضعفتُ. فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى رحمه الله. فسال منه العرق شيء لا يوصف، فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه، وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا: أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة. ففعلنا ذلك، فلما

دفناه فاح من تراب قبره رائحةُ غاليةٍ أطيب من المسك، فدام ذلك أياماً، ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون (أي يترددون إلى القبر) ويتعجبون، وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر حتى ظهر القبر، ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس، وغُلبنا على أنفسنا فنصبنا على القبر خشباً مشبكاً لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر، فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلصون إلى القبر، وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياماً كثيرة حتى تحدَّث أهل البلدة، وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وخَرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.

قال محمد بن أبي حاتم: ولم يعش أبو منصور غالب بن جبريل بعده إلا القليل وأوصى أن يدفن إلى جنبه.

قلت: انظر طبقات الشافعية للسبكي (٢/٢٣٣-٢٣٤)، ومقدمة فتح الباري للحافظ (ص٤٩٣). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٢/٤٦٩): وقال أبو علي الغساني: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكتي السمرقندي، قدم علينا بلنسية عام أربع وستين وأربع مائة قال: قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، فاستسقى الناس مراراً فلم يُسْقَوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى

قاضي سمرقند فقال له: إني رأيت رأياً أعرضه عليك. قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري _ وقبرُه بخرتنك _ ونستسقي عنده فعسى الله أن يسقينا.

فقال القاضي: نِعْمَ ما رأيتَ. فخرج القاضي والناس معه واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين خرتنك وسمرقند نحو ثلاثة أميال .

قلت: وهذه القصة رأيتها مروية في كتاب «تقييد المهمل وتمييز المشكل» (مخطوط ورقة/٣٤/ب) للإمام الحافظ الكبير الثقة الناقد أبي علي الغساني قال: أخبرني أبو الحسن طاهر بن منصور بن عبد الله بن مفور المعافري صاحبنا رحمه الله، أخبرني أبو الفتح وأبو الليث نصر بن الحسن التُّنْكتي المقيم بسمرقند، قدم عليهم بلنسية...(ثم ذكرها).

ونقلها السبكي في الطبقات (٢/٢٣٤). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٢/٥٩٩ و٦٠٠ و٦٠٣): بكار بن قتيبة بن أسد بن عبيد الله بن بشير ابن صاحب رسول ﷺ أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي البكراوي البصري؛ القاضي الكبير العلامة المحدث أبو بكرة الفقيه الحنفي قاضي القضاة بمصر مولده في سنة اثنتين وثمانين ومائة بالبصرة.

قـــال أبـــو بكر ابن المقرىء: حدثنا محمد بن بكر الشعراني بالقدس، حدثنا أحمـــد بن سهل الهروي قال: كنت ساكناً في جوار بكار بن قتيبة فانصرفت **بعد العشاء،** فإذا هو يقرأ: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الـــناس بالحق ولا تتَّبِعِ الهوى فيضلّك عن سبيل الله﴾ الآية قال: ثم نزلت في **السحر** فإذا هو يقرؤها ويبكي، فعلمت أنه كان يتلوها من أول الليل.

قلـــت (القائل الذهبي): كان عظيم الحرمة وافر الجلالة من العلماء العاملين، كان السلطان ينـــزل إليه ويحضر مجلسه.

ثم نقـــل الذهبي عن ابن خلكان [في الوفيات ١/٢٧٩-٢٨٠] قال: **وكان بكـــار تالـــياً للقرآن بكاء صالحاً ديناً، وقبره مشهور قد عرف باستجابة الدعاء عنده.**

توفي ابن بكار سنة ٢٧٠ هـــ .

وقال الذهبي رحمه الله (١٦/١٦١-١٦٢) في ترجمة السراج المتوفى سنة ٣٦٦ هـــ : **الإمام المحدث القدوة شيخ الإسلام** أبو الحسن محمد بن الحسن...قال الحاكم: قلّما رأيت أكثر اجتهاداً وعبادة منه، وكان يعلّم القرآن، وما أشبه حاله إلا بحال أبي يونس القوي الزاهد، **صلى حتى أقعد، وبكى حتى عمي.**

حدث أبو الحسن رحمه الله من أصول صحيحة: سمعته يقول: **رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، فتبعته حتى دخل، فوقف على قبر يحيى بن يحيى، وتقدم و صَفَّ خلفه جماعة من الصحابة، وصلى عليه، ثم التفت فقال: هذا القبر أمان لأهل هذه المدينة.**

قلت: أي مدينة خراسان، وهذا إسناد أصح من الصحيح. لا ينكر صحته إلا جاهل أو مكابر؛ ورؤيا حق شواهدها من السنة الصحيحة كثيرة جداً.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام (٤٦٣/١٦ حوادث سنة٢٢١ -٢٣٠): قال بشر بن الحكم: حزرنا في جنازة يحيى مائة ألف رجل. وقال الحاكم: سمعت الحافظ أبا علي النيسابوري يقول: كنت في غم شديد، **فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، كأنه يقول لي: صر إلى قبر يحيى بن يحيى واستغفر، وسل الله حاجتك.**

فأصبحت ففعلت ما أمرني به، فقُضيت حاجتي.

وهذه قصة إسنادها صحيح كالشمس. وسيأتي المزيد من الكلام عن يحيى بن يحيى البركة الذي تتنـــزل الرحمة بذكره، انظر (ص ١٥٠). انتهى.

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله (٣٩٨/١٦ و٤٠٠-٤٠١): ابن المقرئ الشيخ الحافظ الجوال الصدوق مسند الوقت أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني .. صاحب المعجم والرحلة والواسعة .. ولد سنة ٢٨٥...قال ابن مردويه في تاريخه: ثقةٌ مأمون، صاحب أصول. وقال أبو نعيم: محدّثٌ كبيرٌ، ثقة، صاحب مسانيد، سمع ما لا يحصى كثرةً. وقال أبو طاهر أحمد بن محمود: سمعت أبا بكر بن المقرئ يقول: طفت الشرق والغرب أربع مرات. وروى رجلان عن ابن المقرئ قال: مشيت بسبب «نسخة مفضل بن فضالة» سبعين مرحلة، (مسافة أكثر من شهرين) لو عرضت على خباز برغيف لم يَقْبَلها. قال أبو طاهر بن سلمة: سمعت ابن المقرئ يقول:

دخلت بيت المقدس عشر مرات، وحججت أربع حجات، وأقمت بمكة خمسة وعشرين شهراً.

وروي عن أبي بكر بن أبي علي، قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني، وأبو الشيخ بالمدينة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء **حضرتُ القبر (أي قبر سيدنا النبي ﷺ)، وقلت: يا رسول الله، الجوع**، فقال لي الطبراني: اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر البابَ علويٌّ، ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيءٌ كثير، وقال: **شكوتموني إلى النبي ﷺ**؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيءٍ إليكم.

قال الحافظ أبو موسى المديني: حدثنا معمر بن الفاخر، حدثنا عمي، سمعت أبا نصر بن أبي الحسن، يقول: سمعت ابن سلامة، يقول: قيل للصاحب إسماعيل بن عباد: أنت رجلٌ معتزلي وابنُ المقرىء محدِّث، وأنت تحبه ! قال: لأنه كان صديق والدي، وقد قيل: مودة الآباء قرابة الأبناء، **ولأني كنت نائماً، فرأيت النبي ﷺ في النوم يقول لي: أنت نائم ووليٌّ من أولياء الله على بابك؟! فانتبهت ودعوت وقلت: من بالباب؟ فقال: أبو بكر بن المقرئ**.

قال أبو طاهر ابن سلمة: سمعت ابن المقرئ يقول: استلمت الحجر في ليلة مائة وخمسين مرة.

توفي ابن المقرئ سنة ٣٨١هـ .

قلت: القصتان الأخيرتان ذكرهما الذهبي أيضاً في تذكرة الحفاظ (٣/٩٥٤). والثانية أوردها ابن عبد الهادي في طبقات علماء الحديث (٣/١٦٧). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٦/٥١٨-٥١٩): صالح بن أحمد بن محمد.. الإمام العالم الحافظ الثبْت، أبو الفضل.. السمسار. قال الحافظ شيرويه الديلمي: كان ركناً من أركان الحديث، ثقة، حافظاً، دَيِّناً، ورعاً، صدوقاً، لا يخاف في اللّه لومة لائم. وله مصنفات غزيرة. مولده سنة ثلاث وثلاث مائة ومات لثمان بقين من شعبان سنة أربع وثمانين وثلاث مائة. **ويستجاب الدعاء عند قبره**، صلى عليه أبو بكر ابن لال، فبلغنا أنه قال: **كنا نترك الذنوب من خشية اللّه، وثلثي ذلك حياء من هذا الشيخ رحمه اللّه.**

قلت: وتقدم الكلام على إستجابة الدعاء عند قبور الصالحين عن الحافظ الذهبي رحمه اللّه، وسيأتي تقريره عن غيره من أهل العلم المعتبرين. انتهى.

وقال الذهبي رحمه اللّه (١٧/٧٥-٧٦ و٧٧): ابن لال الشيخ الإمام الفقيه المحدث أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد.. الهمذاني الشافعي.. وله رحلة وحفظ ومعرفة.. وكان إماماً مفنناً. قال شيرويه: كان ثقة، أوحد زمانه، مفتي البلد، وله مصنفات في علوم الحديث، غير أنه كان مشهوراً بالفقه. قال: ورأيت له كتاب السنن، ومعجم الصحابة، ما رأيت أحسن منه، **والدعاء عند قبره مستجابٌ**، ولد سنة (٣٠٨)، ومات سنة (٣٩٨).

قلت (القائل الذهبي): والدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء، وفي سائر البقاع، لكن سبب الإجابة حضور الداعي،

وخشوعه وابتهاله، وبلا ريب في البقعة المباركة، وفي المسجد، وفي السحر، ونحو ذلك، يتحصل ذلك للداعي كثيراً، وكل مضطر فدعاؤه مجابٌ.

وقال الذهبي رحمه الله (١٧/٢١٤-٢١٥): ابن فورك **الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلمين**، أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني...

قال عبد الغافر في «سياق التاريخ»: **الأستاذ أبو بكر قبرُه بالحيرة يُستسقى به.**

وقال القاضي ابن خلكان فيه [في الوفيات ٢٧٢/٤]: أبو بكر الأصولي، الأديب النحوي الواعظ، درّس بالعراق مدةً، ثم توجه إلى الري، فسعت به المبتدعةُ، يعني الكرامية، فراسله أهل نيسابور، فورد عليهم، وبنوا له مدرسة وداراً، **وظهرت بركته على المتفقهة**، وبلغت مصنفاته قريباً من مائة مصنف، ودعي إلى مدينة غزنة، وجرت له بها مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كَرَّام، ثم عاد إلى نيسابور، فَسُمّ في الطريق، فمات بقرب بُست، ونقل إلى نيسابور، **ومشهده بالحيرة يزار، ويستجاب الدعاء عنده.**

قلت (القائل الذهبي): كان أشعرياً، رأساً في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري.

وقال عبد الغافر: دعا أبو علي الدقاق في مجلسه لطائفة، فقيل: ألا دعوت لابن فورك؟ قال: كيف أدعو له، **وكنت البارحة أقسم على الله بإيمانه أن يشفيني؟**

قلت: **قارن قول** الذهبي في وصفه له: **(الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلمين)**.بقوله: **(كان أشعرياً). تجد قمة الإنصاف، ورداً على المتحاملين على الذهبي، الزاعمين أنه عدو الأشاعرة.**

وقصة الاستشفاء انظرها في تبيين كذب المفتري (ص ٢٣٢-٢٣٣). انتهى.

قال الذهبي رحمه الله (١٧/٣٨٤-٣٨٥): **الجارودي الحافظ الإمام المتقن** الجوال أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد الهروي...قال أبو النضر الفامي: كان أبو الفضل عديم النظير في العلوم، خصوصاً في علم الحفظ والتحديث، وفي التقلل من الدنيا والاكتفاء بالقوت، كان وحيداً في الورع، وقد رأى بعضُ الناس رسولَ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في النوم، **فأوصاه بزيارة قبر الجارودي، وقال: إنه كان فقيراً سنياً.**

قلت: انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/١٠٥٥). والوصية بزيارة قبره من أجل التبرك به. انتهى.

وقال الحافظ الذهبي رحمه اللّه (١٧/٤٢٨): الأردستاني الإمام الحافظ الجوال الصالح العابد أبو بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد...قال شيرويه: كان ثقة، يحسن هذا الشأن، سمعت **عدةً يقولون: ما من رجل له حاجة من أمر الدنيا والآخرة يـزور قبـره ويدعو إلا استجاب اللّه له. قال: وجربت أنا ذلك**، وقد حدث عنه في سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة بـ «صحيح البخاري» عبدُ الغفار بن طاهر بهمذان.

وكان مع علمه بالأثر قيماً بكتاب اللّه، رفيع الذِّكرِ مات سنة ٤٢٤هـ.

وقال الذهبي رحمه الله (١٨/٤٣٣ و٤٣٤): ابن زِيْرَك العلامة شيخ همذان أبو الفضل محمد بن عثمان.. القوساني ثم الهمذاني.. ولد سنة (٣٩٩).

قال شيرويه: أكثرت عنه، **وكان ثقة صدوقاً**، له شأن وحشمة، ويدٌ في التفسير، فقيهاً، أديباً، متعبداً. مات في ربيع الآخر، سنة إحدى وسبعين. **وقبره يُزار، ويُتبرك به**. سمعته يقول: مرضت، واشتد الأمر، فكان أبي يقول: يا بني! أكثر ذِكْرَ اللّه. فأشهدته علي أنني على الإسلام والسنة، فرأيت وأنا في تلك الحال كأن هيبة دخلتني، فإذا أنا برجلٍ ذي هيبة وجمال، كأنه يَسْبَح في الهواء، فقال لي: قل. فقلت: نعم. فكرر علي، ثم قال لي: قل: الإيمان يزيد وينقص، والقرآن غير مخلوق بجميع جهاته، وإن اللّه يُرى في الآخرة. قلت: لست أطيق أن أقول من الهيبة. فقال: قل معي فأعاد الكلمات فقلتها معه، فتبسم وقال: أنا أشهد لك عند العرش. فأردت أن أسأله هل أنا ميت؟ فبدر وقال: أنا لا أدري. فقلت في نفسي: هذا مَلَك، وعوفيت.

وقال الذهبي رحمه اللّه (١٩/٥١ و٥٣): أبو الفرج الحنبلي **الإمام القدوة شيخ الإسلام**...عبد الواحد بن محمد بن علي...**الفقيه الحنبلي الواعظ... من كبار أئمة الإسلام**.

وقال أبو الحسين ابن الفراء في طبقات الحنابلة:.. **وكانت له كرامات ظاهرة**، قال: ويقال: **إنه اجتمع بالخضر عليه السلام مرتين، وكان يتكلم في عدة أوقات على الخواطر**، كما كان يتكلم ببغداد أبو الحسن ابن

القزويني الزاهد، وكان الملك تتش يعظمه، **لأنه تم له مكاشفة معه.**

إلى أن قال: وكان ناصراً لاعتقادنا، متجرداً في نشره، وله تصانيف في الفقه والوعظ والأصول.

قلت (القائل الذهبي): توفي في ذي الحجة سنة ست وثمانين وأربع مائة، ودفن بمقبرة باب الصغير، **وقبره مشهور يزار، ويُدعى عنده.**

قلت: سيأتي مزيد كلام عن حاله رحمه الله. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٩/٧٤-٧٥ و٧٧): الخِلَعي الشيخ **الإمام الفقيه القدوة** مسند الديار المصرية القاضي أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين...الشافعي..مولده بمصر في أول سنة (٤٠٥)هـ.

قال ابن الأنماطي: **قبر الخلعي بالقرافة يعرف بقبر قاضي الجن والإنس، يعرف بإجابة الدعاء عنده.**

قلت: انظر طبقات الشافعية للسبكي (٥/٢٥٤). انتهى.

تكميل:

قال العلامة الحافظ ابن الجزري في عدة الحصن الحصين (ص ٢٠): فصل في **أماكن الإجابة، وهي المواضع المباركة**، ولا أعلم أنه ورد عن النبي ﷺ في ذلك إلا ما رواه الطبراني بسند جيد، أن الدعاء مستجاب عند رؤية الكعبة. وورد مجرباً في مواضع كثيرة مشهورة، منها:...**عند قبور الأنبياء**، عليهم

الصلاة والسلام، ولا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا محمد ﷺ بالإجماع فقط. وقبرُ إبراهيم داخل السور من غير تعيين، **وجربت [وفي نسخة: وجُرّب] استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة**. انتهى مختصراً.

قال العلامة الشوكاني في «تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين» (ص ٤٤-٤٦): قوله: (وهي المواضع المباركة) أقول: وجه ذلك أنه يكون في هذه المواضع المباركة مزيد اختصاص، فقد يكون ما لها من الشرف والبركة مقتضياً لعود بركتها على الداعي فيها، وفضلُ الله واسع، وعطاؤه جمّ، وقد تقدم حديث: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»، فجعل جليس أولئك القوم مثلهم مع أنه ليس منهم، وإنما **عادت عليه بركتهم فصار كواحد منهم، فلا يبعد أن تكون المواضع المباركة هكذا**، فيصير الكائن فيها الداعي لربه عندها مشمولاً بالبركة التي جعلها الله فيها، فلا يشقى حينئذ بعدم قبول دعائه.

ثم قال الشوكاني (ص٤٥): قوله: (وورد مجرباً) أقول: لعل وجه ما ثبت بهذا التجريب مزيد شرف هذه المواضع، ولذلك مدخلية في قبول الدعاء كما قدمنا قريباً، وقد ثبت فيما يضاعف أجر الصلاة في المسجد الحرام، وفي مسجده صلى الله عليه وآله وسلم ما هو معروف، فغير بعيد أن يكون فيها مقبولاً زيادة على ما في غيرها.

ثم قال الشوكاني (ص٤٦): قوله: (وعند قبور الصالحين) أقول: هذا جعله المصنف رحمه الله داخلاً فيما تقدم من التجريب الذي ذكره، ووجه ذلك مزيد الشرف، **ونزول البركة**، وقد قدمنا **أنها تسري بركة المكان على**

الداعي، كما ترى بركة الصالحين الذاكرين الله سبحانه على من دخل فيهم ممن ليس هو منهم كما يفيده قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

قوله: (وجرب [وفي نسخة: وجَرَّبتُ] استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة) أقول: وجه هذا ما ذكرناه ههنا، وفيما تقدم، ولكن ذلك بشرط أن لا تنشأ عن ذلك مفسدة، وهي أن يعتقد في ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده كما يقع لكثير من المعتقدين في القبور، فإنهم قد يبلغون الغلو بأهلها إلى ما هو شرك بالله عز وجل، **فينادونهم مع الله ويطلبون منهم ما لا يطلب إلا من الله عز وجل**، وهذا معلوم من أحوال كثير من العاكفين على القبور، خصوصاً **العامة** الذين لا يفطنون لدقائق الشرك. اهـ كلام الشوكاني رحمه الله. إذن فمن تبرك بالأولياء ودعا **الله** عند قبرهم: فلا حرج عليه. انتهى.

البلاء يُرفع ببركة الصالحين

قال الذهبي رحمه الله (١٣٧/٤) في ترجمة التابعي الجليل يزيد بن الأسود الجرشي الزبديني رحمه الله: روى صفوان بن عمرو، عن سُليم بن عامر قال: خرج معاوية يستسقي، فلما قعد على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطاهم. فأمره معاوية، فصعد المنبر، فقال معاوية: **اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود**، يا يزيد، ارفع يديك إلى الله. فرفع يديه ورفع الناس فما كان بأوشك من أن ثارت سحابة كالترس،

وهبت ريح، فسقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.

وقال سعيد بن عبد العزيز وغيره: استسقى الضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود فما برحوا حتى سُقوا.

وروى الحسن بن محمد بن بكار، عن أبي بكر عبد الله بن يزيد قال: حدثني بعض المشيخة أن يزيد بن الأسود الجرشي كان يسير في أرض الروم هو ورجلٌ، فسمع هاتفاً يقول: يا يزيد، إنك لمن المقربين، وإن صاحبك لمن العابدين، وما نحن بكاذبين.

قال ابن عساكر: بلغني أنه كان يصلي العشاء الآخرة بمسجد دمشق، يخرج إلى «زبدين» فتضيء إبهامه اليمنى، فلا يزال يمشي في ضوئها إلى القرية. وشهده وقتَ الموت واثلةُ بن الأسقع.

قلت: حديث سليم رواه ابن سعد (٧/٤٤٤).

وحديث سعيد رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/٣٨١).

وحديث عبد الله بن يزيد رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (مخطوط ج١٨ /ورقة١٢١/ب).

وقول ابن عساكر رواه في تاريخه (١٨/ورقة١٢٠/ب). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٤/١٦٣) في ترجمة الإمام التابعي الكبير شقيق بن سلمة أبي وائل الكوفي رحمه الله: وروى مغيرة عن إبراهيم، وذُكر عنده أبو وائل، فقال (إبراهيم النخعي): **إني لأحسبه ممن يُدفع عنا به.**

قلت: رواه الخطيب في التاريخ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (١٦٧/٢٣).

وروى أبو نعيم في الحلية (١٠٥/٤) واللفظ له، والخطيب في التاريخ (٢٧٠/٩) ومن طريقهما ابن عساكر (١٦٧/٢٣)، **عن إبراهيم النخعي قال: ما من قرية إلا وفيها من يُدفع عن أهلها به، وإني لأرجو أن يكون أبو وائل منهم.**

وقد ذكر أبو نعيم في الحلية (١٠١/٤) والخطيب في التاريخ (٢٦٨/٩) وابن عساكر (١٥٢/٢٣) والذهبي ـ ذكروا ـ من أخبار أبي وائل ما تنشرح به الصدور. وقال الذهبي: كان هذا السيد رأساً في العلم والعمل.

فائدة: روى أبو نعيم في الحلية (٥/٥) عن سفيان الثوري رحمه الله قال: **ما أرى كان يُدفع عن أهل هذه المدينة إلا بمحمد بن سوقة**، ورث عن أبيه مائة ألف فتصدق به كله.

وقال سفيان الثوري أيضاً: **إن محمد بن سوقة لمن يُدفع به عن أهل البلاد**، كان له عشرون ومائة ألف فتصدق بها. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٥٧٤/٤) في ترجمة الإمام التابعي الثقة العابد الجليل الحسن البصري رحمه الله: (روى) محمد بن سلاّم الجمحي عن همام عن قتادة قال: يقال: **ما خلت الأرض قط من سبعة رهط بهم يُسقَون، وبهم يُدفع عنهم، وإني لأرجو أن يكون الحسن أحد السبعة.**

وقال الذهبي رحمه الله (٣٥٥/٥) في ترجمة الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام التابعي محمد بن المنكدر المدني: (روى) أبو خالد الأحمر عن محمد بن سوقة عن ابن المنكدر قال: **إن الله يحفظ العبد المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظ**

في دُويرته ودُويرات حوله، فما يزالون في حفظ أو في عافية ما كان بين ظهرانيهم.

وقال الذهبي رحمه الله (٣٦٥/٥) في ترجمة الإمام الثقة الحافظ الفقيه العابد التابعي صفوان بن سليم المدني رحمه الله: عن أحمد بن حنبل قال: (صفوان) من الثقات **يستشفى بحديثه، وينـــزل القطر من السماء بذِكْرِه**... ثقة من خيار عباد الله الصالحين.

قلت: صفوان بن سليم قال عنه الذهبي: الإمام الثقة الحافظ الفقيه. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث عابداً. وقال يعقوب بن شيبة: ثَبْتٌ ثقة مشهور بالعبادة، سمعت علي بن عبد الله (المديني) يقول: كان صفوان بن سليم يصلي على السطح في الليلة الباردة لئلا يجيئه النوم. وقال مالك بن أنس: كان صفوان بن سليم يصلي في الشتاء على السطح، وفي الصيف في بطن البيت يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم. وإنه لترم رجلاه حتى يعود كالسقط من قيام الليل ويظهر فيه عروق خضر.
وقال أبو غسان النهدي: سمعت **سفيان بن عيينة** وأعانه على الحديث أخوه قال: حلف صفوان ألا يضع جنبه بالأرض حتى يلقى الله. فمكث على ذلك أكثر من ثلاثين عاماً، فلما حضرته الوفاة واشتد به النـــزع والعَلَز (القلق عند الموت) وهو جالس. فقالت ابنته: يا أبة لو وضعت جنبك. فقال يا بنية: إذن ما وفيت لله بالنذر والحلف. فمات وإنه لجالس.
وروى سهل بن عاصم عن محمد بن منصور قال: قال صفوان بن سليم:

أعطي الله عهداً أن لا أضع جنبي على فراش حتى ألحق بربي، فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه، فلما نزل به الموت قيل له: رحمك الله ألا تضطجع ؟ قال: ما وفيت لله بالعهد إذن. فأسند فما زال كذلك حتى خرجت نفسه. وقال سفيان بن عيينة: آلى صفوان أن لا يضع جنبه إلى الأرض حتى يلقى الله تعالى.

مات سنة ١٣٢ هـ .

وبعد، فهذا هو صفوان الذي يتبرك الناس به. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٠/٦٤١): خالد بن خَليّ القاضي الإمام الحافظ أبو القاسم الكلاعي الحمصي، قاضي بلده ولد في حدود سنة (١٧٠هـ) كان من نبلاء العلماء.

قال عبد الصمد بن سعيد القاضي: سمعت سليمان بن عبد الحميد البهراني يقول: لما وجه المأمون إلى أهل حمص ليقدموا عليه دمشق، وقع الاختيار على أربعة: يحيى بن صالح الوحاظي، وعلي بن عياش، وأبي اليمان، وخالد بن خلي. قال: فأول من دخل أبو اليمان، فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول في يحيى بن صالح؟ فقال: أورد علينا من هذه الأهواء شيئاً لا نعرفه. قال: فما تقول في علي بن عياش؟ فقال: رجل صالح لا يصلح للقضاء. قال: فخالد بن خلي؟ قال: أنا أقرأته القرآن. فأمر به فأخرج.

ثم أدخل يحيى بن صالح، فقال: ما تقول في أبي اليمان؟ قال: شيخ من شيوخنا، مؤدب أولادنا. قال: فعلي بن عياش؟ قال: رجل صالح لا يصلح. قال: فخالد بن خلي؟ قال: عني أخذ العلم، وكتب الفقه. فأخرج.

وأدخل علي بن عياش، فحادثه، وقال: ما تقول في أبي اليمان؟ فقال: شيخ صالح يقرأ القرآن. قال: فيحيى؟ قال: أحد الفقهاء. قال: فخالد بن خلي؟ قال: رجل من أهل العلم. ثم أخذ يبكي.

ثم أدخل خالد، فقال له: ما تقول في أبي اليمان؟ قال: شيخنا وعالمنا، ومن قرأنا عليه القرآن. قال: فيحيى؟ قال: أخذنا عنه العلم والفقه. قال: فابن عياش؟ قال: **رجل من الأبدال، إذا نزلت بنا نازلة سألناه، فدعا الله فكشفها، فإذا أصابنا القحط، سألناه، فدعا الله تعالى، فسقانا الغيث.**

قال: فعمد يحيى بن أكثم إلى ستر رقيق بينه وبين المأمون، فرفعه، فقال له المأمون: هذا يصلح للقضاء فَوَلِّه. فَأَمَرَ بالخِلَع، فخلعت على خالد، وولاه القضاء.

قلت: هذا الخبر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/١٤-١٥).

أما علي بن عياش فقد قال فيه الذهبي (٣٣٨/١٠): الحافظ الصدوق العابد أبو الحسن الألهاني الحمصي. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٨٧/١٢) في ترجمة أحمد بن أبي الحواريّ: الإمام الحافظ القدوة شيخ أهل الشام الزاهد أحد الأعلام، قال: هارون بن سعيد الأيليُّ عن يحيى بن معين ، وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال: **أهل الشام به يُمطَرون.**

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يحسن الثناء عليه ويطنب فيه.

وقال فياض بن زهير: سمعت يحيى بن معين وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال: **أظن أهل الشام يسقيهم الله به الغيث.**

قلت: ترجمته حافلة ممتعة في حلية الأولياء (١٠/٥-٣٣) وسير أعلام النبلاء (١٢/٨٥-٩٤). وخبر هارون الأيلي رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢/٤٧) وأبو نعيم في الحلية (١٠/٢٢). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٤/٣٦٥ و٣٦٩): ابن خزيمة محمد بن إسحاق...الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي.

قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري: حدثنا ابن خزيمة قال: كنت إذا أردت أن أصنف الشيء أدخل في الصلاة مستخيراً حتى يفتح لي، ثم أبتدئ التصنيف. ثم قال أبو عثمان: **إن الله ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكر محمد بن إسحاق.**

قلتُ: وبمناسبة ذكر الحافظ الفقيه ابن خزيمة رحمه الله تعالى يطيب لنا أن نذكر هذه القصة العجيبة؛ التي **رواه الحافظ الثقة الكبير أبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور** (كما في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ٧/٣٣٩):

قال الحاكم: سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي، مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضى بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه يعني ابن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا. انتهى.

وقـال الذهبي رحمه الله (١٥/٢٥٨-٢٦٠): المحاملي القاضي الإمام العلامة المحدث الثقة مسند الوقت، أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل...مصنف السنن، مولـده في أول سنة (٢٣٥)، وأول سماعه في سنة (٢٤٤)، يعني كان عمره عشر سنين...

قال محمد بن الإسكاف: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول: **إن الله ليدفع عن أهل بغداد البلاء بالمحاملي**.

قلت: أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/٢٢). انتهى.

وقـال الذهبي رحمه الله (١٥/٣٧٤-٣٧٥): حمزة بن القاسم بن عبد العزيز **الإمـام القدوة إمام جامع المنصور** أبو عمر الهاشمي البغدادي، مولده في سنة ٢٤٩هـ.

قال الخطيب: كان ثقة مشهوراً بالصلاح، **استسقى** للناس، **فقال: اللهم إن عمـر بـن الخطـاب استسـقى بشيبة العباس [فسقي] وهو أبي، وأنا أسـتسقي به. قال: [فأخذ يحول رداءه] فجاء المطر وهو على المنبر**.

توفي سنة (٣٣٥).

قلت: خبر الاستسقاء رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/١٨٢). وفي هذا دليل على أن توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس رضي الله عنهما ليس خاصاً بكونه حـياً، يـدل على ذلك قول حمزة الهاشمي: **وأنا أستسقي به** . أي بالعباس.

وذلك بعد موته بكثير، فالتوسل جائز به سواء أكان حياً أم ميتاً، لأن المسلم يتوسل أي يتقرب إلى الله تعالى بمكانة الصالحين، وصلاحهم، فالضار والنافع هو الله تعالى، ولا فرق بين حياة المتوسَّل به وبين مماته، ومن فرَّق بينهما فقد نسب الضر والنفع إلى المخلوق، فوقع القوم بما فروا منه، نسأل الله التوفيق والسداد. ووالأدلة كثيرة على التوسل بالنبي ﷺ والصالحين بعد انتقالهم إلى الله، اطلبها من مظانها، فقد ألف علماؤنا الكثير في هذا الموضوع. انتهى.

التبرك بالسادة الصالحين وآثارهم
من الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم

قال الذهبي رحمه الله (٣/٤٣٠-٤٣١): عبد الله بن بسر بن أبي بسر، الصحابي المعمر، **بركة الشام**، أبو صفوان المازني، نزيل حمص.

قلت: جاءت بركته من سيد الأكوان صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال أبو عبد الله الحسن بن أيوب الحضرمي: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه، فوضعت إصبعي عليها فقال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إصبعه عليها ثم قال: «لتبلغن قرناً».

قال أبو عبد الله: وكان ذا جمة [يُرَجِّلُ شعر رأسه].

حديث صحيح، رواه الإمام أحمد (٤/١٨٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/٤٧).

وفي رواية: قال عبد الله بن بسر: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على رأسي وقال: «يعيش هذا الغلام قرناً». فعاش مائة سنة، وكان في وجهه ثالول فقال: «لا يموت هذا الغلام حتى يذهب هذا الثالول من وجهه». فلم يمت حتى ذهب الثالول من وجهه.

رواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده (كما في بغية الباحث ٢/٩٣٧) الطبراني في مسند الشاميين (٢/١٧) وفي الكبير (كما في المجمع (٩/٤٠٤) ومن طريقه الضياء في المختارة (٩/٩٠). وفي هذا الحديث دليل على أن القرن مائة سنة. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٦/٣٧٥): عبد الله بن عون...الإمام المحدث الزاهد العابد بركة الوقت أبو محمد الهلالي... ذُكر لأحمد فقال: ما به بأس، أعرفه قديماً. وجعل يقول فيه خيراً. وقال ابن معين وأبو زرعة وصالح جزرة والدارقطني: ثقة. فزاد صالح: «مأمون» يقال: **إنه من الأبدال.**

وقال البغوي: حدثنا عبد الله بن عون الخراز، وكان من خيار عباد الله. وقال مرة: **وكان من الأبدال.**

ما ت في رمضان سنة٢٣٢هـ.

قلت: قد أكثر الذهبي رحمه الله من إطلاق مصطلح (**الأبدال**) على السادة الصالحين، وهو مصطلح كان مستعملاً عند السلف الصالح: منهم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، والإمام الشافعي ووكيع بن الجراح وأمم سواهم من الصحابة والتابعين وأتباعهم من الحفاظ والمحدثين والفقهاء. تقدمت بعض النقول عنهم. وقد وردت أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وأصحابه في حق الأبدال، ومكانتهم ومدحهم لا يتسع المقام لذكرها. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٦/٤١٠): أبو شجاع القتباني الإمام القدوة، **بركة الوقت**...سعيد بن يزيد...وكان من العلماء المفتين، وثقه أحمد بن حنبل وجماعة. وقال أبو داود: كان له شأن. وقال ليث بن عاصم: **رأيته إذا أصبح عصب ساقه بمشاقة (قماش من الكتان والقطن) وبزر كتان من طول التهجد رضي الله عنه.**

وقال الحافظ ابن يونس: **من العباد المجتهدين**، توفي سنة ١٥٤هـ .

وقال الذهبي رحمه الله (٨/٣٨٤ـ٣٨٥) في ترجمة الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته الحافظ المجاهد أحد الأعلام عبد الله بن المبارك:

قال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة، فكان يطعمهم الخبيص، **وهو الدهر صائم.**

قال الحاكم: أخبرني محمد بن أحمد بن عمر، حدثنا محمد بن المنذر، حدثني عمر بن سعيد الطائي، حدثنا عمر بن حفص **الصوفي** بمنبج، قال: خرج ابن المبارك (**مجاهاً في سبيل الله**) من بغداد، يريد المصيصة، **فصحبه الصوفية**، فقال لهم: **أنتم لكم أَنْفُس تحتشمون أن يُنفَق عليكم**. يا غلام هات الطست. فألقى عليه منديلاً، ثم قال: يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما

معه، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم، والرجل يلقي عشرين، فأنفق عليهم إلى المصيصة، ثم قال: **هذه بلاد نفير** فنقسم ما بقي، فجعل يعطي الرجل عشرين ديناراً، فيقول: يا أبا عبد الرحمن، إنما أعطيتُ عشرين درهماً، فيقول: **وما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته.**

قلت: رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/١٥٧-١٥٨). انتهى.

ثم روى الذهبي رحمه الله (٨/٤١٠): بسنده إلى ابن المبارك عن خالد الحذاء، عـــن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**البركة مع أكابركم**».

فقلت للوليد: أين سمعت من ابن المبارك؟ قال: في الغزو.

قلت: أخرجه ابن حبان (١٩١٢) والحاكم (١/٦٢) وأبو نعيم في الحلية (٨/١٧١)، من طريقين عن ابن المبارك، به. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٩/٣١٣) في ترجمة الإمام الزاهد شيخ خراسان شقيق بن إبراهيم البلخي الشهيد، استشهد سنة ١٩٤ هـــ رحمه الله تعالى:

روي عن علي بن محمد بن شقيق قال: كانت لجدي ثلاث مائة قرية، ثم مات بلا كفن، قال: **وسيفه إلى اليوم يتباركون به**، وقد خرج إلى بلاد الترك تاجراً، فدخل على عبدة الأصنام، فرأى شيخهم قد حلق لحيته، فقال: هذا باطل، ولكم خالق وصانع قادر على كل شيء. فقال له: ليس يوافق قولك

فعلك. قال: وكيف؟ قال: زعمت أنه قادر على كل شيء، وقد تعنيت إلى ههنا تطلب الرزق، ورازقك ثَمَّ. فكان هذا سبب زهدي.

قلت: رواه أبو نعيم في الحلية (٥٩/٨) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٦/٢٣)، ولفظه وسنده هو:
حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله البغدادي سنة ثمان وخمسين وحدثني عنه أولاد عثمان بن محمد العثماني سنة أربع وخمسين، حدثنا عباس بن أحمد الشامي حدثنا أبو عقيل الرصافي حدثنا أحمد بن عبد الله الزاهد قال: قال علي بن محمد بن شقيق: كان لجدي ثلاث مائة قرية يوم قتل بواشكرد ولم يكن له كفن يكفن فيه؛ قدَّمه كله بين يديه، **وثيابُه وسيفُه إلى الساعة معلق يتبركون به.**
قال: وقد كان خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدَثٌ إلى قوم يقال لهم: الخصوصية وهم يعبدون الأصنام، فدخل إلى بيت أصنامهم، وعالمهم فيه حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً حمراء أرجوانية، فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شيء له الدنيا والآخرة، قادر على كل شيء رازق كل شيء. فقال له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك. فقال له شقيق: كيف ذاك؟ قال: زعمت أن لك خالقاً رازقاً قادراً على كل شيء وقد تغيبت إلى ههنا لطلب الرزق، ولو كان كما تقول فإن الذي رزقك ههنا هو الذي يرزقك ثَمّ، فتريح العنا. قال شقيق: وكان سبب زهدي كلام التركي.

فرجع فتصدق بجميع ما ملك، وطلب العلم.

وشقيق البلخي وصفه الذهبي في السير بالإمام الزاهد شيخ خراسان. وأنه مع تألهه وزهده كان من رؤوس الغزاة. ووصفه في الميزان بأنه من كبار المجاهدين.

وأخبار شقيق تتنـــزل بها الرحمات انظرها في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٣/ ١٣١)، وحلية الأولياء (٨/٥٨). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٠/٢٣٥) في ترجمة أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر الإمام شيخ الشام الفقيه الحافظ .

قال أبو حاتم الرازي: ما رأيت أحداً أعظم قدراً من أبي مسهر، كنت أراه إذا خرج إلى المسجد، اصطفَّ الناس يسلّمون عليه، ويقبِّلون يده.

قلت: وهذا الخبر رواه الحافظ عبد الرحمن ابن الحافظ أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل (١/٢٩١) قال: سمعت أبي يقول: **ما رأيت أحداً في كورة من الكور أعظم قدراً ولا أجلَّ عند أهلها من أبي مسهر بدمشق، وهشام الرازي بالري، وكنت أرى أبا مسهر إذا خرج إلى المسجد اصطف الناس له يمنة و يسرة يسلّمون عليه ويقبّلون يده.**

وهذا من أصح الأسانيد على وجه الأرض. وترجمة أبي مسهر حافلة في تقدمة الجرح والتعديل (٦/٧٢) والسير (١٠/٢٢٨). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٠/٥١٢-٥١٨): يحيى بن يحيى بن بكير..**شيخ الإسلام وعالم خراسان**، أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري **الحافظ**.

قال أبو العباس السراج: سمعت الحسين بن عبدش وكان ثقة: سمعت محمد بن أسلم يقول: **رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت: عمن أكتب؟ فقال: عن يحيى بن يحيى.**

قال الحاكم: سمعت محمد بن حامد، سمعت أبا محمد المنصوري، سمعت محمد بن عبد الوهاب، سمعت الحسين بن منصور يقول:

أراد يحيى بن يحيى الحج فاستأذن عبد الله بن طاهر الأمير فقال: أنت من الإسلام بالعروة الوثقى فلا آمن أن تمتحن فتصير إلى مكروه فهذا الإذن وهذه النصيحة. فقعد. وبلغنا أن يحيى **أوصى بثياب بدنه لأحمد بن حنبل، فلما قَدِمَتْ على أحمد أخذ منها ثوباً واحداً للبركة ورد الباقي**، وقال: إنه ليس تفصيل ثيابه من زي بلدنا.

وقال أبو عمرو المستملي: سمعت أبا أحمد الفراء يقول: أخبرني زكريا بن يحيى بن يحيى قال: أوصى أبي بثياب جسده لأحمد، فأتيته بها في منديل فنظر إليها وقال: ليس هذا من لباسي. ثم أخذ ثوباً واحداً ورد الباقي.

توفي يحيى رحمه الله سنة ٢٢٦ هـ .

قلت: ووصية يحيى بن يحيى بثيابه لأحمد بن حنبل ذكرها ابن حبان في الثقات (٩/٢٦٢). انتهى.

وقال محمد بن عبد الوهاب: وسمعت الحسين بن منصور، سمعت عبد الله بن طاهر الأمير يقول: رأيت في النوم في رمضان كأن كتاباً أدلي من السماء، فقيل لي: **هذا الكتاب فيه اسم من غُفر له. فقمت فتصفحت فيه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، يحيى بن يحيى.**

وقال الحاكم: سمعت أبي، سمعت أبا عمرو العمروي والي البلد يقول: **بينا أنا نائم ذات ليلة على السطح إذ رأيت نوراً يسطع إلى السماء من قبر في مقبرة الحسين، كأنه منارة بيضاء فدعوت بغلام لي رامٍ فقلت:** ارم ذاك **القبر الذي يسطع منه النور. ففعل فلما أصبحت بَكَّرت بنفسي فإذا النشابة في قبر يحيى بن يحيى رحمة الله عليه.**

وقال الذهبي رحمه الله (١٦/١٦١-١٦٢) في ترجمة السراج: **الإمام المحدث القدوة شيخ الإسلام** أبو الحسن محمد بن الحسن...قال الحاكم: قلّما رأيت أكثر اجتهاداً وعبادة منه، وكان يعلم القرآن، وما أشبه حاله إلا بحال أبي يونس القوي الزاهد، صلى حتى أقعد، **وبكى حتى عمي**. حدث أبو الحسن رحمه الله من أصول صحيحة: سمعته يقول: **رأيت النبي ﷺ في المنام، فتبعته حتى دخل، فوقف على قبر يحيى بن يحيى، وتقدم و صَفَّ خلفه جماعة من الصحابة، وصلى عليه، ثم التفت فقال: هذا القبر أمان لأهل هذه المدينة.**

قلت: وهذا إسناد أصح من الصحيح.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٦/٤٦٣): وقد كتب يحيى مرة رقعة إلى

(الأمير) عبد الله بن طاهر، **فقبّل الرقعة ووضعها على عينيه**. انتهى.

قال الذهبي رحمه الله (٢٠٥/١١) في ترجمة الإمام الحافظ الحجة الثقة الفقيه العابد البركة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

وقد أثنى على أبي عبد الله جماعة من أولياء الله وتبركوا به، روى ذلك أبو الفرج ابن الجوزي، وشيخ الإسلام، ولم يصح سند **بعض** ذلك.

قلت: وقد أحسن الذهبي لما قال: (**بعض**) حتى لا يفهم بليد أن **الكل** لا يصح، وقد تقدمت بعض أحوال الإمام أحمد رحمه الله.

وقال ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ١٤٦): (الباب الثامن عشر في **ذكر تبرك الأولياء به وزيارتهم له**). ثم روى أخباراً فيها زيارة الأبدال للإمام أحمد رضي الله عنه. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢١١/١١ــ٢١٢): قال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة جارنا قال: كانت أمي مقعدة من نحو **عشرين سنة**، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي. فأتيت فدققت عليه وهو في دهليزه فقال: من هذا؟

قلت: رجل، سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء. فسمعت كلامه كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليتُ منصرفاً، فخرجت عجوز فقالت: قد تركته يدعو لها. فجئت إلى بيتنا ودققت الباب، **فخرجت أمي على رجليها تمشي**.

هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس.

قال عبد الله بن أحمد: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة. فلما مرض من تلك الأسواط، أضعفته، فكان يصلي كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة.

قال عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري: حدثنا أبي، قال: مضى عمي أحمد بن سعد إلى أحمد بن حنبل، فسلم عليه. فلما رآه، **وثب قائماً وأكرمه.**

وقال الذهبي رحمه الله (١١/٢٣٠): أبو بكر بن شاذان: حدثنا أبو عيسى أحمد بن يعقوب، حدثتني فاطمة بنت أحمد بن حنبل، قالت: وقع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد تزوج بفتية، فحملوا إليه جهازاً شبيهاً بأربعة آلاف دينار، فأكلته النار فجعل صالح يقول: **ما غمني ما ذهب إلا ثوب لأبي كان يصلي فيه أتبرك به وأصلي فيه.** قالت: فطفىء الحريق، ودخلوا فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ما حوله وسَلِمَ.

قال ابن الجوزي: وبلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي أنه حكى أن الحريق وقع في دراهم، فأحرق ما فيها إلا كتاباً كان فيه شيء بخط الإمام أحمد. قال: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة ٥٥٤، **وغرقت كتبي، سلم لي مجلد فيه ورقتان بخط الإمام.**

قلت (القائل الذهبي): وكذا **استفاض وثبت** أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مائة ببغداد عامَ على مقابر مقبرة أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز علو ذراع، **ووقف بقدرة الله، وبقيت الْحُصُر حول قبر الإمام بغبارها،**

وكان ذلك آية.

وقال الذهبي (٣٠٤/١١): (قال) الخلال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: **رأيت كثيراً من العلماء والفقهاء والمحدثين وبني هاشم وقريش والأنصار: يُقَبِّلون أبي؛ بعضُـــهم يَدَه؛ وبعضُهم رأسَه؛ ويعظمونه تعظيماً لم أرهم يفعلون ذلك بـــأحد من الفقهاء غيره، ولم أره يشتهي ذلك، ورأيت الهيثم بن خـــارجة والقواريـــري وأبا معمر، وعلـــي بن المديني وبشاراً الخفاف وعبد الله بن عون الخراز وابن أبي الشوارب وإبراهيم الهروي ومحمد بن بكار ويحيى بن أيـــوب وسريج بن يونس وأبا خيثمة ويحيى بن معين وابن أبي شيبة وعبد الأعلى النرسي وخلف بن هشام وجماعة لا أحصيهم يعظمونه ويوقرونه.**

وقال الذهبي (٣١٨/١١): (قال) الخلال: حدثنا محمد بن علي، حدثنا مهنى قال: **رأيت أبا عبد الله (أحمدَ بن حنبل) مرات يُقَبِّل وجهه ورأسه ولا يقول شـــيئاً، ولا يمتنع، ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبّل رأسه وجبهته لا يمتنع من ذلك ولا يكرهه.**

وقـــال الذهـــبي (٣٤١/١١): قال صالح: ودخل على أبي مجاهد بن موسى فقال: يا أبا عبد الله قد جاءتك البشرى هذا الخلق يشهدون لك، ما تبالي لو وردت عـــلى الله الساعة. **وجعل يقبل يده ويبكي** ويقول: أوصني يا أبا عبد الله. فأشار إلى لسانه. ودخل سوار القاضي فجعل يبشره ويخبره بالرخص.

قلت: رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ٤٠٧). انتهى.

وقــال الذهــبي (٣٤٢/١١): وقال صالح: لم يحضر أبي وقت غسله غريب فأردنا أن نكفنه فغلبنا عليه بنو هاشم **وجعلوا يبكون عليه ويأتون بأولادهم فيكبوهم عليه ويقبلونه** ووضعناه على السرير وشددناه بالعمائم.

قلت: رواه ابن الجوزي في المناقب (ص ٤١٣). ووقع عنده (فيكبوهم عليه). انتهى.

وقــال الذهــبي رحمه الله (١٨٦/١٢): السري بن المغلس السقطي: الإمام القــدوة شــيخ الإسلام. ويقال: إن السري رأى جارية سقط من يدها إناء فانكســر، فأخذ من دكانه إناء فأعطاها فرآه معروف الكرخي فدعا له قال: بغَّض الله إليك الدنيا. قال: **فهذا الذي أنا فيه من بركات معروف**.

قلــت: نقل الحافظ الذهبي هذا النص من تاريخ بغداد بشيء من التصرف، فأدخل نصاً في نص ، وإليك كلا النصين، قال الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ١٨٨): عن سليمان بن محمد بن سلم الضراب، قال: حدثني بعض إخواني أن سرياً السقطي مرت به جارية معها إناء فيه شيء، فسقط من يدها فانكسر، فــأخذ سري شيئاً من دكانه فدفعه إليها بدل ذلك الإناء، فنظر إليه معروف الكرخي فأعجبه ما صنع فقال له معروف: بغّض الله إليك الدنيا.

ثم روى الخطيــب عن أحمد بن خلف قال: سمعت سرياً يقول: هذا الذي أنا فــيه من بركات معروف، انصرفت من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبياً شــعثاً، فقلت: من هذا؟ فقال: رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر. فسألته: لم لا تلعب؟ فقال: أنا يتيم. قال سري: فقلت له: ما ترى أنك تعمل به فقال: لعلي أخلو فأجمع له نوى يشترى به جوزاً يفرح به. فقلت له أعطنيه

أغـــير مـــن حاله. فقال لي: أو تفعل؟! فقلت: نعم. قال لي: خذه أغنى الله قلبك. فسويت الدنيا عندي أقل من كذا .انتهى.

وقـــال الذهبي رحمه الله (٩/٣٣٩-): معروف الكرخي، عَلَمُ الزهاد، **بركة العصر**، أبو محفوظ البغدادي،... ذُكر معروف عند **الإمام أحمد** فقيل: قصير العلم، فقال (أحمد): أَمْسِكْ!! وهل يُراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف.
وقال إسماعيل بن شداد: قال لنا سفيان بن عيينة: ما فعل ذلك الحبر ببغداد؟ قلـــنا: من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف. قلنا: بخير. قال: **لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم.**
قـــال معروف: إذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل؛ وفتح عليه باب الجدل.
قـــال ابن مسروق: حدثنا يعقوب ابن أخي معروف أن معروفاً استسقى لهم في يوم حار، فما استتموا رفع ثيابهم حتى مطروا.
وقد استجيب دعاء معروف في غير قضية، وأفرد الإمام أبو الفرج بن الجوزي مناقب معروف في أربع كراريس.
قلـــت: قد طبع كتاب ابن الجوزي، وترجمة معروف حافلة بالفوائد والمواعظ، تتنـــزل بها الرحمات. انظر ترجمته: في الكتاب(قال) المذكور لابن الجوزي، وحلية الأولياء (٨/ ٣٦٠) وتاريخ بغداد (١٣/١٩٩) وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/٣٨١).

وقـــال الذهبي رحمه الله (١٢/١٩٥-٢٠٢): محمد بن أسلم ، الإمام الحافظ الـــرباني ،شيخ الإسلام، أبو الحسن الطوسي. (قال) الحاكم: سمعت محمد بن

صالح: سمعت أبا سعيد محمد شاذان: سمعت محمد بن رافع يقول: دخلت على محمد بن أسلم **وقبلت بين عينيه** وما شبهته إلا بالصحابة فقال لي: يا أبا عبد الله جزاك الله عن الإسلام خيراً. وسمعت أبا إسحاق المزكي: سمعت ابن خزيمة يقول: حدثنا رباني هذه الأمة محمد بن أسلم الطوسي.

وقال الذهبي رحمه الله (١٢/٣٩٠): **الإمام الحافظ الضابط** أحمد بن منصور الرمادي الثقة المتوفى سنة ٢٦٥. قال ابن مخلد :**كان الرمادي إذا مرض يستشفي بأن يسمعوا عليه الحديث.**

وقال الذهبي رحمه الله (١٣/٢٠٣ و٢١٢ و ٢١٣): أبو داود سليمان بن الأشعث... السجستاني الإمام شيخ السنة ومقدم الحفاظ..محدث البصرة.
قال أبو حاتم ابن حبان: أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً، ونسكاً وورعاً وإتقاناً، جمع وصنف وذب عن السنن.
قال القاضي الخليل بن أحمد السجزي: سمعت أحمد بن محمد بن الليث قاضي بلدنا يقول: جاء سهل بن عبد الله التستري إلى أبي داود السجستاني، فقيل: يا أبا داود هذا سهل بن عبد الله جاءك زائراً، فرحب به وأجلسه فقال سهل: يا أبا داود لي إليك حاجة؟ قال: وما هي؟ قال: حتى تقول: قد قضيتها مع الإمكان. قال: نعم. قال: أخْرِجْ إلي لسانك الذي تحدث به أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أقبِّله. فأخرج إليه لسانه فقَبَّلَه.

قلـــت: وذكره الذهبي في السير (٣٣١/١٣) مختصراً في ترجمة شيخ العارفين سهل التستري رحمه الله. وانظر وفيات الأعيان (٢/٤٠٤-٤٠٥).

فانظـــر رحمك الله إلى احترام الحفاظ والمحدثين للسادة الصوفية، ومن أئمتهم: الإمامُ الكبير العارف بالله الولي العابد الصالح السري السقطي، وانظر أيضاً إلى احترام السادة الصوفية للمحدثين. فيا ليت القوم يفقهون. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٣/٥٨١-٥٨٣): البوشنجي الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي الفقيه المـــالكي، شـــيخ أهل الحديث في عصره بنيسابور...مولده في سنة (٢٠٤)، وارتحل شرقاً وغرباً، ولقي الكبار وجمع وصنف وسار ذكره وبَعُدَ صيته. قال دعـــلج: حدثني فقيه من أصحاب داود بن علي أن أبا عبد الله دخل عليهم يوماً وجلس في أخريات الناس ثم إنه تكلم مع داود فأعجب به وقال: لعلك أبـــو عـــبد الله البوشنجي؟ قال: نعم. فقام إليه وأجلسه إلى جنبه وقال: قد حضركم من يفيد ولا يستفيد.

قلت: أوردها الحافظ في تهذيب التهذيب (٩/٨-٩). انتهى.

وقال أبو زكريا العنبري: **شهدت جنازة الحسين القباني فصلى بنا عليه أبو عـــبد الله البوشـــنجي، فـــلما أرادوا الانصراف قدمت دابة أبي عبد الله (البوشـــنجي) وأخـــذ أبو عمرو الخفاف بلجامه، وأخذ إمام الأئمة (ابن خـــزيمة) بركابه، وأبو بكر الجارودي وإبراهيم بن أبي طالب يسويان عليه ثيابه فلم يمنع واحداً منهم، ومضى.**

قـــال أبو زكريا العنبري: قال لي البوشنجي مرة: أحسنت. ثم التفت إلى أبي وقال: قلت لابنك: أحسنت، ولو قلت: هذا لأبي عبيد لفرح به.

قـــال أبو عمرو بن نجيد: سمعت أبا عثمان سعيد بن إسماعيل يقول: **تقدمت لأصـــافح أبـــا عبد الله البوشنجي تبركاً به؛ فقبض عني يده ثم قال: يا أبا عثمان لستُ هناك.**

قلت: يعني لستُ أهلاً لأن يتبرك به. قال ذلك تواضعاً.

وهكـــذا كـــان أكـــثر أهل العلم يتأدبون مع الحفاظ والمحدثين والأولياء والصـــالحين، فمـــن البلية التي ابتليت بها هذه الأمة ادعاء العلم مع سوء الأدب. قال الحافظ البوشنجي: من أراد العلم والفقه بغير أدب فقد اقتحم أن يكذب على الله ورسوله. (نقله الذهبي في السير ١٣/٥٨٦). **انتهى.**

وقال الذهبي رحمه الله (١٤/٧-١٠): أبو خليفة الإمام العلامة المحدث الأديب الأخباري شيخ الوقت الفضل بن الحباب البصري الأعمى، ولد سنة (٢٠٦) وتوفي سنة (٣٠٥) هـــ :

قال أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني ابن أخت أبي عوانة: سمعت أبي يقـــول لأبي علي النيسابوري الحافظ: دخلت أنا وأبو عوانة البصرة فقيل: إن أبا خليفة قد هجر، ويدّعى عليه أنه قال: القرآن مخلوق. فقال لي أبو عوانة: يـــا بـــني لا بد أن ندخل عليه. قال: فقال له أبو عوانة: ما تقول في القرآن؟ فاحمـــر وجهه وسكت ثم قال: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال: مخلوق فهـــو كافر، وأنا تائب إلى الله من كل ذنب إلا الكذب، فإني لم أكذب قط

أستغفر الله. قال: فقام أبو علي إلى أبي **فقبّل رأسه** ثم قال أبي: قام أبو عوانة إلى أبي خليفة **فَقَبَّل كتفه.**

وقال الذهبي رحمه الله (١٤/٦٢-٦٥): أبو عثمان الحيري **الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام** الأستاذ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل...النيسابوري الحيري **الصوفي.**

عن أبي عثمان أنه قال لأبي جعفر بن حمدان: ألستم تَرْوُون أن عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة؟ قال: بلى. قال فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الصالحين.

(قال) الحاكم: سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول: لما قتل يحيى بن الذهلي منع الناس من حضور مجالس الحديث من جهة أحمد الخجستاني فلم يجسر أحد يحمل محبرة، إلى أن ورد السري بن خزيمة، فقام الزاهد أبو عثمان الحيري وجمع المحدثين في مسجده، وعلق بيده محبرة وتقدمهم، إلى أن جاء إلى خان محمش، فأخرج السري وأجلس المستملي فحزرنا مجلسه زيادة على ألف محبرة، **فلما فرغ قاموا وقبلوا رأس أبي عثمان** ونثر الناس عليهم الدراهم والسكر سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

قلت: قول أبي عثمان رحمه الله: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. رواه أبو نعيم في الحلية (٧/٢٨٥) عن سفيان بن عيينة من قوله.

وقـــال المرُّوذي في كتاب الورع (ص ٨٦): ذكرت لأبي عبد الله (أحمد بن حنـــبل) الفضيل وعريه، وفتح الموصلي وعريه وصبره: فتغرغرت عينه وقال: رحمهم الله، كان يقال: عند ذِكر الصالحين تتـــزل الرحمة. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٤/٦٦ و ٦٧ و ٧٠ و ٧٧): الجنيد بن محمد شيخ الصـــوفية.. أتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأله وتعبد ونطق بالحكمة..قال ابـــن المـــنادي: سمع الكثير، وشاهد الصالحين، وأهل المعرفة، ورزق الذكاء وصواب الجواب. لم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا. قيل لي: إنه قال مرة: كنت أفتي في حلقة أبي ثور الكلبي ولي عشرون سنة.

وقال أحمد بن عطاء: كان الجنيد يفتي في حلقة أبي ثور.

عـــن الجنيد قال: ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً، إلا وقد جعل لي فيه حظاً.

وقيل: إنه كان في سوقه ووِرْدُه كل يوم ثلاث مائة ركعة، وكذا كذا ألف تسبيحة.

(قـــال) أبـــو نعيم: حدثنا علي بن هارون وآخر قالا: سمعنا الجنيد غير مرة يقـــول: **عِلْمُـــنا مضبوط بالكتاب والسنة؛ من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يُقتدى به.**

قـــال عبد الواحد بن علوان: سمعت الجنيد يقول: **علمنا – يعني التصوف – مشبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.**

وعن أبي العباس بن سريج: أنه تكلم يوماً فعجبوا! فقال: **ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.**

وقال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد لما احتضر فختم القرآن ثم ابتدأ سورة البقرة فتلا سبعين آية ومات.

قال أبو الحسين بن المنادي: **ذكر لي أنهم حزروا الجمع يوم جنازة الجنيد الذين صلوا عليه نحو ستين ألفاً، وما زالوا ينتابون قبره في كل يوم نحو الشهر ودفن عند السري السقطي.**

قلت: ابن سريج الذي قال: (**ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد**) قال الذهبي فيه (١٤/٢٠١): **الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقيين** أبو العباس أحمد بن عمر ابن سريج البغدادي القاضي الشافعي صاحب المصنفات...(قال) الإمام أبو إسحاق في طبقات الفقهاء: كان يقال لابن سريج: الباز الأشهب. ولي القضاء بشيراز، وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني، وإن فهرست كتبه كان يشتمل على أربع مائة مصنف، وكان الشيخ أبو حامد الإسفراييني يقول: نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه. وقال الحاكم: سمعت حسان بن محمد يقول: كنا في مجلس ابن سريج سنة ثلاث وثلاث مائة، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد يعني للأمة أمر دينها، وإن الله تعالى بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وبعث على رأس المائتين محمد بن إدريس الشافعي، وبعثك على رأس الثلاث مائة. ثم أنشأ يقول:

اثنان قد ذهبا فبورك فيهما عمر الخليفة ثم حِلف السؤدد

الشافــعيُّ الألمعيُّ محمــدٌ إرث النــبوة وابن عم محمد

أبشر أبا العباس إنك ثالث من بعدهم سقيا لتربــة أحمد

قال: فصاح أبو العباس وبكى وقال: لقد نعى إلي نفسي. قال حسان الفقيه: فمات القاضي أبو العباس تلك السنة.

فمــع كل هذا يقول ابن سريج: ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد. يعني حصل كل هذا العلم ببركة الجنيد. نفعنا الله تعالى ببركة الصالحين. انتهى.

وقــال الذهــبي رحمــه اللّه (١٤/ ٧٠ و٧٦ و٧٧): النوري أحمد بن محمد الخراساني البغوي الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق..

قيل: إن الجنيد مرض مرة فعاده النوري فوضع يده عليه فعوفي لوقته.

قال أبو الحسين بن المنادي: ذكر لي أنهم حزروا الجمع يوم جنازة الجنيد الذين صــلوا علــيه نحو ستين ألفاً، **ومازالوا ينتابون قبره في كل يوم نحو الشهر، ودفن عند السري السقطي.** توفي النوري قبل الجنيد سنة (٢٩٥).

وقال الذهبي رحمه الله (١٥/١٢٧):

القــادر بــالله الخلــيفة أبو العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر جعفر العباســي البغدادي، مولده سنة (٣٣٦).. وكان أبيض كث اللحية يخضب، ديّــناً عالمــاً متعــبداً وقوراً من جِلّة الخلفاء وأمثَلِهم، عدَّه ابن الصلاح في الشافعية، تفقه على أبي بشر أحمد بن محمد الهروي.

قال الخطيب [في تاريخ بغداد ٣٧/٤-٣٨]: كان من الدِّين وإدامة التهجد وكثرة الصدقات على صفة اشتهرت عنه، وصنف كتاباً في الأصول ذَكَر فيه فضل الصحابة وإكفار من قال بخلق القرآن، وكان ذلك الكتاب يُقرأ في كل جمعـة في حلقة أصحاب الحديث، ويحضره الناس مدة خلافته وهي إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر .

وذكـر محمد بن عبد الملك الهمذاني أن القادر كان يلبس زي العامة **ويَقصد الأماكن المباركة.**

توفي القادر سنة ٤٢٢ هـ.

قلت: هذا الخبر أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (١٦١/٧ط الهند). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١١٥/١٦):

ابـن الداعـي **الكـبير الرئـيس الشـريف** أبو عبد الله محمد بن الحسين ...العلـوي.. ولد سنة (٣٠٤)، وحج في سنة بضع وثلاثين، **برع في الرأي عـلى الإمام أبي الحسن الكرخي، وأخذ علم الكلام عن حسين بن علي البصـري، وأفـتى ودرّس وولي نقابـة الطالبيين في دولة بني بُويه، فَعَدَل وحُمـد، وكـان معز الدولة يبالغ في تعظيمه وتقبيل يده لعبادته وهيبته، وكان فيه تشيع بلا غلو.**

وقال الذهبي رحمه الله (١٩٣/١٦-١٩٥): ابن حمدان محمد بن أحمد بن حمدان..الإمام الحافظ..محدث خوارزم ولد سنة (٢٧٣)، وتوفي سنة (٣٦٦).

روى عنه: أبو بكر البرقاني، وأحمد بن محمد بن عيسى، وأحمد بن محمد بن إبراهيم بن قطن، وأبو سعيد أحمد بن محمد بن يوسف الكرابيسي الحافظ، وأحمد بن أبي إسحاق، وغيرهم.

طول ترجمته ابن أرسلان محدث خوارزم في «تاريخه» فقال: سكن خوارزم، فسمي بها أبا العباس الزاهد من ورعه واجتهاده.

رحل به أبوه إلى الري للسماع من ابن الضريس، وإلى طوس إلى تميم.

حدث وهو حَدَثٌ في مجلس ابن الضريس، فقرات بخط أبي سعيد الكرابيسي، فقال: حدثنا أبو العباس، حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا سلمة بن شبيب، قال: كنت مع أحمد بن حنبل في مسجده، وهو يقرأ عليه كتاب «الأشربة» إذ دخل رجلٌ، فسلم ثم قال: من فيكم أحمد بن حنبل؟ فقال: أنا أحمد، فقال: أتيتك من أربع مائة فرسخ براً وبحراً. كنت بينا أنا نائم إذ أتاني آت فقال: إني أنا الخضر، فَرُحْ إلى بغداد وسَلْ عن أحمد بن حنبل، وقل له: إن ساكن العرش والملائكة الذين حول العرش راضون عنك بما صبرت به نفسك، فقام أحمد وذهب إلى منـــزله، فقال للرجل: ألك حاجة؟ قال: لا . إنما جئتك لهذا، فودعه وانصرف.

دخل أبو العباس خوارزم للتجارة سنة إحدى وتسعين ومائتين، فحكى أن محمد بن إسماعيل رئيس أصحاب الحديث بخوارزم، جاء إليه إلى الخان زائراً، ثم جئت مجلسه، فسألني عن أحاديث، فذكرتها على وجهها، فعظمني.

وحج من خوارزم مرتين، وبورك له في التجارة، وأدرك سنة من حياة عبد اللّه بن أبي، فلازمه.

وكان حافظاً للقرآن، عارفاً بالحديث، والتاريخ، والرجال، والفقه، كافاً عن الفتوى. حضره رجل فقال: حلفت إن تزوجت فلانة فهي طالقٌ ثلاثاً، فقال: قول مالك وأبي حنيفة تطلق، وقال الشافعي: لا تطلق فقال السائل: فما تقول أنت؟ فقال: هذا إلى أبي بكر الفراتي، ولم يفته.

وكان محببا إلى الناس، **متبرّكاً به، نافذ الكلمة، قدّموه للاستسقاء بهم.**

وكان له مجلسٌ للإملاء في كل اثنين وخميس، فكان يحضره الأئمة والكبراء، وكان يرى الجهر بالبسملة.

قال الذهبي رحمه الله (١٦/٢٤٤-٢٤٥): يحيى بن مجاهد... الأندلسي الإلبيري الزاهد . ذكره ابن بشكوال في غير «الصلة» فقال: زاهد عصره وناسك مصره، **الذي به يتبركون، وإلى دعائه يفزعون.**

كان منقطع القرين، **مجاب الدعوة، جربت دعوته في أشياء ظهرت**، حج وعني بالقراءات والتفسير، وله حظ من الفقه، لكن غلبت عليه العبادة.

وقد جمع يونس بن عبد الله كتاباً في فضائله.

وذكره عمر بن عفيف، فقال: كان من أهل العلم والزهد والتقشف والعبادة، وجميل المذهب، لم تر عيني مثله في الزهد والعبادة، يلبس الصوف، ويمشي حافياً مرة، وينتعل مرة، فحدثني محمد بن أبي عثمان، عن أبيه أن الحكم المستنصر بالله أحب أن يجتمع بيحيى بن مجاهد الزاهد، فلم يقدر عليه، ووجه إليه من يتلطف به ويستعطفه، فقال: ما لي إليه حاجة ، وإنما يدخل على السلطان الوزراء، وأهل الهيئة، وأيش يعمل بأصحاب الأطمار الرثة، فوجه

إليه الحكم جبة صوف وغفارة وقميصاً من وسط الثياب ودنانير، فلما نظر إليها قال: ما لي ولهذه؟! ردوها على صاحبها، ولئن لم يتركوني سافرت، فيئس من لقائه وتركه، وكان يجلس إلى مؤدب بالجامع يأنس به.

وقال الذهبي رحمه الله (١٦/٤٧٤-٤٧٦): الإمام القدوة الرباني المحدث الثقة، أبو الفتح، يوسف بن عمر بن مسرور البغدادي القواس.

ولد سنة (٣٠٠).

قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة زاهداً صادقاً، أول سماعه في سنة ٣١٦ سمعت علي بن محمد السمسار، يقول: ما أتيت أبا الفتح القواس إلا وجدته يصلي، سمعت البرقاني والأزهري ذكرا القواس، فقالا: **كان من الأبدال**.

قال الأزهري: **وكان مجاب الدعوة**.

وقال أبو ذر: سمعت الدار قطني يقول: **كنا نتبرك بأبي الفتح القواس وهو صبي**.

وقال العتيقي: **وكان ثقة [مأموناً] مستجاب الدعوة**، ما رأيت في معناه مثله [وكان يشار إليه في الخير والصلاح في وقته].

وقال تمام بن محمد الزينبي وغيره: سمعنا القواس يذكر أنه وجد في كتبه جزءاً في فضائل معاوية قد قرضته الفأرة، فدعا عليها، فسقطت فأرةٌ من السقف، واضطربت حتى ماتت، وروي عن أبي ذر أنه حضر لما ماتت.

قال العتيقي: مات في ربيع الآخر سنة (٣٨٥).

قلت: ما بين المعقوفتين من تاريخ الخطيب. والأخبار المروية منه، فقد قال في

تاريخ بغداد (١٤/٣٢٦-٣٢٧): حدثني أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف الواعظ قال: قال لي يوسف بن عمر القواس حضرت مجلس القاضي المحاملي وكان له أربعة مستملين يستملون عليه، وكنت لا أكتب في مجلس الإملاء إلا ما أسمعه من لفظ المحدث، فقمت قائماً لأني كنت بعيداً من المحاملي بحيث لا أسمع لفظه، فلما رآني الناس أفرجوا لي وأجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير، فلما كان من الغد جاءني رجل فسلم علي وقال لي: أسألك أن تجعلني في حل. فقلت له: مماذا ؟ قال: رأيتك أمس قمت في المجلس وتخطيت رقاب الناس فقلت في نفسي: إنك قصدت القيام لتتخطى رقاب الناس لا لسماع الحديث، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وهو يقول لي: **من أراد سماع الحديث كأنه يسمعه مني فليسمعه كسماع أبي الفتح القواس**. أو كما قال.

سمعت البرقاني والأزهري ذكرا أبا الفتح القواس فقالا: **كان من الأبدال**.

وقال لنا الأزهري: كان أبو الفتح مجاب الدعوة. كتب إلي أبو ذر عبد بن أحمد الهروي من مكة يذكر أنه سمع أبا الحسن الدارقطني يقول: **كنا نتبرك بأبي الفتح القواس وهو صبي**.

حدثني تمام بن محمد الهاشمي ومحمد بن علي بن الفتح وغيرهما أنهم سمعوا أبا الفتح يوسف القواس يذكر أنه وجد في كتبه جزءاً له فيه فضائل معاوية وقد قرضته الفأرة، فدعا الله تعالى على الفأرة التي قرضته فسقطت من السقف و لم تزل تضطرب حتى ماتت؛ فحدثني عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي قال: حدثني أبو الحسن بن حميد قال: سمعت أبا ذر عبد بن أحمد الهروي يقول:

كنت عند أبي الفتح القواس وقد أخرج جزءاً من كتبه فوجد فيه قرض الفأر فدعا الله على الفأرة التي قرضته، فسقطت من سقف البيت فأرة ولم تزل تضطرب حتى ماتت. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٧/ ١٠ و١٢): ابن أبي زيد الإمام العلامة القدوة الفقيه عالم أهل المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي...
وقيل: إن محرزاً التونسي أتيَ بابنة ابن أبي زيد وهي زَمِنَةٌ، فدعا لها، فقامت، فعجبوا، وسبحوا الله، فقال: والله، ما قلت إلا: بحرمة والدها عندك اكشف ما بها. فشفاها الله.

قلت: والقصة أوردها الذهبي في التاريخ (مخطوط ٢/٢٥/٤/٢ كما في هامش السير) وقد سقط من مطبوع التاريخ (١٨٤/٢٧).
ومحرز التونسي هو أبو محفوظ محرز بن خلف بن رزين، من نسل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وصفه الشيخ محمد مخلوف في. شجرة النور (٢/ ٢٠٢) فقال: فخر الإسلام، ومعتقد الخاص والعام،...الشيخ المعتقد المشهور، لدى الخاصة والجمهور، بالعلم والعمل والفضل، المؤدب المربي، العارف بالله الواصل الولي الكامل الكثير الكرامات، والمناقب والحسنات، كانت له اليد البيضاء في إعزاز السنة، وإخماد البدع، مع الدين المتين والزهد والورع...كثر أتباعه فصار منهم من يصافحه ومن لم يصل إليه فيلتمس أثوابه بيده ويمسح بها على وجهه. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٧/ ٢١٤-٢١٥): ابن فورك **الإمام العلامة الصالح**،

شيخ المتكلمين، أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني...

قال عبد الغافر في «سياق التاريخ»: **الأستاذ أبو بكر قبرُه بالحيرة يستسقى به.**

وقال القاضي ابن خلكان [في الوفيات ٤/٢٧٢] فيه: أبو بكر الأصولي، الأديب النحوي الواعظ، درس بالعراق مدةً، ثم توجه إلى الري، فسعت به المبتدعةُ — يعني الكرامية — فراسله أهل نيسابور، فورد عليهم، وبنوا له مدرسة وداراً. **وظهرت بركته على المتفقهة**، وبلغت مصنفاته قريباً من مائة مصنف، ودعي إلى مدينة غزنة، وجرت له بها مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كرام، ثم عاد إلى نيسابور، فَسُمّ في الطريق، فمات بقرب بُست، ونقل إلى نيسابور، **ومشهده بالحيرة يزار، ويستجاب الدعاء عنده.**

قلت (القائل الذهبي): كان **أشعرياً**، رأساً في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري.

وقال عبد الغافر: دعا أبو علي الدقاق في مجلسه لطائفة، فقيل: ألا دعوت لابن فورك؟ قال: كيف أدعو له، **وكنت البارحة أقسم على الله بإيمانه أن يشفيني؟**.

قلت: قارن قول الذهبي في وصفه **(الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلمين)**.بقوله: **(كان أشعرياً). تجد قمة الإنصاف، ورداً على المتحاملين الزاعمين أن الذهبي عدو الأشاعرة.**

وقصة الاستشفاء انظرها في تبيين كذب المفتري (ص ٢٣٢-٢٣٣). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٧/٢٣٦-٢٣٧): السقطي الإمام المحدث الثقة أبو القاسم عبيد الله بن محمد..السقطي المجاور.

قال سعدٌ الزنجاني: كان السقطي يدعو الله أن **يرزقه المجاورة** أربع سنين، **فجاور** أربعين سنة، فرأى كأن من يقول له : يا أبا القاسم! طلبت أربع سنين وقد أعطيناك أربعين، إن الحسنة بعشرة أمثالها. قال: ومات لسنته.

قال ابن النجار: انتقى له ابن أبي الفوارس فوائد في مائة جزء، **وكان من الصالحين**، رحمه الله تعالى.

توفي سنة ٤٠٦ هـــ .

وقال الذهبي رحمه الله (١٧/٤٥٠-٤٥٢): ابن بشران الشيخ الإمام المحدث الصادق الواعظ المذكر مسند العراق أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله..صاحب الأمالي الكثيرة.

قال الخطيب [في تاريخ بغداد ١٠/٤٣٢-٤٣٣]: كتبنا عنه، وكان ثقة ثبتاً صالحاً. مات في ربيع الآخر، سنة ثلاثين وأربع مائة، **وأوصى أن يدفن بجنب الشيخ أبي طالب المكي**، وكان الجمع في جنازته يتجاوز الحد، ويفوت الإحصاء رحمه الله.

قلت: كثرت وصايا العلماء بالدفن جانب الصالحين تبركاً بهم.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد (١/١٢١):

حدثني أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي قال: حدثني أبو

طاهر بن أبي بكر قال: حكى لي والدي عن رجل كان يختلف (يتردد) إلى أبي بكر بن مالك أنه قيل له: أين تحب أن تدفن إذا مت ؟ فقال: بالقطيعة وإن عبد الله بن أحمد بن حنبل مدفون بالقطيعة وقيل له، يعني لعبد الله في ذلك قال: وأظنه كان أوصى بأن يدفن هناك وقال: **قد صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي من أكون في جوار أبي. انتهى.**

قال الذهبي رحمه الله (١٨/١٠ – ١١): ابن مسرور الشيخ الإمام الصالح القدوة الزاهد مسند خراسان: أبو حفص عمر بن أحمد ابن مسرور النيسابوري...

قال عبد الغافر بن إسماعيل: هو أبو حفص الماوردي الفامي، الزاهد الفقيه، كان كثيرالعبادة والمجاهدة، **وكان المشايخ يتبركون بدعائه.**

عاش تسعين سنة، وتوفي في ذي القعدة، سنة (٤٤٨)، رحمه الله. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٨/٢٢٢-٢٢٣): الداوودي الإمام العلامة الورع القدوة جمال الإسلام مسند الوقت أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر..البوشجي مولده سنة ٣٧٤هـ [وتوفي سنة ٤٦٧].

قال أبو سعد السمعاني [في الأنساب ٥/٢٦٣-٢٦٤]: كان وجه مشايخ خراسان فضلاً عن ناحيته، والمعروف في أصله وفضله وطريقته، له قدمٌ في التقوى راسخ، **يستحق أن يطوى للتبرك به فراسخ**، فضله في الفنون

مشهور، وذِكره في الكتب مسطور، وأيامه غرر، وكلامه درر.

قلت: الداوودي من عباد الله الذين يستسقى بهم، قال ابن النجار: كان من الأئمة الكبار في المذهب ثقة عابداً محققاً، درَّس وأفتى وصنف ووعظ. قال أبو القاسم عبد الله بن علي أخو نظام الملك: كان أبو الحسن الداوودي **لا تسكن شفته من ذكر الله، فحكي أن مُزَيِّناً أراد قص شاربه فقال**: **سَكِّنْ شفتيك. قال**: **قل للزمان حتى يسكن.**

انظر سير الذهبي (١٨/٢٢٥). وهو من رواة كتاب صحيح البخاري. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٨/٢٤٤): الحفصي الشيخ المسند، أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله المروزي، راوي صحيح البخاري عن أبي الهيثم الكُشْمِيهني، صاحب الفربري. حدث به بمرو ونيسابور.

وكان رجلاً **مباركاً** من العوام، أكرمه نظام الملك، وسمع منه، ووصله بجملة.

وقال الذهبي رحمه الله (١٨/٢٧٠ و٢٧٩): الخطيب الإمام الأوحد العلامة المفتي الحافظ الناقد محدث الوقت، أبو بكر أحمد بن علي..البغدادي خاتمة الحفاظ.

قال الحافظ ابن عساكر: سمعت الحسين بن محمد يحكي، عن ابن خيرون أو غيره، أن الخطيب ذكر أنه لما حج **شرب من ماء زمزم ثلاث شربات**، وسأل الله ثلاث حاجات، أن يحدث بـــ «تاريخ بغداد» بها، وأن يملي الحديث بجامع المنصور، **وأن يدفن عند بشر الحافي**. فقضيت له الثلاث.

قال غيث بن علي: حدثنا أبو الفرج الإسفراييني قال: كان الخطيب معنا في الحج، **فكان يختم كل يوم ختمة قراءة ترتيل،** ثم يجتمع الناس عليه وهو راكب يقولون: حدثنا فيحدثهم. أو كما قال.

قال المؤتمن: سمعت عبد المحسن الشيخي يقول: كنت عديل أبي بكر الخطيب من دمشق إلى بغداد، **فكان له في كل يوم وليلة ختمة.**

قال الخطيب في ترجمة إسماعيل بن أحمد النيسابوري الضرير: حج وحدث، ونعم الشيخ كان، ولما حج كان معه حِمْلُ كتب ليجاور، منه: صحيح البخاري؛ سمعه من الكشميهني، **فقرأت عليه جميعه في ثلاثة مجالس، فكان المجلس الثالث من أول النهار وإلى الليل ففرغ طلوع الفجر.**

قلت (القائل الذهبي): هذه والله القراءة التي لم يُسمع قط بأسرع منها.

وقال الذهبي رحمه الله (١٨/٣٤٩ و٣٥٢): ابن منده الشيخ الإمام المحدث المفيد الكبير المصنف أبو القاسم عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير أبي عبد الله محمد بن إسحاق .. الأصبهاني.

قال الدقاق في «رسالته»: أول من سمعت منه الشيخ الإمام السيد السديد الأوحد أبو القاسم عبد الرحمن، فرزقني الله **ببركته** وحسن نيته، وجميل سيرته فهم الحديث. وكان جذعاً في أعين المخالفين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ووصفه أكثر من أن يحصى.

قلت: انظر تذكرة الحفاظ لذهبي (٣/١١٦٧) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/٢٨).

وقال الذهبي رحمه الله (١٨/٣٨٥ و٣٨٦ و٣٨٧): الزنجاني **الإمام العلامة الحافظ القدوة العابد شيخ الحرم** أبو القاسم سعد بن علي...الزنجاني **الصوفي**.

قال أبو سعد السمعاني [في الأنساب ٦/٣٠٧]: قال لي شيخ: كان جدك أبو المظفر عزم على المجاورة في صحبة سعد الإمام، فرأى والدته كأنما كشفت رأسها تقول: يابني، **بحقي عليك** إلا ما رجعت إلي، فإني لا أطيق فراقك. قال: فانتبهت مغموماً، وقلت: أشاور الشيخ، فأتيت سعداً، ولم أقدر من الزحام أن أكلمه، فلما قام تبعته، فالتفتَ إلي، وقال: يا أبا المظفر، العجوز تنتظرك ودخل بيته، فعلمت أنه **كاشفني**، فرجعت تلك السنة.

وعن ثابت بن أحمد قال: رأيت أبا القاسم الزنجاني في النوم يقول لي مرة بعد أخرى: **إن الله يبني لأهل الحديث بكل مجلس يجلسونه بيتاً في الجنة**.

قال أبو سعد [السمعاني في الأنساب ٦/٣٠٧]: كان سعدٌ حافظاً متقناً، ثقةً، ورعاً، كثير العبادة، **صاحب كرامات وآيات، وإذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف، ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود** .

قال ابن طاهر: وسمعت الفقيه هياج بن عبيد إمام الحرم ومفتيه يقول: **يوم لا أرى فيه سعداً لا أعتدُ أني عملت خيراً. وكان هياج يعتمر في اليوم ثلاث عمر**.

قال ابن طاهر: لما عزم سعد على **المجاورة**، عزم على نيف وعشرين عزيمة، أن يلزمها نفسه من المجاهدات والعبادات، فبقي به أربعين سنة لم يخل بعزيمة

منها. وكان يملي بمكة في بيته – يعني خوفاً من دولة العبيدية –.

قال ابن طاهر: دخلت عليه وأنا ضيق الصدر من شيرازي، **فقال لي من غير أن أعلمه:** لا تضيق صدرك، في بلادنا يقال: بخل أهوازي، وحماقة شيرازي، وكثرة كلام رازي. وأتيته وقد عزمت على الخروج إلى العراق، فقال:

أراحلون فنبكي أم مقيمونا

فقلت: مايأمر الشيخ؟ فقال: تدخل خراسان، وتفوتك مصر، فيبقى في قلبك منها. اخرج إلى مصر، ثم منها إلى العراق وخراسان، فإنه لا يفوتك شيء. **فكان في رأيه البركة.**

سئل إسماعيل بن محمد التيمي الحافظ عن سعد الزنجاني فقال: إمام كبير عارف بالسنة.

توفي سنة ٤٧١ هـ.

قلت: هو عارف بالسنة، ولو علم أن التبرك به مخالف للسنة لأنكره.

وانظر بعض ما تقدم من أخباره في تذكرة الحفاظ (١١٧٤/٣-١١٧٨) والمنتظم (٣٢٠/٨) لابن الجوزي الحنبلي. وقد ذكر ابن الجوزي قصة تقبيل اليد. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٣٩٣/١٨ و٣٩٤): هياج بن عبيد الإمام الفقيه الزاهد شيخ الإسلام أبو محمد الشامي الحطيني الشافعي شيخ الحرم.

وكان اعتناؤه جيداً بالحديث، وله بصر بالمذهب، وقدم في التقوى، وجلالة عجيبة.

حدث عنه: هبة اللّه الشيرازي في معجمه، فقال: حدثنا هياج الزاهد الفقيه، وما رأت عيناي مثله في الزهد والورع.

قال ابن طاهر: كان هياج قد بلغ من زهده أنه يصوم ثلاثة أيام، ويواصل، لكن يفطر على ماء زمزم، فمن أتاه بعد ثلاث بشيء أكله، وكان قد نيف على الثمانين، وكان يعتمر كل يوم ثلاث عمر، ويدرّس عدة دروس، **ويزور ابن عباس بالطائف كل سنة مرة**، لا يأكل في الطريق شيئاً، **ويزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل سنة مع أهل مكة، فيخرج**، فمن أخذ بيده، كان في مؤونته حتى يرجع، **وكان يمشي حافياً من مكة إلى المدينة**، وسمعت من يشكو إليه أن نعليه سرقتا، فقال: اتخذ نعلين لا يسرقهما أحد – يعني الحفاء – ورزق الشهادة في كائنة بين السُّنَّة [والرافضة]، وذلك أن بعض الرافضة شكى إلى أمير مكة أن أهل السنة ينالون منا، فأنفذ، وطلب هياجاً وأبا الفضل بن قوام وابن الأنماطي. وضربهم، فمات هذان في الحال، وحمل هياج، فمات بعد أيام رضي اللّه عنهم.

قلت: انظر الأنساب للسمعاني (٤/ ١٧٠-١٧١) والمنتظم لابن الجوزي (٨/ ٣٢٦). انتهى.

وقال الحافظ الذهبي رحمه اللّه (١٨/ ٤٥٢-٤٥٨-٤٦٩ و٤٦٠):

أبو إسحاق الشيرازي **الشيخ الإمام القدوة المجتهد شيخ الإسلام**... إبراهيم بن علي ..الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي..مولده في سنة (٣٩٣).

وكان الوزير ابن جَهير كثيراً ما يقول: الإمام أبو إسحاق وحيد عصره وفريد

دهره، **ومستجاب الدعوة.**

وقال أبو بكر ابن الخاضبة: سمعت بعض أصحاب أبي إسحاق يقول: رأيت الشيخ كان يصلي عند فراغ كل فصل من «المهذب».

وقال شجاع الذهلي: أبو إسحاق إمام أصحاب الشافعي والمقدم عليهم في وقته ببغداد، كان ثقة ورعاً صالحاً عالماً بالخلاف علماً لا يشاركه فيه أحد.

قال محمد بن عبد الملك الهمذاني: ندب المقتدي بالله أبا إسحاق للرسلية إلى المعسكر، فتوجه في آخر سنة خمس وسبعين، **فكان يخرج إليه أهل البلد بنسائهم وأولادهم يمسحون أردانه (أي كمه. وفي لفظ: أركانه)، ويأخذون تراب نعليه يستشفون به**، وخرج الخبازون، ونثروا الخبز، وهو ينهاهم (أي تواضعاً)، ولا ينتهون، وخرج أصحاب الفاكهة والحلواء، ونثروا على الأساكفة، وعملوا مداسات صغاراً، ونثروها، وهي تقع على رؤوس الناس، والشيخ يعجب، وقال لنا: رأيتم النثار، ما وصل إليكم منه؟! فقالوا: يا سيدي! وأنت أي شيء كان حظك منه؟ قال: أنا غطيت نفسي بالمحفة !!

قال شيرويه الديلمي في «تاريخ همذان»: أبو إسحاق إمام عصره قدم علينا رسولاً إلى السلطان ملكشاه، سمعت منه، **وكان ثقة فقيهاً زهداً في الدنيا على التحقيق، أوحد زمانه.**

قلت: ترجمته حافلة انظرها مع خبر التبرك في طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٢١٥-٢٥٦). وانظر وفيات الأعيان (٢٩/١) والأنساب (٣٦١/٩) والمنتظم (٧/٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١٧٢/٢).

ولعل جاهلاً يقول: (هذا من فعل العوام وبدعهم)!! فيقال لهذا الجاهل: حاشا لعلماء هذا الأمة الربانيين أمثال أبي إسحاق الشيرازي والذهبي أن يروا هذا بدعة وفِعْلَه منكراً ثم يسكتون عنه ولا ينكرونه، وهم العلماء الربانيون الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر. بل حاشا لعلماء الأمة أن يعلموا أن التبرك بالميت وهو في قبره: بدعة حرام ثم يفعلوه، لكنهم فعلوه وأفتوا بجوازه، فهذا يعني أنه جائز غير محرم. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٨/٥٤٦-٥٤٧): أبو جعفر الهاشمي **الإمام شيخ الحنبلية** أبو جعفر عبد الخالق بن أبي موسى... الهاشمي العباسي الحنبلي البغدادي مولده سنة (٤١١).

قال السمعاني: كان حسن الكلام في المناظرة، ورعاً زاهداً، متقناً، عالماً بأحكام القرآن والفرائض.

وقال أبو الحسين ابن الفراء: لزمته خمس سنين، **وكان إذا بلغه منكر عظم عليه جداً، وكان شديداً على المبتدعة**، لم تزل كلمته عالية عليهم، وأصحابه يقمعونهم، ولا يردهم أحد، وكان عفيفاً نزهاً، درّس بمسجده، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي يدرس، ثم درّس بجامع المهدي، ولما احتضر أبو يعلى، أوصاه أن يغسله، وكذا لما احتضر الخليفة القائم أوصى أن يغسله أبو جعفر، ففعل. وما أخذ شيئاً مما وصى له به، حتى قيل له: **خذ قميص أمير المؤمنين للبركة. فنشفه بفوطة وقال: حصلت البركة.** ثم استدعى المقتدي، فبايعه منفرداً...إلى أن قال: وأخذ أبو جعفر في فتنة ابن القشيري، وحبس أياماً.

فسرد الصوم، وما أكل لأحد شيئاً، ودخلت، فرأيته يقرأ في المصحف، ومرض، فلما ثقل وضج الناس من حبسه، أخرج إلى الحريم، فمات هناك، وكانت جنازته مشهودةً، **ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد، ولزم الناس قبره مدةً حتى قيل: ختم على قبره عشرة آلاف ختمة.**

قلت: انظر المنتظم لابن الجوزي (٣١٦/٨ – ٣١٧) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١٦/١ و ١٧ و٢٢ و٢٣) والبداية والنهاية (١٢٩/١٢). فيل ليت القوم يتأملون حال أبي جعفر (**كان إذا بلغه منكر عظم عليه جداً، وكان شديداً على المبتدعة**) ثم يقارنون هذا أخْذِ أبي جعفر القميص **للبركة** وقوله: (**حصلت البركة**). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١١/١٩): التفليسي **الإمام القدوة** المقرئ أبو بكر محمد بن إسماعيل..السري النيسابوري **الصوفي**، مولده سنة أربع مائة.
وسئل عنه إسماعيل بن محمد التيمي، فقال: **شيخ صالح يتبرك بدعائه**، سمع الكثير من المهلبي. توفي في سنة ٤٨٣.

وقال الذهبي رحمه الله (١٦/١٩–١٧): ابن سمكويه **الشيخ الإمام الحافظ المفيد المصنف الثقة** أبو الفتح محمد بن أحمد بن عبد الله بن سمكويه الأصبهاني نزيل هراة **كان من فرسان الحديث والمكثرين منه.**
مولده في سنة تسع وأربع مائة، وإنما طلب الحديث على كِبَرٍ، **وكان عابداً صالحاً خيراً، يتبرك بدعائه**..مات بنيسابور في ذي الحجة سنة (٤٨٢).

وقال الذهبي رحمه الله (٣٢/١٩ و٣٤): أبو عامر الأزدي الشيخ الإمام المسند القاضي محمود بن القاسم الهروي الشافعي من كبار أئمة المذهب...
وقال أبو جعفر بن أبي علي: كان شيخ الإسلام يزور أبا عمر ويعوده إذا مرض، **ويتبرك بدعائه**. توفي سنة ٤٨٧.
قلت: انظر طبقات السبكي (٣٢٨/٥). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٥١/١٩ و٥٣): أبو الفرج الحنبلي **الإمام القدوة شيخ الإسلام** عبد الواحد بن محمد الشيرازي الأصل الحراني المولد الدمشقي المقر **الفقيه الحنبلي الواعظ، من كبار أئمة الإسلام.**
وقال أبو الحسين ابن الفراء في طبقات الحنابلة:.. **وكانت له كرامات ظاهرة**، قال: ويقال: **إنه اجتمع بالخضر عليه السلام مرتين، وكان يتكلم في عدة أوقات على الخواطر**، كما كان يتكلم ببغداد أبو الحسن بن القزويني الزاهد، وكان الملك تتش يعظمه، **لأنه تم له مكاشفة معه.**
إلى أن قال: وكان ناصراً لاعتقادنا، متجرداً في نشره، وله تصانيف في الفقه والوعظ والأصول.
قلت (القائل الذهبي): توفي في ذي الحجة سنة ست وثمانين وأربع مائة، ودفن بمقبرة باب الصغير، **وقبره مشهور يزار، ويُدعى عنده.**

قلت: قال الحافظ ابن رجب في الذيل (٦٨/٣-٦٩): الفقيه الزاهد شيخ الشام في وقته، كان إماماً عارفاً بالفقه والأصول شديداً في السنة زاهداً

عارفاً، عابداً متألهاً، ذا أحوال وكرامات، وكان تتش صاحب دمشق يعظمه.

ثم روى ابن رجب (٣/٧٠) أنه تكلم في مجلس وعظ فصاح رجل متواجداً فمات في المجلس، وكان يوماً مشهوداً.

ونقل ابن رجب (٣/١٧) عن ناصح عبد الرحمن بن نجم ابن أبي الفرج الحنبلي قال: **وكان الشيخ موفق الدين المقدسي (يعني ابن قدامة الحنبلي) يقول: كلنا في بركات الشيخ أبي الفرج.**

قال (الناصح): وحدثني (يعني ابن قدامة) ونحن ببغداد قال: لما قدم الشيخ أبو الفرج إلى بلادهم من أرض بيت المقدس تسامع الناس به، فزاروه من أقطار تلك البلاد. قال: فتقدم إليه قدامة فقال له: يا سيدي ادع الله لي أن يرزقني الله حفظ القرآن. قال: فدعا له بذلك، وأخوه لم يسأله شيئاً فبقي على حاله، وحفظ قدامة القرآن، **وانتشر الخير منهم ببركات دعوة الشيخ أبي الفرج**. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٩/١٠٩ و١١٣): ابن الخاضبة الشيخ الإمام، المحدث الحافظ، الصادق القدوة، **بركة المحدثين**، أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور البغدادي الدقاق، عرف بابن الخاضبة.

مات ابن الخاضبة في (٤٨٩)، وكانت جنازته مشهودة، **وختم على قبره عدة ختمات**.

أخبرنا القاسم بن محمد الحافظ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم المقرئ، أخبرنا عبد اللطيف الطبري، أخبرنا محمد بن البطي، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الباقي،

خبرنا أحمد بن علي بن ثابت، حدثنا ابن أبي الفوارس، حدثنا الحسين بن حمد الهروي الصفار، قال: كنت عند الشبلي، فسأله بعض المتصوفة: الرجل سمع قولاً لا يفهمه، **فيتواجد عليه**، فأنشأ يقول:

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن

فبكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقني

ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني

وقال الذهبي رحمه الله (١٩/ ١٢٠ و١٢٦): الحميدي الإمام القدوة الأثري المتقن الحافظ شيخ المحدثين، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي الفقيه الظاهري.

توفي الحميدي في سابع عشر (٤٨٨) ودفن بمقبرة باب أبرز، **ثم إنهم نقلوه بعد سنتين إلى مقبرة باب حرب، فدفن عند بشر الحافي.**

قال الحافظ ابن عساكر: **كان الحميدي أوصى إلى الأجلّ مظفر ابن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند بشر، فخالف، فرآه بعد مدة في النوم يعاتبه، فنقله في صفر سنة إحدى وتسعين، وكان كفنه جديداً، وبدنه طرياً يفوح منه رائحة الطيب**، رحمه الله. ووَقَفَ كتبَه.

قلت: كان الحميدي إماماً عظيماً، قال يحيى بن إبراهيم السلماسي: قال أبي: لم تر عيناي مثل الحميدي في فضله ونبله وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم، وكان ورعاً تقياً إماماً في الحديث وعلله ورواته، متحققاً بعلم التحقيق

والأصول، على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب والسنة، فصيح العبارة متبحراً في علم الأدب والعربية والترسل.

وقال السلفي: سألت أبا عامر العبدري عن الحميدي فقال: لا يرى مثله قط، وعن مثله لا يسأل، جمع بين الفقه والحديث والأدب، ورأى علماء الأندلس وكان حافظاً.

انظر سير الذهبي (١٩/١٢٣). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (١٩/٢١٣ و٢١٥): ابن الطيوري الشيخ الإمام المحدث العالم المفيد بقية النقلة المكثرين، أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار البغدادي الصيرفي. ولد سنة (٤١١).

وقال أبو علي بن سكرة الصدفي: هو الشيخ الصالح الثقة أبو الحسين، كان ثبتاً فهماً، عفيفاً متقناً، صحب الحفاظ ودُرِّبَ معهم، سمعت أبا بكر بن الخاضبة يقول: **شيخنا أبو الحسين ممن يستشفى بحديثه.**

وقال ابن ناصر في إملائه: حدثنا الثقة الثبت الصدوق أبو الحسين.

وقال السلفي: هو محدث مفيد ورعٌ كبير، لم يشتغل قط بغير الحديث، وحصل ما لم يحصله أحدٌ من كتب التفاسير والقراءات واللغة، والمسانيد والتواريخ والعلل والأدبيات والشعر، كلها مسموعة، رافق الصوري، واستفاد منه، والنخشبي، وظاهراً النيسابوري. كتب عنه مسعودٌ السجزي، والحميدي، وجعفر بن الحكاك، وأكثروا عنه.

وقال الأمير أبو نصر: هو صديقنا أبو الحسين يعرف بابن الْحَمَامي – مخفف

– سمع خلقاً، وهو من أهل الخير والعفاف والصلاح.

قال ابن سكرة: ذكر لي شيخنا أبو الحسين أن عنده نحو ألف جزء بخط الدارقطني، أو أخبرت عنه بذلك، وأخبرني أن عنده أربعة وثمانين مصنفاً لابن أبي الدنيا.

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله (١٩/٣٥٣-٣٥٥): نور الهدى الإمام القاضي رئيس الحنفية صدر العراقيين... الحسين بن محمد الحنفي مولده سنة ٤٢٠، وكان مكرماً للغرباء، عارفاً بالمذهب وافر العظمة توفي سنة (٥١٢).

قال ابن النجار: أفتى ودرَّس..وولي نقابة العباسيين والطالبيين معاً، وكان شريف النفس قوي الدين وافر العلم، شيخ أصحاب الرأي في وقته وزاهدهم، وفقيه بني العباس وراهبهم، له الوجاهة الكبيرة عند الخلفاء.

قال الحافظ شجاع في نور الهدى أبي طالب الزيني: إمام عالم مدرس من أصحاب أبي حنيفة، سمع بمكة من كريمة «الصحيح» (أي صحيح البخاري).

وقال السلفي: أبو طالب الزيني أجل هاشمي رأيته في حضري وسفري، وأكثرهم علماً وأوفرهم علماً، ويعد في فحول النظار.

قال أحمد بن سلامة الكوفي الشافعي الفقيه: مرضت مرضة شديدة فعادني نور الهدى، فجعل يدعو لي، **فتبركت بزيارته وعوفيت.**

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله (١٩/٦١٥-٦١٧): الفراوي الشيخ الإمام الفقيه المفتي مسند خراسان فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي النيسابوري الشافعي. ولد تقديراً في سنة ٤٤١ هـ.

قلت: وسمع من الحفاظِ الكبار وروى عنه وسمع منه الحفاظ الكبار كأبي سعد السمعاني وابن عساكر وأبي سعد الصفار وغيرهم. انتهى.

ذكره عبد الغافر في «سياقه» فقال: فقيه الحرم، البارع في الفقه والأصول، الحافظ للقواعد، **نشأ بين الصوفية، ووصل إليه بركةُ أنفاسهم**، دَرَس الأصول والتفسير على زين الإسلام القشيري، ثم اختلف إلى مجلس أبي المعالي، ولا زم درسه ما عاش، وتفقه، وعلق عنه الأصول، وصار من جملة المذكورين من أصحابه، وحج، وعقد المجلس ببغداد وسائر البلاد، وأظهر العلم بالحرمين، وكان منه بِهِما أَثرٌ وذِكرٌ، **وما تعدى حد العلماء وسيرة الصالحين من التواضع والتبذل في الملبس والعيش**...ودرّس بالمدرسة الناصحية، وأمَّ بمسجد المطرز، وعقد به مجلس الإملاء في الأسبوع يوم الأحد، وله مجالس الوعظ المشحونة بالفوائد والمبالغة في النصح، حدث بـــ«الصحيحين» و«غريب الحديث» للخطابي، والله يزيد في مدته ويفسح في مهلته، إمتاعاً للمسلمين بفائدته.

وحكى والده الفضل بن أحمد عن الأمير أبي الحسن السمحوري أنه رأى في سنة ثلاث وخمسين النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول لابني محمد: قد جعلتك نائبي في عقد المجلس.

قال ابن عساكر [في تبيين كذب المفتري ص ٣٢٤ – ٣٢٥]: إلى الفراوي كانت رحلتي الثانية، وكان يُقصد من النواحي لِمَا اجتمع فيه من علو الإسناد، ووفور العلم، **وصحة الاعتقاد**، وحسن الخلق، والإقبال بكليته على الطالب.

قال السمعاني : سمعت عبد الرزاق بن أبي نصر الطبسي يقول: قرأت صحيح مسلم على الفراوي سبع عشرة نوبة، وقال: **أوصيك أن تحضر غسلي، وأن تصلي علي** في الدار، **وأن تُدخل لسانك في فيَّ، فإنك قرأت به كثيراً حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.**

قال السمعاني: فصلي عليه بكرة، وما وصلوا به إلى المقبرة إلى بعد الظهر من الزحام، وأذكر أنا كنا في رمضان سنة ثلاثين وخمس مائة، **فحملنا محفّته على رقابنا إلى قبر مسلم لإتمام الصحيح، فلما فرغ القارئ من الكتاب، بكى الشيخ** (الطبسي) **ودعا وأبكى الحاضرين**، وقال: لعل هذا الكتاب لا يُقرأ علي بعد هذا، فتوفي رحمه الله في الحادي والعشرين من شوال، ودفن عند إمام الأئمة ابن خزيمة. قال: وقد أملى أكثر من ألف مجلس.

قال الذهبي رحمه الله (٢٠/١١١-١١٣) ابن العريف أحمد بن موسى الإمام الزاهد العارف المقرئ **صاحب المقامات والإشارات.**

وقال ابن بشكوال [في الصلة ١/٨١]: كانت عنده مشاركة في أشياء من العلم، وعناية بالقراءات وجمع الروايات، واهتمام بطرقها وحملتها، وقد استجاز مني تأليفي هذا، وكتبه عني، واستجزته أنا أيضاً فيما عنده، ولم ألقه، وكاتبني مرات، وكان متناهياً في الفضل والدين، منقطعاً إلى الخير، وكان العُبَّاد والزهاد يقصدونه، ويألفونه، ويحمدون صحبته، وسعي به إلى السلطان، فأمر بإشخاصه إلى حضرته بمراكش، فوصلها، وتوفي بها.

وكان الناس قد ازدحموا عليه يسمعون كلامه ومواعظه... وقد قرأ بالروايات

على اثنين من بقايا أصحاب أبي عمرو والداني، **ولبس الخرقة** من أبي بكر عبد الباقي المذكور آخر أصحاب أبي عمر الطلمنكي وفاةً.

قال ابن مسدي: ابن العريف ممن ضرب عليه الكمال رِواق التعريف، **فأشرقت بأضوابه البلاد**، وشَرِقت به جماعة الحساد، حتى لَسَعَوْا به إلى سلطان عصره، وخوفوه من عاقبة أمره، لاشتمال القلوب عليه، وانضواء الغرباء إليه، فغُرب إلى مراكش، فيقال: إنه سم وتوفي شهيداً، وكان لما احتمل إلى مراكش، استوحش، فغرق في البحر جميع مؤلفاته، فلم يبق منها إلا ماكتب منها عنه. روى عنه أبو بكر بن الرزق الحافظ، وأبو محمد بن ذي النون، وأبو العباس الأندرشي، **ولبس منه الخرقة**، وصحب جدي الزاهد موسى بن مسدي، ولعله آخر من بقي من أصحابه.

ثم قال: مولد ابن العريف (٤٨١).

توفي ابن العريف ليلة الجمعة بمراكش سنة ٥٣٦ هـ.

ثم قال ابن بشكوال: واحتفل الناس بجنازته وندم السلطان على ما كان منه في جانبه، **فظهرت له كرامات رحمه الله.**

قلت: يعني ظهرت له كرامات بعد موته، فانظر رحمك إلى كلام هذا الإمام الحافظ الكبير ابن بشكوال وإقرار الحافظ الناقد الذهبي له. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢٠/٢٠٨-٢٠٩): العلامة المفسر ذو الفنون أبو جعفر أحمد بن علي البيهقي علامة نيسابور وصاحب التصانيف وخرج له تلامذة نجباء وكان ذا تأله وعبادة، **يزار ويتبرك به** ، مات فجأة في آخر

رمضان سنة (٥٤٤).

قلت: قال الذهبي في التذكرة (٢/٧٥٠): الحافظ الرحال. انتهى.

وقال رحمه الله (٢٠/٣٤٢-٣٤٣): الشيخ الإمام الصالح القدوة، زاهد وقته، أبو محمد عدي بن صخر الشامي، وقيل: عدي بن مسافر، وهذا أشهر.
قال الحافظ عبد القادر: ساح سنين كثيرة، وصحب المشايخ، وجاهد أنواعاً من المجاهدات، ثم إنه سكن بعض جبال الموصل في موضع ليس به أنيس، ثم آنس الله تلك المواضع به، **وعمرها ببركاته**، حتى صار لا يخاف أحد بها بعد قطع السبل، **وارتد جماعة من مفسدي الأكراد ببركاته**، وعمر حتى انتفع به خلقٌ، وانتشر ذكره، وكان معلماً للخير، ناصحاً متشرعاً. شديداً في الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، عاش قريباً من ثمانين سنة، ما بلغنا أنه باع شيئاً ولا اشترى، ولا تلبس بشيء من أمر الدنيا، كانت له غلة يزرعها بالقدوم في الجبل، ويحصدها ويتقوت، وكان يزرع القطن ويكتسي منه. ولا يأكل من مال أحد شيئاً، وكانت له أوقات لا يُرى فيها؛ محافظةً على أوراده، وقد طفت معه أياماً في سواد الموصل، فكان يصلي معنا العشاء، ثم لا نراه إلى الصبح، ورأيته إذا أقبل إلى قرية يتلقاه أهلها من قبل أن يسمعوا كلامه تائبين رجالهم ونساؤهم إلا من شاء الله منهم، ولقد أتينا معه على دير رهبان، فتلقانا منهم راهبان، فكشفا رأسيهما، **وقبلا رجليه**، وقالا: **ادع لنا فما نحن إلا في بركاتك**، وأخرجا طبقاً فيه خبز وعسل، فأكل الجماعة. وخرجت إلى زيارة الشيخ أول مرة، فأخذ يحادثنا، ويسأل الجماعة ويؤانسهم، وقال: رأيت

البارحة في النوم كأننا في الجنة ونحن ينــزل علينا شيء كالبَرَد. ثم قال: الرحمة، فنظرت إلى فوق رأسي فرأيت ناساً، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: أهل السنة والصيت للحنابلة.

وسمعت شخصاً يقول له: يا شيخ، لا بأس بمداراة الفاسق. فقال: لا يا أخي، دينٌ مكتومٌ دينٌ ميشوم.

وكان يواصل الأيام الكثيرة على ما اشتهر عنه، حتى إن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئاً قط، فلما بلغه ذلك أخذ شيئاً، وأكله بحضرة الناس، **واشتهر عنه من الرياضات والسِّيَر والكرامات والانتفاع به ما لو كان في الزمان القديم لكان أحدوثة**، ورأيته قد جاء إليه السلطان وأصحاب الولايات والمشايخ والعوام حتى آذوه مما **يقبلون يده**، فأجلس في موضع بينه وبين الناس شباك بحيث لا يصل إليه أحدٌ إلا رؤية، فكانوا يسلمون عليه، وينصرفون، ثم رجع إلى زاويته.

عاش تسعين سنة، وتوفي سنة سبع وخمسين وخمس مائة.

ونقل الذهبي رحمه الله (٣٦٩/٢٠): عن الشيخ الإمام الفقيه الأصولي الزاهد أبي عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن تومرت المصمودي المتوفى سنة ٥٢٤ قال: **في الموحدين خير وبركة.**

وقال الذهبي رحمه اللّه (٥/٢١ و٢٧): السِّلَفي هو الإمام العلامة المحدث الحافظ المفتي شيخ الإسلام شرف المعمرين أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني.

قال العماد الكاتب: سكن السِّلَفي الإسكندرية، وسارت إليه الرجال، **وتبرك بزيارته الملوك والأقيال (وهم ملوك)، وله شعر ورسائل ومصنفات.**

قلت: ترجمته حافلة انظرها في سير أعلام النبلاء (٥/٥-٣٩) لتشد همتك. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢١/٢٥١-٢٥٣): الحجري الشيخ **الإمام العلامة المعمر المقرئ المجود المحدث الحافظ الحجة شيخ الإسلام،** أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الرعيني الأندلسي **المالكي الزاهد.** ولد سنة (٥٠٥).

وسمع «صحيح مسلم» من أبي عبد الله بن زغيبة، وسمع من أبي القاسم بن ورد، وأبي الحسن بن موهب، و[لقي] أبا الحسن بن مغيث لقيه بقرطبة، وأبا القاسم بن بقي، وأبا عبد الله بن مكي، وأبا جعفر البِطْرَوْجي سمع منه «سنن النسائي» عالياً، وأبا بكر ابن العربي، وأبا الحسن شريحاً، تلا عليه بالسبع، وقرأ عليه «صحيح البخاري» سنة أربع وثلاثين، **وعني بالحديث، وتقدم فيه.**

قال الأبار [في التكملة ٢/٨٦٩-٨٧١]: **كان غاية في الورع والصلاح والعدالة،** ولي خطابة المرية، ودعي إلى القضاء، فأبى، ولما تغلب العدو، نزح إلى مرسية، وضاقت حاله، فتحول إلى فاس، ثم إلى سبتة، فتصدر بها، وبعُد صيته، ورحل إليه الناس، وطلب إلى السلطان بمراكش ليأخذ عنه، فبقي بها مدة، ورجع، حدثنا عنه عالَم من الجلة [في التكملة: حَدّث عنه عالم من الجلة الأعلام بالأندلس والعدوة، فيهم عدة من شيوخنا وغيرهم].

سمعت أبا الربيع بن سالم يقول: **صادف وقت وفاته قحط، فلما وضعت جنازته، توسلوا به إلى الله، فسقوا،** وما اختلف (تردد) الناس إلى قبره مدة

أسبوع إلا في الوحل.

قال (الأبار): **وهو رأس الصالحين، ورئيس الأثبات الصادقين،** حالف عمره الورع، وسمع من العلم الكثير وأسمع، وكان ابن حبيش شيخنا كثيراً ما يقول: لم تخرج المرية أفضل منه، وكان زماناً يخبر أنه يموت في الحرم لرؤيا رآها، فكان كل سنة يتهيأ. قرأت عليه «صحيح مسلم» في ستة أيام وكُتُباً. ثم سماها.

وقال ابن فرتون: **ظهرت لأبي محمد بن عبيد الله كرامات،** حدثنا شيخنا الراوية محمد بن الحسن بن غازٍ، عن بنت عمه، وكانت صالحة، وكانت استحيضت مدة، قالت: حدثت بموت ابن عبيد الله، فشق علي أن لا أشهده، فقلت: **اللهم إن كان ولياً من أوليائك، فأمسك عني الدم حتى أصلي عليه، فانقطع عني لوقته، ثم لم أره بعد.**

مات ابن عبيد الله في الحرم، سنة (٥٩١) وكانت جنازته مشهودةً بسبتة.

قال طلحة بن محمد: ثلاثة من أعلام المغرب في هذا الشأن: ابن بشكوال، وأبو بكر بن خير، وابن عبيد الله.

وقال ابن سالم: إذا ذكر الصالحون، فحيهلا بابن عبيد الله.

وقال ابن رشيد: كان يجمع إلى الزهد والحفظ المشاركة في أنواع من العلم رحمه الله.

قلت (القائل الذهبي): كان أهل سبتة يتغالون فيه، **ويتبركون برؤيته،** رحمه الله.

قلت: أورد الأبار الرؤيا فقال: قال شيخنا أبو الربيع بن سالم وقرأته عليه: كان يخبر أن وفاته تكون في المحرم لرؤيا رآها، فكان متى قرب قبل ذلك مدار هذا الشهر من كل سنة يتقدم بالاستعداد وزيادة الاجتهاد في العمل، إلى أن تقضى محتوم أجله فأتته منيته في شهر المحرم المذكور وفق ما رآه ودفن بجبل المينا منها، وصادف وقت وفاته بسبتة قحطاً أضر بأهلها، فلما وضعت جنازته على شفير قبره **توسلوا به إلى الله تعالى في إغاثتهم وتداركهم بالسقيا، فسقوا من تلك الليلة مطراً وابلاً وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل.**

وقرأت على أبي سليمان بن حوط الله قال: حدثنا صاحبنا أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي قال: حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن غازي قال: أخبرتني ابنة عمة لي وكانت من الصالحات، أنها استحيضت حيضة شديدة وتمادى بها ذلك زماناً، وأنها لما سمعت بموت أبي محمد بن عبيد الله أشفقت من أن لا تحضر الصلاة عليه ودفنه لِمَا رجت في ذلك من الثواب، فقالت: اللهم إن كان هذا الرجل عندك من الصالحين فارفع ما بي حتى أشهد الصلاة عليه. فاستجيبت. دعوتها وحضرت ما سألت وارتفع عنها بعد ذلك دم الاستحاضة، ولم يرجع إليها إلى أن توفيت رحمها الله. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢١/٤٣١-٤٣٢): حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة، بقية المسندين راوي المسند كله عن ابن الحصين. (أي مسند أحمد).

قلت: حدث عنه أئمة كبار كابن الدبيثي وابن النجار وابن خليل وابن أبي

عمر والفخر ابن البخاري وخلقٌ كثير. وحدث عن أئمة كبار. انتهى.

قال ابن نقطة [في التقييد ٢٦٠/١]: حدثنا أبو الطاهر ابن الأنماطي بدمشق، قال: حدثني حنبل بن عبد الله قال: لما ولدت، **مضـــى أبي إلى الشيخ عبد القادر الجيلي**، وقال له: قد ولد لي ابن ما أسميه؟ قال: سمه حنبل، وإذا كبر سَمِّعْه «مسند أحمد بن حنبل». قال: فسماني كما أمره، فلما كبرت سَمَّعَني «المسند»، **وكان هذا من بركة مشورة الشيخ**.

وقال الذهبي رحمه الله (٤٤٣/٢١ و٤٥٥ و٤٥٧): **الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع عالم الحفاظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي الصالحي الحنبلي ولد سنة (٥٤١).**

ثم قال الذهبي (٤٥٥/٢١): قال العادل: ما رأيت بالشام ولا مصر مثل فلان (يعني عبد الغني) دخل علي فخيل إلي أنه أسد، **وهذا ببركة دعائكم ودعاء الأصحاب**.

ثم قال الذهبي (٤٥٦/٢١-٤٥٧): **ومن شمائله**، قال الضياء: ما أعرف أحداً من أهل السنة رآه إلا أحبه ومدحه كثيراً، سمعت محمود بن سلامة الحراني بأصبهان قال: كان الحافظ يصطف الناس في السوق ينظرون إليه، ولو أقام بأصبهان مدة وأراد: أن يملكها لملكها.

قال الضياء: **ولما وصل إلى مصر كنا بها، فكان إذا خرج للجمعة لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق، يتبركون به ويجتمعون حوله**، وكنا أحداثاً نكتب الحديث حوله، فضحكنا من شيء وطال الضحك، فتبسم ولم يحرد علينا،

وكان سخياً جواداً لا يدخر ديناراً ولا درهماً مهما حصل أخرجه. لقد سمعت عنه أنه كان يخرج في الليل بقفاف الدقيق إلى بيوت متنكراً في الظلمة، فيعطيهم ولا يُعرف، وكان يفتح عليه بالثياب فيعطي الناس وثوبه مرقعٌ.

ثم قال الذهبي (٢١/٤٥٠): قال الضياء: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الحافظ يقول: ما رأيت الحديث في الشام كله إلا ببركة **الحافظ**، فإنني كل من سألته يقول: أول ما سمعت على الحافظ عبد الغني. وهو الذي حرضني.

ثم قال الذهبي (٢١/٤٦٦): قال الضياء: سمعت أبا موسى ابن الحافظ حدثني أبو محمد أخو الياسميني قال: كنت يوماً عند والدك فقلت في نفسي: **أشتهي لو أن الحافظ يعطيني ثوبه حتى أكفّن فيه. فلما أردت القيام خلع ثوبه الذي يلي جسده وأعطانيه، وبقي الثوب عندنا كل من مرض تركوه عليه فيعافى.**

قلت:.ترجمة هذا الإمام تتنـــزل بها الرحمات، نذكر شذرات ذهبية منها، فقد ضعف بصره من البكاء والنسخ والمطالعة، وكان هذا الإمام يحفظ أكثر من مائة ألف حديث، بل قال الحافظ الضياء: كان الحافظ عبد الغني المقدسي أمير المؤمنين في الحديث. سمعت محمود بن سلامة التاجر الحراني يقول: كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندي بأصبهان، وما كان ينام من الليل إلا قليلاً، **بل يصلي ويقرأ ويبكي.**

قال يوسف بن خليل: كان ثقة ثبتاً، دَيِّناً مأموناً، حسن التصنيف، دائم الصيام كثير الإيثار، كان يصلي كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة، ويأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقال الضياء :كان رحمه الله يقرأ الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع دمشق وليلة الخميس، ويجتمع خلق كثير، وكان يقرأ ويبكي، ويبكي الناس كثيراً، حتى إن من حضر مجلسه مرة لا يكاد يتركه لكثرة ما يطيب قلبه وينشرح صدره، **وكان يدعو بعد فراغه دعاء كثيراً.**

قال الضياء: كان شيخنا الحافظ رحمه الله لا يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة، فإنه كان يصلي الفجر ويلقن الناس القرآن، وربما أقرأ شيئاً من الحديث فقد حفظنا منه أحاديث جمة تلقيناها، ثم يقوم يتوضأ **فيصلي ثلاث مائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين** إلى قبل وقت الظهر، ثم ينام نومة يسيرة إلى وقت الظهر، ثم يصلي الظهر ويشتغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب، فإن كان صائماً أفطر وإلا صلى من المغرب إلى العشاء، وينام إلى نصف الليل أو بعده ثم قام كأن إنساناً يوقظه فيصلي لحظة كذلك، ثم توضأ وصلى إلى قرب الفجر، وربما توضأ في الليل سبع مرات أو ثمانياً، أو أكثر، فقيل له في ذلك؟ فقال ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة. ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر، وهذا دأبه.

وقال الحافظ ابن النجار: كان غزير الحفظ، من أهل الإتقان والتجويد، قيماً بجميع فنون الحديث، عارفاً بقوانينه وأصوله، وصحيحه وسقيمه، وناسخه ومنسوخه، وغريبه وشكله، وفقهه ومعانيه، وضبط أسماء رواته ومعرفة أحوالهم. وكان كثير العبادة ورعاً متمسكاً بالسنة على قانون السلف.

قلت: انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤٤٣/٢١ فما بعدها) وذيل طبقات

الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٤/٥ فما بعدها).

وإنني أريد من كل منصف بل وعاقل أن يتأمل هذه الأقوال والشهادات العلمية من حفاظ الدنيا وعلماء الأرض في هذا الإمام الحافظ التقي الورع العابد الزاهد السني الحنبلي الذي بلغ باتباع السنة والتمسك بها مبلغاً عظيماً، فإذا تأمل العاقل هذه المكانة المرموقة للحافظ عبد الغني سوف يقر بصواب ما صدر منه من تصرف غير مخالف للسنة فضلاً عن الشريعة، وهذا التصرف هو ما سمعه منه الحافظ الثقة المتقن الضياء المقدسي الدمشقي تلميذ الحافظ عبد الغني وقريبه، وإليك نصه:

قال الحافظ المتقن الثقة العدل ضياء الدين المقدسي الدمشقي الحنبلي:

«سمعت الإمام الشيخ الإمام العلم الحافظ أبا محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي يقول: كان خرج في عضدي شيء يشبه الدمل، وكان يبرأ ثم يعود، ودام بذلك زماناً طويلاً، فسافرت إلى أصبهان، وعدت إلى بغداد وهو بهذه الصفة، فمضيت إلى قبر الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه؛ ومسحت به القبر فبرأ ولم يعد.»

انتهى من مخطوط كتاب الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسي رحمه الله، الورقة (١١٢) الجزء الخامس، بخط مؤلفه الحافظ الضياء، وهو محفوظ في المكتبة الظاهرية التي آلت الآن إلى مكتبة الأسد بدمشق. أفاد هذه الفائدة الغالية التي تشد إليها الرحال الباحث أديب الكمداني في تحقيقه لكتاب تهذيب النفس للعلم

وبالعلم للعلامة الشيخ يوسف بن عبد الهادي الحنبلي (ص٨٣). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢١/٤٧٤-٤٧٥): ابن درباس قاضي الديار المصرية **الإمـــام الأوحد** صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى الشافعي، رحل في طلب الفقه (والحديث) **روى عنه الحافظ زكي الدين المنذري وقال [في الـــتكملة ٢/ت١٠٦٢]: كـــان مشهوراً بالصلاح والغزو وطلب العلم، يتبرك بآثاره للمرضى.**

قلت (القائل الذهبي): **كان من جلة العلماء وفضلائهم**، وفي أقاربه وذريته جماعة فضلاء ورواة. توفي سنة (٦٠٥).

وقال الذهبي رحمه الله (٢٢/٥): الشيخ أبو عمر الإمام الفقيه المقرئ المحدث **البركة** شيخ الإسلام أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد الجماعيلي **الحنبلي** الزاهد واقف المدرسة مولده سنة (٥٢٨).

سمع...وكتب وقرأ، وحصل وتقدم، وكان من العلماء العاملين، ومن الأولياء المتقين. وقد جمع له الحافظ الضياء سيرة في جزأين **فشفى وكفى**، وقال: كان لا يسمع دعاء إلا ويحفظه في الغالب، ويدعو به، ولا حديثاً إلا وعمل به، ولا صلاة إلا صلاها، كان يصلي بالناس في النصف [نصف شعبان] مائة ركعة وهو مسن، ولا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته، وإذا رافق ناساً في السفر ناموا وحرسهم يصلي.

قلت (القائل الذهبي): كان قدوة صالحاً، عابداً قانتاً لله، ربانياً، خاشعاً مخلصاً، عديم النظير، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر، والمروءة والفتوة

والصفات الحميدة، قلَّ أن ترى العيون مثله.

قيل: كان ربما تهجد فإن نعس ضرب على رجليه بقضيب حتى يطير النعاس. وكان يكثر الصيام، ولا يكاد يسمع بجنازة إلا شهدها، ولا مريض إلا عاده، ولا جهاد إلا خرج فيه، ويتلو كل ليلة سبعاً مرتلاً في الصلاة، وفي النهار سبعاً بين الصلاتين، وإذا صلى الفجر تلا آيات الحرس و ﴿يس﴾ والواقعة وتبارك، ثم يُقرئ ويلقن إلى ارتفاع النهار، ثم يصلي الضحى فيطيل ويصلي طويلاً بين العشاءين، ويصلي صلاة التسبيح كل ليلة جمعة، [ويطيل فيها] ويصلي يوم الجمعة ركعتين بمائة ﴿قل هو الله أحد﴾.

فقيل [القائل أهله، زوجته أم عبد الرحمن]: كانت نوافله في كل يوم وليلة **اثنتين وسبعين ركعة**، وله أذكار طويلة، ويقرأ بعد العشاء آيات الحرس، وله أوراد عند النوم واليقظة، وتسابيح، ولا يترك غسل الجمعة، وينسخ «الخرقي» من حفظه، وله معرفة بالفقه والعربية والفرائض. وكان قاضياً لحوائج الناس، ومن سافر من الجماعة يتفقد أهاليهم، وكان الناس يأتونه في القضايا فيصلح بينهم، وكان ذا هيبة ووقع في النفوس.

وقد ساق له الضياء كرامات ودعوات مجابات، وذكر حكايتين في أنه قُطِّب في آخر عمره.

قلت: ما بين المعقوفات من سيرة الشيخ أبي عمر للضياء. فقد ترجمه الحافظ الثقة المتقن ضياء الدين المقدسي ترجمة رائعة حافلة، ويكفينا قول الذهبي فيها: (**شفى وكفى**) طبعت، ومما قاله الضياء فيها:

ومما حكي عن أهله أم عبد الرحمن أنه كان يقرأ كل يوم ﴿قل هو الله أحد﴾ ألف مرة، ويقول: سبحان الله وبحمده. **ألف مرة**. وسبحان الله العظيم. **ألف مرة**. ويقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. **ألف مرة**. ولا إله إلا الله الملك الحق المبين. **ألف مرة**. وكان إذا دخل منـــزله قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ **خمس مرات**. ولا يجلس حتى يركع ركعات إلا أن يكون مريضاً فيصلي جالساً.

قال الضياء: **وكان يزور المقابر كل جمعة بعد العصر، ولا يكاد يأتي إلا ومعه شيء من الشيح في [مئزره] أو شيء من نبات الأرض**. (والشيح نبتة طيبة الرائحة قوية، ولعلها الآس).

وكان يقول بين صلاة سنة الفجر والفرض أربعين مرة: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت.

ذكر ذلك كله الضياء تحت: ذكر طرف من أوراده (ص ٥٩-٦٢ من طبعة الأستاذ محمد مطيع الحافظ، وما بين المعقوفتين من طبعة دار ابن حزم ص ٣٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٦٨).

وعقد الضياء أبواباً منها:

ذكر بركة كتبه ورقاعه. وذكر بركة الطعام عند حضوره. وذكر بركة دعائه. تقدم نقله في (ص٢٨). و: **ذِكْر فراسته وتكلمه على المغيبات وكراماته**. ثم ذكر له كرامات بأسانيد صحيحة. ثم قال الحافظ الضياء:

ذِكْرُ أنه قُطبُ الأبدال وما في معناه. رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرى النائم، (والرائي هو الضياء) وكنا في صحن جامع دمشق، ومعه

رجل طويل أسود شبهته بعبد الرحمن بن غنم، وقد فرحت فرحاً كثيراً، وكأنا نمضي معه إلى دعوة، فخرجنا نحو درج جيرون، ونزل في الدرج، ثم إن النبي ﷺ مضى في حاجة ومضينا ووصلت إلى اللبادين القبلية، فإذا به يمشي ﷺ فأعلمته ثم نظرت إليه فإذا هو الشيخ أبو عمر رحمه الله تعالى. وكان المنام في حال حياته، فقلت لبعض أصحابنا هذا المنام فقال: هذا كما يقال: **إن بعض الأولياء مَن قلبه على قلب بعض الأنبياء.**

سمعت الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن عتيق علي بن عامر في سنة أربع وست مائة قال: كنت في مراغة (من بلاد أذربيجان) من ست سنين أو ست ونصف، فرأيت رجلاً متـــزهداً يقال له: أبو الحسن. فذكر عنده الزهاد فقال: ليس مثل الشيخ أبي عمر الذي بجبل قاسيون. فقلت له: أيش من فضله أو كما قال؟ فقال: تعرفه؟ فقلت: أنا أقرب الناس إليه في المعرفة. فقال: جاءنا الخبر من الشيخ أبي الفرج من سرنديك، كذا قال، **أن الشيخ أبا عمر قُطّب** من سنة ونصف. قال: فمضيت إلى مكة وحدثت الشيخ ربيع فقال: هو أحق الناس بذلك. أو كما قال. قلت: وقد وصف لي الشيخ ربيع بالزهد والورع.

وسمعت الشيخ أبا محمد ابن عبد الرزاق بن هبة الله بن كتائب الدمشقي قال: سمعت رجلاً من الصالحين يقول: أقام الشيخ أبو عمر **في القطابة ست سنين.**

ثم ذكر الضياء خمسة أخبار فيها إثبات أن الشيخ أبا عمر صار قطباً.

وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦٠٧ ص ٢٧٣-٢٧٤) **فقد نص على أنه قُطّب نقلاً عن الضياء، وذكر عدة حكايا.** وذكر الحافظ الضياء (ص٨١ من طبعة الشيخ مطيع) باباً سماه: **ذكر أنه حي في قبره وارتفاع**

العذاب عن الموتى بعد موته.

ثم قال الضياء: سمعت الإمام أبا عبد الله محمد بن طرخان بن أبي الحسن الدمشقي، وأبا محمد مسعود بن أبي بكر المقدسي أن عبد الولي بن محمد بن طرخان حدثهم: أنه كان يقرأ عند قبر الشيخ أبي عمر سورة البقرة وكان وحده، فبلغ إلى قوله: ﴿بقرة لا فارض ولا بكر﴾ قال: فقلت: (لا ذلول) يعني غلط. قال: **فردّ علي الشيخ أبو عمر من القبر**. قال: فخفت وفزعت وارتعدت وقمت.

وهذا لفظ حكاية أبيه عنه، وقال مسعود: فصاح علي الشيخ ونهرني.

والمعنى واحد، **وهذه الحكاية مشتهرة**، قال والده: فبقي بعد ذلك أياماً ثم مات.

سمعت الشيخ محمد بن حسين العراقي خادم الشيخ علي قال: جئت بالشيخ علي إلى قبر الشيخ أبي عمر فقال الشيخ علي: صاحب هذا القبر حي في قبره.

وسمعت علي بن ملاعب بن حراز العراقي المؤدب قال: كنت عند القبر فقرأت سورة الكهف إلى آخرها، **فسمعت من القبر يقول: لا إله إلا الله.**

سمعت أبا محمد إسحاق بن خضر بن كامل أن أهل بيته حدثته وهي عزة بنت أحمد بن يونس أنها رأت في المنام امرأة كانت قد ماتت، وكانت الميتة ربما قطعت الصلاة، فسألتها عن حالها فقالت: قد أثقلنا الحديد. ثم رأتها بعد موت الشيخ أبي عمر فسألتها عن حالها؟ فقالت: **قد ارتفعت الأرض أو قالت العذاب عنا كارتفاع السماء عنكم بسبب هذا الرجل الزاهد.**

فقلت من هو؟ فقالت: الشيخ أبو عمر.

وذكر الذهبي الحكايتين الأوليين في تاريخ الإسلام (ص٢٧٦).

وأما كتاب أحوال الشيخ أبي عمر للحافظ الضياء رحمه الله فقد سمعه جماعة من الحفاظ والمحدثين.

وتقدم في أول الكتاب نقول كثيرة منه، (ص ٢٨). انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢٢/٤٧-٤٩): الشيخ الإمام العالم الزاهد القدوة الفقيه، **بركة الوقت**، عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي، نزيل سفح قاسيون، وأخو الحافظ عبد الغني. ولد سنة ٥٤٣.

قال الضياء: وكان يجلس في جامع البلد من الفجر إلى العشاء، لا يخرج إلا لحاجة، يُقرئ القرآن والعلم، فإذا فرغوا اشتغل بالصلاة، فسألت الشيخ موفق الدين عنه فقال: كان من خيار أصحابنا، وأعظمهم نفعاً، وأشدهم ورعاً، وأكثرهم صبراً على التعليم. وكان داعية إلى السنة، أقام بدمشق مدة يعلم الفقراء ويقرئهم، ويطعمهم، ويتواضع لهم، كان من أكثر الناس تواضعاً، واحتقاراً لنفسه، وخوفاً من الله، ما أعلم أنني رأيت أشد خوفاً منه. وكان كثير الدعاء والسؤال لله، يطيل السجود والركوع، ولا يقبل ممن يعذله، **ونقلت له كرامات [كثيرة]**.

ثم قال الضياء: لم أر أحداً أحسن صلاةً منه ولا أتم، بخشوع وخضوع، قيل: كان يسبِّح عشراً يتأنى فيها، وربما قضى في اليوم والليلة صلوات عدة، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان إذا دعا كان القلب يشهد بإجابة دعائه من

كثرة ابتهاله وإخلاصه، **وكان يمضي يوم الأربعاء إلى مقابر باب الصغير عند الشهداء، فيدعو ويجتهد ساعة طويلة**....وكان إذ أفتى في مسألة يحترز فيها احترازاً كثيراً.

قال (أي الضياء): وأما زهده، فما أعلم أنه أدخل نفسه في شيء من أمر الدنيا، ولا تعرض لها، ولا نافس فيها، وما علمت أنه دخل إلى سلطان ولا وال، وكان قوياً في أمر الله، ضعيفاً في بدنه. لا تأخذه في الله لومة لائم، أماراً بالمعروف، لا يرى أحداً يسيء صلاته إلا قال له وعلّمه.

قال الضياء: حدثني الشيخ المقرىء عبد الله بن حسن الهكاري بحران قال: **رأيت في النوم قائلاً يقول لي: العماد من الأبدال، فرأيت خمس ليال كذلك.**

قلت: ما بين المعقوفتين من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٩٤)، وقال ابن رجب (٢/١٠٠): وذكر (أي الضياء) **جملة من كراماته وكلامه على الخواطر والمغيبات.** ثم ذكر ابن رجب عدة منها.

ثم نقل (٢/١٠٤) عن الضياء قال: ولما خرجت جنازته إلى الجامع اجتمع خلق كثير، فما رأيت الجامع كأنه يوم جمعة من كثرة الخلق، وتركت جنازته في قبلة الجامع، وصلى عليه الإمام موفق الدين (ابن قدامة) شيخنا، وكان المعتمد (السلطان) يطرد الناس عنه، **وإلا كانوا من كثرة من يتبرك به يخرقون الكفن**...انتهى. وللكلام بقية رائعة انظره.

وقال الذهبي رحمه الله (٢٢/١٣٩ و١٤٠): خوارزم شاه السلطان الكبير علاء الدين خوارزم شاه محمد ابن السلطان خوارزم شاه الخوارزمي.

قال عز الدين علي ابن الأثير [في الكامل ١٢/٣٧١]: كان صبوراً على التعب وإدمان السير غير متنعم ولا متلذذ إنما همته الملك. **وكان فاضلاً، عالماً بالفقه والأصول، مكرماً للعلماء يحب مناظرهم، ويتبرك بأهل الدين، قال لي خادم الحجرة النبوية: أتيته فاعتنقني، ومشى لي وقال: أنت تخدم حجرة النبي ﷺ؟ قلت: نعم، فأخذ يدي وأمرها على وجهه، وأعطاني جملة.**

وقال الذهبي رحمه الله (٢٢/١٥٦-١٥٧): ابن راجح الشيخ **الإمام العالم الفقيه** المناظر شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن خلف المقدسي الحنبلي، ولد سنة (٥٥٠ تقريباً).

قال الحافظ الضياء: صار أوحد زمانه في علم النظر، وكان يقطع الخصوم، ويذهب فيناظر الحنفية، ويتأذون منه، **وقد ألبسه شيخه ابن المني طرحة**، ثم إنه مرض واصفر حتى قيل: هو مسحورٌ. وكان كثير الخير والصلاة، سليم الصدر، رأيتهم بجماعيل يعظمونه، **ولا يشكّون في ولايته وكراماته.**

وسمعت الإمام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار يقول: حدثني جماعةٌ من جماعيل منهم خالي عمر بن عوض قال: وقعت في جماعيل فتنة، فخرج بعضهم إلى بعض بالسيوف، وكان ابن راجح عندنا. قالوا: فسجد ودعا، قالوا: فضرب بعضهم بعضاً بالسيوف فما قطعت شيئاً. قال عمر: فلقد رأيتني ضربت بسيفي رجلاً، وكان سيفاً مشهوراً فما قطع شيئاً، **وكانوا**

يرون أن هذا ببركة دعائه.

قال عمر بن الحاجب في «معجمه»: هو إمام محدث، فقيه عابد، دائم الذكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، صاحب نوادر وحكايات، عنده وسوسة زائدة في الطهارة، وكان يحدث بعد الجمعة من حفظه، وكانت أعداؤه تشهد بفضله.

وقال المنذري: كان كثير المحفوظ، متحرياً في العبادات، حسن الأخلاق.

قلت: قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: كان زاهداً عابداً ورعاً، فاضلاً في فنون العلم، وكان سليم الصدر **من الأبدال**. انتهى من الذيل لابن رجب (١٢٤/٣).

وقال الذهبي رحمه الله (١٦١/٢٢): ابن الحمامي الإمام المحدث المتقن الواعظ الصالح، تقي الدين أبو جعفر وأبو عبد الله محمد بن محمود بن إبراهيم الهمذاني، ولد في أول سنة (٥٤٨)، وسمع من أبي الوقت سنة اثنتين وخمسين حضوراً (كان عمره خمس سنوات)، وكان محدث وقته بهمذان وكبيرها.

قال ابن النجار: حضرت مجلس إملائه وكان له القبول التام والصيت الشائع، **ويتبركون به** .

قال: وكان من أئمة الحديث وحفاظه، وله المعرفة بفقه الحديث ولغته ورجاله، وكان فصيحاً حلو العبارة منقح الألفاظ، مع تعبد وزهد، وكان أماراً بالمعروف ناصراً للسنة، متواضعاً متودداً سمحاً جواداً، استولت التتار في جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة على همذان، فبرز لقتالهم بابنه عبيد الله فاستشهدا.

وقال الذهبي رحمه الله (٢٢/٣٧٣-٣٧٧): السهروردي **الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحد الصوفية** شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله، عمر بن محمد بن عبد الله، القرشي التيمي البكري السهروردي **الصوفي** ثم البغدادي، ولد في رجب سنة (٥٣٩).

قال ابن النجار: كان شهاب الدين شيخ وقته في **علم الحقيقة**، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين ودعاء الخلق إلى الله والتسليك، صحب عمه وسلك طريق الرياضات والمجاهدات، وقرأ الفقه والخلاف والعربية، وسمع، ثم لازم الخلوة والذكر والصوم، إلى أن خطر له عند علو سنه أن يظهر للناس ويتكلم، فعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه فكان يتكلم بكلام مفيد من غير تزويق، ويحضر عنده خلق عظيم، وظهر له القبول من الخاص والعام، واشتهر اسمه وقصد من الأقطار، **وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة فتابوا**، ووصل به خلق إلى الله وصار أصحابه كالنجوم، ونفذ رسولاً إلى الشام مرات وإلى السلطان خوارزم شاه، ورأى من الجاه والحرمة ما لم يره أحد، ثم رتب بالرباط الناصري وبرباط المأمونية ورباط البسطامي، ثم إنه أضر وأقعد ومع هذا فما أخل بالأوراد ودوام الذكر وحضور الجُمَع في مَحَفَّة، والمضي إلى الحج إلى أن دخل في عشر المائة وضعف فانقطع.

قال (أي ابن النجار): وكان تام المروءة، كبير النفس ليس للمال عنده قدر، لقد حصل له ألوف كثيرة فلم يدخر شيئاً، ومات ولم يخلف كفناً، وكان مليح الخَلْق والخُلُق متواضعاً، كامل الأوصاف الجميلة، قرأت عليه كثيراً، وصحبته مدة، وكان صدوقاً نبيلاً، صنف في التصوف كتاباً شرح فيه أحوال

القوم، وحدث به مراراً. يعني عوارف المعارف.

قال (أي ابن النجار): وأملى في آخر عمره كتاباً في الرد على الفلاسفة، وذكر أنه قدم بغداد بعد وفاة أبي الوقت المحدث.

وقال ابن نقطة: كان شيخ العراق في وقته، صاحب مجاهدة وإيثار وطريق حميدة ومروءة تامة وأوراد على كبر سنه.

ثم قال الحافظ الذهبي:

ألبسني خرقة التصوف شيخنا المحدث الزاهد ضياء الدين عيسى بن يحيى الأنصاري بالقاهرة، وقال: ألبسنيها الشيخ شهاب الدين السهروردي بمكة، عن عمه أبي النجيب.

قلت: لله دَرّ الحافظ الناقد الحجة الذهبي، فقد كان معتنياً بالأحوال الروحية، فاغتنم أهل الله من الأولياء والصالحين فتبرك بلبس خرقة التصوف منهم، ليتصل بهم ويستمد من بركاتهم، فلبس الخرقة من شيخه الضياء عيسى الأنصاري الذي وصفه في معجم شيوخه (٨٧/٢ رقم ٥٩٧) فقال: عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد بن مسعود **المحدث العالم المعمر**، ضياء الدين أبو الهدى الأنصاري السبتي، الشافعي **الصوفي، طلب الحديث وقرأ الكثير** على أبي القاسم الصفراوي ويوسف بن المخيلي وعبد الرحيم بن الطفيل وأبي علي بن الدباغ وأبي الحسن بن المقير وعدة.

ولبس فيما ذَكَرَ الخرقة من الشيخ شهاب الدين السهروردي بمكة في سنة سبع وعشرين، فلبستُها منه.

تنبيه: ضبط المعلق على معجم شيوخ الذهبي كلمة (ذكر) بضم الذال، لتكون بصيغة المبني للمجهول، وهو ضبط خطأ، صوابه (ذَكَرَ) بفتح الذال بالمبني للمعلوم، فإن الضياء الأنصاري صرح بأنه لبس الخرقة من الشهاب السهروردي، كما قال الذهبي في السير، والثقة إذا قال مثل ذلك يحمل على الحقيقة والجزم لا على التمريض.

فائدة: لبس الخرقة توجد لها أسانيد، منها ما هو صحيح، ومنها ما هو ضعيف، ومنها ما هو موضوع. انتهى.

وقال الذهبي رحمه الله (٢٣/١٥-١٧): ابن اللَّتِّي الشيخ الصالح المسند المعمر رحلة الوقت أبو المنجى عبد الله بن عمر بن علي .. البغدادي في سنة ٥٤٥، فسمعه عمه من أبي القاسم سعيد بن أحمد ابن البناء حضوراً في سنة ٥٤٩ أي كان عمره أربع سنوات. وسمع من أبي الوقت السجزي كثيراً كالدارمي ومنتخب مسند عبد وأشياء...سمع منه خلائق...سمعت من نحو ثمانين نفساً من أصحابه وكان شيخاً صالحاً <u>مباركاً</u> عامياً عرياً من العلم.

قال ابن النجار: كان سماعه صحيحاً. وقال ابن نقطة: سماعه صحيح.

وقال الذهبي رحمه الله (٢٣/٢٩): ابن الباجي **العلامة القدوة قاضي الجماعة**، أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك، اللخمي الباجي ثم الإشبيلي المالكي، من بيت كبير شهير. ولي خطابة إشبيلية زماناً، وكان عدلاً في الأحكام، حسن التلاوة. سريع السرد للحديث، له معرفة، مات سنة (٦٣٥)، **وشيعه أمم <u>وتبركوا به</u> وبنوا عليه قبة في يوم واحد.**

وقال الذهبي رحمه الله (٣١٢/٢٣): المرسي **الإمام العلامة البارع القدوة المفسر المحدث النحوي ذو الفنون** شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد السلمي المرسي الأندلسي ولد بمرسية في أول سنة ٥٧٠، كتب وقرأ وجمع من الكتب النفيسة كثيراً، ومهما فتح به عليه صرفه في ثمن الكتب، وكان متضلعاً من العلم، جيد الفهم متين الديانة، حدث بالسنن الكبير (للبيهقي) غير مرة عن منصور. قال ابن النجار: قدم طالباً سنة (٦٠٥) فسمع الكثير، وقرأ الفقه والأصول.

قلت (القائل الذهبي): وسمع منه الإربلي الذهبي **السنن الكبير كله** في سنة اثنتين وثلاثين وست مئة.

قال (ابن النجار): وهو من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم، له فهم ثاقب وتدقيق في المعاني، وله تصانيف عدة ونظم ونثر.

إلى أن قال: وهو زاهد متورع كثير العبادة فقير مجرد متعفف نزه، قليل المخالطة حافظ لأوقاته، طيب الأخلاق كريم متودد، ما رأيت في فنه مثله.

قال ابن الحاجب: سألت الضياء عن المرسي ؟ فقال: فقيه مناظر نحوي من أهل السنة، صَحِبَنَا في الرحلة وما رأينا منه إلا خيراً.

وقال أبو شامة: كان متفنناً محققاً كثير الحج مقتصداً في أموره كثير الكتب محصلاً لها، وكان قد أعطي قبولاً في البلاد.

وقال ياقوت [في معجم الأدباء ٢٠٩/١٨-٢١٣]: هو أحد أدباء عصرنا تكلم على المفصل للزمخشري وأخذ عليه سبعين موضعاً، وهو عذري الهوى، عامري الجوى، كل وقت له حبيب، ومن كل حسن له نصيب، وهو من

بيت كبير وحشمة،... لزم النسك والانقطاع، وكان له في العلوم نصيب وافر، يتكلم فيها بعقل صائب، وذهن ثاقب. قرأ القرآن والفقه والنحو والأصول، ولم يكن بالأندلس في فنه مثله يقوم بعلم التفسير **وعلوم الصوفية** كان لو قال: هذه الآية تحتمل ألف وجه قام بها. قال: وما سمعت شيئاً إلا حفظته.

قال ياقوت: فحدثني شرف الدين (هو المرسي) قال: حدثني ابن دهاق: حفظت وأنا شاب القرآن وكتباً منها إحياء علوم الدين للغزالي، فسافرت إلى تلمسان فكنت أرى رجلاً زرياً قصيراً طوله نحو ذراع، وكان يأخذ زنبيله ويحمل السمك بالأجرة، وما رآه أحد يصلي، فاتفق أني اجتزت يوماً وهو يصلي، فلما رآني قطع الصلاة، وأخذ يعبث ثم جاء العيد فوجدته في المصلّى فقلت: سآخذه معي أطعمه فسبقني وقال: قد سبقتك احضر عندي. فمضيت معه إلى المقابر فأحضر طعاماً حاراً يؤكل في الأعياد، فعجبت وأكلت. **ثم شرع يخبرني بأحوالي كأنه كان معي**، وكنت إذا صليت يخيل لي نور عند قدمي فقال لي: أنت معجب تظن نفسك شيئاً، لا ، حتى تقرأ العلوم. قلت: إني أحفظ القرآن بالروايات. قال: **لا حتى تعلم تأويله بالحقيقة**. فقلت: علمني . فقال: من غدٍ مُرّ بي في السماكين. فبكرت فخلا بي في موضع ثم جعل يفسر لي القرآن تفسيراً عجيباً مدهشاً، ويأتي بمعاني فيبهرني وقلت: أحب أن أكتب ما تقول. فقال: كم تقول عمري ؟ قلت: نحو سبعين سنة. قال: بل مائة وعشر سنين ، وقد كنت أقرأ العلم أربعين سنة، ثم تركت الإقراء، فأسألُ الله أن يفقهك في الدين. فجعل كلما ألقى علي شيئً حفظته.

قال: **فجميع ما ترونه مَسّني من بركته. وسمعته يقول: قطب الأرض اليوم ابن الأشقر أو قال: الأشقر، وإن مات قبلي فأنا أصير القطب.**

قال الذهبي: وكان بحر معارف رحمه الله.

وقال الشريف في الوفيات: كان من أعيان العلماء ذا معارف متعددة وله مصنفات مفيدة.

وقال الذهبي رحمه الله (٣٦٣/٢٣): الباخرزي **الإمام القدوة شيخ خراسان** سيف الدين أبو المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد، نزيل بخارى، كان إماماً محدثاً ورعاً زاهداً تقياً أثرياً، منقطع القرين بعيد الصيت له وَقْعٌ في القلوب، ومهابة في النفوس، صحب الشيخ نجم الدين الخِيْوَقي.

قال ابن الفوطي: هو المحدث الحافظ الزاهد الواعظ، كان شيخاً بهياً عارفاً تقياً فصيحاً، كلماته كالدر.

وقال النسفي: كان متابعاً للحديث في الأصول والفروع، كان في علمه وفضله كالبحر الزاخر، وفي الحقيقة مفخر الأوائل والأواخر، له الجلالة والوجاهة، وانتشر صيته بين المسلمين والكفار، وبهمته اشتهر علم الأثر بما وراء النهر وتركستان، ولما خرّب التتار بخارى وغيرها أمر نجم الدين الكبرى أصحابه بالخروج إلى من خوارزم إلى خراسان منهم سعد الدين وآخى بين الباخرزي وسعد الدين، ووقع خوف الباخرزي في قلوب الكفار، فلم يخالفه أحد في شيء يريده، **وأسلم على يده جماعة، وزار بِخَرْتنك قبر الإمام البخاري وجدد قبته وعلق عليها الستور والقناديل، وأهدت له ملكة بنت**

أزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان سنَّ النبي ﷺ الذي كُسر يوم أحد.

توفي الشيخ (الباخرزيّ) رحمه الله سنة (٦٥٩) **وأوصى أن يكفن في خرقة شيخه نجم الكبرى**، وأن لا يقرأ قدام جنازته وأن لا يناح عليه.

قلت: الشيخ الخيوقي قال فيه الذهبي (١١١/٢٢): **الشيخ الإمام العلامة القدوة المحدث الشهيد شيخ خراسان**، نجم الكبراء ويقال: نجم الدين الكبرى الشيخ أبو الجناب أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الخيوقي الصوفي **طاف في طلب الحديث، وعني بالحديث وحصل. قال ابن نقطة: هو شافعي إمام في السنة.** وقال عمر بن الحاجب: طاف البلاد وسمع واستوطن خوارزم وصار شيخ تلك الناحية، **وكان صاحب حديث وسنة**، ملجأ للغرباء عظيم الجاه لا يخاف في الله لومة لائم. استشهد في قتاله للتتار سنة (٦١٨). انتهى.

التشفع بالنبي ﷺ

وقال الذهبي رحمه الله (٣٧٦/٢٣): السلطان الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن السلطان الملك المعظم عيسى ابن العادل ولد بدمشق سنة (٦٠٣)، وكان فقيهاً حنفياً ذكياً، أديباً شاعراً بديع النظم، مشاركاً في علوم (ثم ذكر له محنة وحاجة، ثم قال:) فسار في سنة ثلاث وخمسين إلى بغداد ليطلب وديعته فما مكن من العبور إلى بغداد **فنـــزل بالمشهد، وحج وتشفع بالنبي ﷺ منشداً قصيدة**، ثم إنه مرض بدمشق ومات ودفن بالمعظمية عند أبيه.

قال الذهبي رحمه الله (٢٨/١٧ و٣٧-٣٨): ابن منده الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسحاق الأصبهاني.

ثم قال الذهبي: وهذه حكاية نكتبها للتعجب: قال الحسين بن عبد الملك: حكي لي عن أبي جعفر الهمذاني رئيس حجاج خراسان قال: **سألت بعض خدم تربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من أبناء مائة وعشرين سنةً، قال: رأيت يوماً رجلاً عليه ثياب بيضٌ دخل الحرم وقت الظهر، فانشق حائط التربة، فدخل فيها وبيده محبرةٌ وكاغدٌ وقلم، فمكث ما شاء الله، ثم انشقّ، فخرج، فأخذت بذيله، فقلتُ: بحق معبودك من أنت؟ قال: أنا أبو عبد الله ابن منده، أشكل علي حديثٌ، فجئتُ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجابني. وأرجع.**

إسنادها منقطع.

وقال الذهبي رحمه الله (٥٤/١٩ و٥٦): ملكشاه السلطان الكبير جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان، السلجوقي التركي، **كان حسن السيرة.** شيع مرةً ركب العراق إلى العُذيب (هو ماء بين القادسية والمغيثة) فصاد شيئاً كثيراً، فبنى هناك منارة القرون من حوافر الوحش وقرونها، ووقف يتأمل الحجاج، فرقّ ونزل وسجد، **وعفّر وجهه وبكى،** وقال بالعجمية: **بلّغوا سلامي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقولوا: العبد العاصي الآبق أبو الفتح يخدم ويقول: يا نبي الله، لو كنت**

ممن يصلح لتلك الحضرة المقحبة. فضج الناس وبكوا ودعوا له.

قال الذهبي رحمه الله (٦/٧) شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه ي رحمه الله تعالى:

قال ابن وهب: رأيتُ الثوري صلى، ثم سجد سجدة، فلم يرفع حتى نودي بالعشاء.

وقال عارم: أتيت أبا منصوبات سفيان في هذا البيت، وكان هنا بلبل لابني، فقلنا؟ لو خلي عنه. قلت: هو لابني، وهو يهبه لك. قال: لاً. قال: فأخذه فخلى عنه، فكان يذهب ويرعى، فيجيء ناحية البيت، فلما مات سفيان، تبع جنازته، فكان ثم اختلف (تردد) بعد ذلك ليالي إلى قبره، فكان ربما بر إلى البيت، ثم وجدوه ميتاً عند قبره، فدفن عنده.

قلت: أخبار سفيان الثوري تزداد المسلم بها إيماناً، انظرها في السير (٦/٢٢٩-٢٨٠)، ديل (١/٥٥-١٢٦) وحلية الأولياء (٦/٣٥٦ إلى ٧/٤٤، ١٥١-١٧٤). انتهى.

وقال الذهبي رحمه اللّه (٣همماني إمام اللغة أبو العباس عيسى بن محمد، كان من رؤفي التاريخ: كان رئيساً نبيلاً كثير الفضائل].

قـال الحاكم: حدثنا أبي، سمع الطهماني يقول: رأيت بخوارزم امرأة لا تأكل ولا تشرب، ولا تروث.

وقال ولده أبوه صالح محمد بن عيسى: مات أبي في صفر، سنة (٢٩٣).

وقـال يحيي العنبري: سمعت الطهماني يحكي شأن التي لا تأكل ولا تشرب، وأنها عاشت كذلك نيفاً وعشرين سنةً، وأنه عاين ذلك.

قلت (القائل الذهبي): قلت: سقتُ قصتها في «تاريخ الإسلام»، وهي: رحمة بنـت إبراهـيم، قتل زوجها، وترك ولدين، وكانت مسكينة، فنامت فرأت زوجها مع الشهداء، يأكل على موائد، وكانت صائمة، قالت: فاستأذَنَهم، ونـاولَني كسرة أكلتها، فوجدتها أطيب من كل شيء، فاستيقظت شبعانةً. واستمرّت.

ثم قال الحافظ الذهبي: وهذه حكايةٌ صحيحة، فسبحان القادر على كل شيء.

وحكـى الشيخ عز الدين الفاروثي: أن رجلاً بعد الست مائة كان بالعراق، دام سنين لا يأكل.

وحكـى لي ثقات ممن لحق عائشة الصائمة بالأندلس، وكانت حيةً سنةَ سبعِ مائة، دامت **أعواماً** لا تأكل.

قلـت: قال الذهبي في التاريخ (٢١٨/٢٢): قال الحاكم: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: سمعت أبا العباس، فذكر قصة المرأة التي لا تأكل ولا تشرب، وأنها عاشت كذلك نيفاً وعشرين سنة. فقال: إن الله مظهراً ما شاء من آياته، فـيزيد الإسلام بها عزاً وقوة، وإن مما أدركنا عياناً، وشاهدناه في زماننا أن وردتُ عان مدينة من مدائن خوارزم، بينها وبين المدينة العظمى نصف يوم،

فأُخـــبرت أن بها امرأة من نساء الشهداء رأت رؤيا كأنها أطعمت في منامها شيئاً، فهي لا تأكل ولا تشرب منذ عهد عبد الله بن طاهر؛ ثم مررت بها سنة اثنـــتين وأربعين، فرأيتها وحدثتني بحديثها، ثم رأيتها بعد عشر سنين مشيتها قويـــة، وإذا هـــي امرأة نَصَف، جيدة القامة، حسنة البنية، متوردة الخدين، فســـايرتني وأنـــا راكب. فعرضت عليها مركباً، فأبت وبقيت تمشي معي. وحضـــر مجلس محمد بن حمدويه الحارثي، وهو فقيه قد كتب عنه موسى بن هـــارون، وكهـــل له عبارة وبيان يسمى عبد الله بن عبد الرحمن، وكان قد تخلف أصحاب في ناحيته، فسألتهم عنها، فأحسنوا القول فيها، وأثنوا عليها، وقالوا: أمرها ظاهر، ليس فينا من يختلف فيه. قال عبد الله: أنا أسمع أمرها من أيـــام الحداثـــة، وقد فرغت بالي لها، فلم أر إلا ستراً وعفافاً، ولم أعثر على كـــذب في دعواها. وذكر أن من كان يلي خوارزم كانوا يحضرونها الشهر والشـــهرين في بيـــت، ويغلقـــون عليها. قال: فلما تواطأ أهل الناحية على تصـــديقها سألتها، فقالت: اسمي رحمة بنت إبراهيم، كان لي زوج نجار يأتيه رزقـــه يومـــاً فـــيوماً. وأنهـــا ولدت عدة أولاد. وجاء الأقطع ملك الترك الغـــزية...قـــال الطهمـــاني: والأقطع هذا كان كافراً عاتياً، شديد العداوة للمســـلمين...قالت المرأة بعد وصف المعركة: ووُضع زوجي بين يدي قتيلاً، فأدركني من الجزع والهلع عليه ما يدرك المرأة الشابة المسكينة، على زوجٍ أبي أولاد، وكاســـب عيال. فاجتمع الناس من قراباتي والجيران، وجاء الصبيان، وهم أطفال يطلبون الخبز، وليس عندي ما أعطيهم، فضقت صدراً، فنمت، فرأيـــت كـــأني في أرض حسناء ذات حجارة وشوك، أهيم فيها والهة حُزناً

أطلب زوجي، فناداني رجل: خذي ذات اليمين. فأخذت، فرفعت لي أرض سهلة الثرى، طيبة العشب، وإذا قصور وأبنية لا أحسن أن أصفها، وأنهار تجري من غير أخاديد، فانتهيت إلى قوم جلوس حلقاً، عليهم ثياب خضر، قد علاهم النور، فإذا هم الذين قُتلوا، يأكلون على موائد، فجعلت أبغي زوجي، فناداني: يا رحمة، يا رحمة. فيممت الصوت، فإذا به في مثل حال الشهداء، ووجهه مثل القمر ليلة البدر، وهو يأكل مع رفقة. فقال لهم: إن هذه البائسة جائعة منذ اليوم، أفتأذنون أن أناولها؟ فأذنوا له، فناولني كسرةً أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، فأكلتها. فلما استقرت في جوفي قال: اذهبي. فقد كفاك الله مؤونة الطعام والشراب ما حييت، فانتبهت وأنا من شبعى ريَّى لا أحتاج إلى طعام ولا إلى شراب، فما ذقتهما إلى الآن.

قال الطهماني: وكانت تحضرنا، وكنا نأكل، فتتنحى، وتأخذ على أنفها، تزعم أنها تتأذى برائحة الطعام، فسألتها: هل يخرج منك ريح؟ قالت: لا. قلت: والحيض؟ أظنها قالت: انقطع. قلت: فهل تحتاجين حاجة النساء إلى الرجال؟ قالت: أما تستحي مني، تسألني عن مثل هذا؟ قلت: لعلي أحدث الناس عنك. قالت: لا أحتاج. قلت: فتنامين؟ قالت: نعم. قلت: فما ترين في منامك؟ قالت: مثل الناس. قلت: فتجدين لفقد الطعام وهناً في نفسك؟ قالت: ما أحسست بالجوع منذ طعمت ذلك الطعام. وكانت تقبل الصدقة، فقلت: ما تصنعين بها؟ قالت: أكتسي وأكسي ولدي. قلت: فهل تجدين البرد؟ قالت: نعم. قلت: فهل يدركك اللغوب والإعياء إذا مشيت؟ قالت: نعم، ألست من البشر؟ قلت: فتتوضين للصلوات؟ قالت: نعم. قلت: و لم؟

قالــت: تأمرني بذلك الفقهاء، معتق للنوم. وذُكر أن بطنها لاصق بظهرها، فأمــرتُ امرأة من نسائنا، فنظرت، فإذا بطنها كما وصفت، وإذا قد اتخذت كيســاً وشدته على بطنها كي لا ينقصف ظهرها إذا مشت. قال: ثم لم أزل أخــتلف إلى هزارسف، يعني تلميذتها، فأعيد مسألتها، وهي تتكلم بلغة أهل خــوارزم، فلا تزيد في الحديث، ولا تنقص منه. فعرضت كلامها كله على عــبد الله بن عبد الرحمن الفقيه، قال: أنا أسمع هذا الحديث منذ نشأت، فلا أرى مــن يدفعه. وأجريت ذكرها لأبي العباس أحمد بن محمد بن طلحة بن طاهر والي خوارزم في سنة ست وستين، فقال: هذا غير كائن. قلت: فالأمر ســهل، والمســافة قريبة. فأمر بها، فتُحمل إليك، وتمتحنها بنفسك. فأمرني، فكتبــت عنه إلى العامل، فأشخصها على رفق. فأخبرني أبو العباس أحمد أنه وكــل أمــه دون الناس بمراعاتها، وسألها أن تستقصي عليها، وتتفقدها في ساعات الغفلات. وأنها بقيت عند أمه نحواً من شهرين، في بيت لا تخرج منه، فلم يروها تأكل ولا تشرب. وكثر من ذلك تعجبه، وقال: لا ينكر الله قدره. وبرها وصرفها، فلم يأت عليها إلا القليل حتى ماتت، رحمها الله.
ثم ذكر الذهبي بقية القصص المتقدمة.

وقــال الذهبي رحمه الله (١٨/٢٣٣): القشيري الإمام الزاهد القدوة الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن الصوفي المفسر صاحب «الرسالة».
قال المؤيد في تاريخه (انظر المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٠): أهدي للشيخ أبي القاســم فــرس، فركبه نحواً من عشرين سنة، فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً، ومات بعد أسبوع.

الخلاصة

- التبرك بالأنبياء والصالحين ثابت في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- التبرك بآثار الأنبياء والصالحين ثابت في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- ثبت عن جماعة من الحفاظ النقاد والمحدثين الأثبات أنهم تبركوا بآثار النبي ﷺ وبالصالحين وآثارهم.
- ثبت عن الأئمة الكبار من المحدثين والفقهاء والنقاد، بأسانيد صحيحة التبرك بآثار سيدنا النبي ﷺ بعد انتقاله إلى الله تعالى.
- ثبت عنهم بأسانيد صحيحة التبرك بآثار الصالحين.
- ثبت عن الإمام أحمد، وغيره من الحفاظ الثقات النقاد الأعلام الفتوى بجواز التبرك بقبر النبي ﷺ تقرباً إلى الله تعالى.
- ثبت عن جماعة من الأئمة الأعلام من السلف والخلف جواز التبرك بقبور الصالحين من الصحابة ومن بعدهم.

ولْيُعْلَم أن إنكار هذا سنداً مكابرةٌ ما بعدها مكابرة، وإنكار هذا متناً دليلٌ على تخلف في الفهم، فإن الذي صدر منه التبرك بأنواعه المتقدمة ليس بائع بطاطا، ولا عطالاً بطالاً سائحاً في الشوارع، ولا صاحب دنيا بطيناً؛ همه الطعام والشراب، والنوم واللهو واللعب، ولا مالئاً وقته بالغيبة والنميمة، ولا متهماً العباد بشتى أنواع الغمز واللمز والنقيصة، ولا هو ممن لا سند له ولا نسب في العلم، ولا هو ممن له الشياط والعياط، ولا

هـو ممـن تزبزب قبل أن يتحصرم،...القائل بالتبرك ليس واحداً من هؤلاء الناس...وإنما القائل به بلغ من العلم مرتبة لو وزع عليه عم أهل الأرض الآن لما بلغ عشر معشار علمه؛ ومَثَلُ المعترض مَثل بعوضة تريد أن تحجب بجناحيها ضوء الشمس...فليستح على نفسه من يجعجع، ومن يتكلم ولا يدري ما يخرج من رأسه...ويزيد الطين بلة فيقول: هذا مخالف للسنة !!! فيا عجباً كل العجب، الإمام أحمد ومن قبله كثيرون، ومن بعده كثيرون، يخالفون السنة في فتواهم، ويتصرفون بخلاف السنة في حياتهم، ويُعلّمون الناس المخالفة للسنة، فيا عجباً من هذا الزمان الذي وصلنا إليه..سفلة الناس يتطاولون على أعلام الأمة الذين ثبتت ولايتهم وثبت صلاحهم وعلمهم، واتفقت الأمة على ثقتهم وعدالتهم.

بل يزداد هؤلاء المتطاولون كبراً وعجباً..فيطلقون على تصرف هؤلاء السادة المحدثين الأولياء المتقين الصالحين...عبارات التكفير والتضليل والتبديع...فالله حسيبهم..ونسأله تعالى أن يعاملهم بعدله...

وسنة الله تعالى أنه يعادي من عادى أولياءه.. ويحارب من حارب أولياءه..ثبت عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، عن رب العزة المنتقم الجبار أنه قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

رواه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢).

وفي رواية: «من عادى لي ولياً فقد آذاني».

رواه ابن حبان (٢/٥٨).

وفي رواية: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالعداوة».

رواه الطبراني في الكبير (٨/٢٢١).

وفي رواية: «من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي».

رواه أحمد (٦/٢٥٦) والطبراني في الأوسط (٩/١٣٩).

وهي روايات صحيحة.

فالـــلهم إنا نسألك حبك وحبّ نبيك، وحب أوليائك، والولاء لهم، والـــبراء ممن عاداهم، بجاه سيد العالمين، وجاه الأنبياء والمرسلين، وآل بيته الطاهرين ، وأصحابه البررة الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وصَــــلِّ يا رَبِّ وسَلِّمْ وبارِكْ على حبيبنا وإمامنا وقدوتنا وسيدنا محمد، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون..آمين آمين آمين.

خاتمة

قــد يقول قائل من القوم: هؤلاء الأئمة ليس كلامهم حجة إنما الحجة في الكتاب والسنة!!

الجواب: يا للعجب!! خفيت السنة على الإمام أحمد والإمام ابن المنكدر والحافظ عبد الغني والحافظ الضياء والحافظ ابن الجوزي والعلامة ابن أبي يعلى والحافظ ابن رجــب وهــؤلاء كــلهم من سادات الحنابلة، والحافظ الذهبي والحافظ العراقي والحــافظ الصلاح العلائي وغيرهم من أكابر الأئمة من الحفاظ والمحدثين وغيرهم ممن تقدموا؛ خفيت السنة على هؤلاء!! وظهرت ووضحت لأناس في هذا القرن الــرابع عشر الهجري! درسوا العلم على وريقات، أو على أناس قرؤوا العلم على صــحف، فنتجت هذه البلايا المخزية، والتهور العملي، فلا نسب في العلم، ولا أدب ولا فهم ولا فقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ومن يرد الله به شراً يــبعده عــن الفهم والفقه، ويصبح عرياً عن الفهم، إماماً في البلادة؛ إضافة إلى الوقــيعة بــأهل العلم وأهل الله وأوليائه، وينتج عنه أحكام وتنطعات يخجل منها أعــداء الدين، يتهم بها أئمة الإسلام، وأمناء الله في أرضه على دينه وشريعته، مَن أجمعت الأمة على عدالتهم وجلالتهم وثقتهم وأمانتهم وعلمهم وفضلهم، ممن لا يمكن أن يكونوا مبتدعين فضلاً عن أن يكونوا أئمة البدع والخرافات، والضلالات والترهات.

بــل المبتدع الضال المضل الزائغ هو الذي يرمي هؤلاء، أو يُعَرِّض بهم بأنهم مبــتدعة أو يفتون بالبدعة، أو ينقلون البدع والخرافات ويقرونها أو يسكتون عنها أو يذكرونها ولا ينقضونها!!

وأحب أن أنبه أيضاً على طنطنة يجعجع بها القوم، وهي زعمهم: (أن كُتَّاب التراجم والطبقات مثل الحافظ الناقد البصير أبي عبد الله الذهبي وابن أبي يعلى وابن رجب وابن مفلح والعليمي وابن العماد وغيرهم، ينقلون الخبر كما هو على علاته. وينقلون أحوال المترجَم مما له وعليه!! وبالتالي فلا يلزم أن يكون صاحب الكتاب معتقداً ما ينقله!!) على حد تعبير المجعجعين.

وهذا الكلام الخرافي من أعجب العجب!! وهو ظاهر البطلان، يدرك بطلانه كل من له مسكة من عقل، أو شمَّ رائحة العلم؛ فهذا الحافظ الناقد الحجة إمام الجرح والتعديل؛ أبي عبد الله الذهبي: لا يكاد ينقل قصة أو حادثة إلا وينقضها أو يعلق عليها قبولاً أو رداً أو شرحاً أو غير ذلك، ومن قرأ كتبه وبخاصة سير أعلام النبلاء وجد الكثير من تعليقاته ونقده؛ فمن ذلك قوله في السير (٦/٩٣): حكاية باطلة. وقوله في (١٠/٥١٦): فهذه حكاية باطلة. وقال في (١٥/٣٢د): هذه حكاية باطلة. وقال في (٦/٣٩٦): هذه حكاية موضوعة. وقال في (١١/٣٢١): حكاية موضوعة. وقال في (١٦/٥١٠): ونقل أبو محمد ابن حزم خرافة لا تثبت. وقال في (١٧/١٣٢): هذه الحكاية شبه خرافة.

وغير ذلك مما يطول سرده، نرى الحافظ الذهبي يحكم على أمثالها من الحكايا والقصص التي ليست لها تلك الأهمية التي للقصص والأخبار المتعلقة بالتبرك والقبور، فمن باب أولى لو كانت خرافية باطلة وهي تتعلق بالتبرك والقبور: أن يبينها الناقد الذهبي؛ بل وجدناه يعلق عليها مدافعاً مقرراً ثبوتها وصحتها كما تراه في (١١/٢١٢)، وكما تراه منقولاً عنه في كتابنا هذا.

ومما يبطل هذه الدعوى المزعومة أن الحافظ الذهبي قال كلاماً من نفسه مقرراً معتقداً لكثير من المسائل التي تجعل رؤوس المبتدعة بالرغام، فقد قرر ودافع وأثبت وحرر من الأحكام التي لا تقبل الجدل عنده مما لا يرضاه العَرِيُّ عن العلم والفهم، فانظر إن أردت الحق في سير أعلام النبلاء (٤/٤٨٣-٤٨٥)، وفي معجم شيوخه (٧٣/١)، وما نقلته عنه من التقريرات الواضحات، نصراً منه للتبرك وأصحاب البركات، ممن اصطفاهم رب الأرض والسماوات، بالعلم والصلاح والولاية والكرامات.

ونحن لسنا ممن يقدس الأئمة تقديساً يجعلهم معصومين، ولكننا بالمقابل لا نسارع بتخطئة أئمتنا، بل قبل نقدهم أو تخطئتهم نعد إلى الألف، ونلتمس لهم الأعذار والمخارج، فإنهم ملاذنا وعمدتنا، ونقلة ديننا وشرع ربنا ونبينا، وهم أهل الأمانة والمعرفة، أعرف منا بآلاف المرات بالشريعة وأدلتها، وأفقه منا للنصوص الشرعية، إضافة إلى الدين والتقوى والورع.

قال الحافظ الفقيه ابن رجب الحنبلي في كتابه النفيس «الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة» (ص : ٨١) إيَّاكَ ثمَّ إيَّاكَ أن تُحَدِّثَ نَفْسَكَ أنَّك قد اطَّلَعْتَ على ما لم يَطَّلِعْ عليه هذا الإمامُ؛ (أي الإمام أحمد) ووَصَلْتَ مِن الفَهْمِ إلى ما لم يَصِلْ إليه هذا الذي ظَهَرَ فَضْلُ فَهْمِهِ، على مَن بعده مِن أولي الأفهام.

ولْتَكُن هِمَّتُك كُلُّها مجموعةً على فَهْمِ ما أشارَ إليه؛ وتَعَلُّمِ ما أَرْشَدَ إليهِ مِن الكِتابِ والسُّنَّةِ على الوجهِ الذي سَبَقَ شَرْحُهُ.

ثم تكلم كلاماً نفيساً يلزم الاطلاع عليه، ثم قال: (ص٨٨-٨٩): واعلَم – وَفَّقَكَ اللهُ – أنَّكَ كُلَّما اشتَغلْتَ بتلك الطريقة. وسَلكْتَ السُّبُلَ المُوْصِلةَ إلى الله على الحقيقة، واستَعملتَ الخَشيةَ ونفسها المراقبةَ، ونَظرتَ في أحوالِ مَن سَلَفَ من الأئمّة، بإدمان النّظرِ في أحوالهم بحُسن العاقبة: ازدَدْتَ باللهِ وبأمرِه عِلْماً، وازددتَ لنَفْسك احتقاراً وهضْماً، وكان لك مِن نَفْسكَ شُغْلٌ شاغِلٌ عن أنْ تَتَفَرَّغَ لمخالفة المسلمين.

ولا تَكُنْ حَاكماً على جَميع فِرَقِ المؤمنين، كأنّكَ قد أُوتيتَ عِلْماً لم يُؤْتَوْهُ، أو وَصَلْتَ إلى مَقامٍ لم يَصِلُوهُ؛ فَرَحِمَ اللهُ مَن أساءَ الظَّنَّ بنَفْسه عِلْماً وعَمَلاً وحالاً، وأحْسَنَ الظَّنَّ بمَن سَلَفَ، وعَرَفَ مِن نَفْسه نَقْصاً، ومِن السَّلَف كَمَالاً، ولم يَهْجُمْ على أَئِمّة الدِّينِ، ولا سِيَّما مِثلُ الإمامِ أحمدَ، وخُصوصاً إنْ كان إليه مِن المنتسبين.

وإنْ أنتَ أَبَيتَ النّصيحةَ، وسَلكْتَ طريقةَ الجدالِ والخصامِ، وارتكبتَ ما نُهيتَ عنه مِن التشدُّقِ والتَّفَيهُقِ وشَقْشَقَةِ الكلامِ، وصارَ شُغْلُكَ الرَّدَّ على أئمَّة المسلمينَ، والتّفتيشَ عن عُيوبِ أئمّة الدِّين: فإنّك لا تَزدادُ لنَفْسكَ إلا عُجْبَاً، ولا لطَلَبِ العُلُوِّ في الأرضِ إلا حُبّاً، ومِن الحقِّ إلا بُعداً، وعن الباطلِ إلا قُرْباً، وحينئذ فتقولُ: ولِمَ لا أقولُ، وأنا أَوْلَى مِن غيرِي بالقولِ والاختيارِ؟ ومَن أعلَمُ مِنّي ؟! ومَن أفْقَهُ مِنّي ؟!! كما وَرَدَ في الحديث. هذا يَقُولُه مِن هذه الأُمّة مَن هو وَقودُ النّارِ أعاذَنا اللهُ وإياكم مِن هذه الفضائحِ، ووَفَّقَنا وإياكم لِقَبولِ النصائحِ بمَنِّه وكَرَمِه، إنّه أرحمُ الراحمينَ، وأكرَمُ الأكرَمينَ.

وقـــال ابن رجب رحمه الله أيضاً في كتابه الرائع «بيان فضل علم السلف على الخلف» (ص٦٥): وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنـــه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله، ومنهم من يقول: هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين..

ثم قـــال: وهذا تَنَقُّصٌ عظيم بالسلف الصالح، وإساءة ظن بهم، ونسبة لهم إلى الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قـــال: ومن علامة العلم النافع أن صاحبه لا يدّعي العلم ولا يفخر به عـــلى أحد، ولا ينسب غيره إلى الجهل، إلا من خالف السنة وأهلها، فإنه يتكلم فيه غضباً لله لا غضباً لنفسه، ولا قصداً لرفعتها على أحد.

وأمـــا مـــن علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس، وإظهـــار فضل علمه عليهم، ونسبتهم إلى الجهل، وتنقصهم ليرتفع بذلك علـــيهم، وهـــذا من أقبح الخصال وأردئها، وربما نسب من كان قبله من العـــلماء إلى الجهـــل والغفلـــة والسهو!!! فيوجب له حب نفسه وحب ظهورها: إحسان ظنه بها وإساءة ظنه بمن سلف.

وأهـــل العلم النافع على ضد هذا يسيؤون الظن بأنفسهم ويحسنون الظن بمن سلف من العلماء، ويقرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم، ويعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها.

ثم قال: ومن علمه غير نافع إذا رأى لنفسه فضلاً على من تقدمه في المقال وتشقق الكلام ظن لنفسه عليهم فضلاً في العلوم أو الدرجة عند الله تعالى، لفضل خص به عمن سبقه!! فاحتقر من تقدمه، واجترأ عليه بقلة العلم!!

وقال ابن رجب أيضاً (ص٦٩): وفي زماننا يتعين كتابةُ كلام أئمة السلف المقتدَى بهم ، إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عُبيد، وليكن الإنسان على حذرٍ مما حدَثَ بعدهم، فإنه حدَثَ بعدهم حوادثُ كثيرة، وحَدَثَ من انتسب إلى متابعة السنَّة والحديث من الظاهرية ونحوهم، وهو أشد مخالفة لها، لشذوذه عن الأئمة، وانفراده عنهم بفهم يفهمه، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله. انتهى.

فلسنا بحمد الله من المتعصبين لآراء العلماء، ولكننا لسنا ممن يسارعون في تخطئتهم والتهجم عليهم بلا علم ولا تحقيق، بمجرد وقوفنا على رأي آخر قابلٍ للجدل والأخذ والرد، فكلام أئمتنا أولى بالأخذ من كلام غيرهم العاري عن الدليل المعتبر ممن تَقَدَّمَ أو تأخر؛ ولم يبلغ هذا المتأخر من العلم عشر معشار علمهم، بل لو قارنا هؤلاء القوم أجمعين أكتعين أبتعين، لم يصلوا إلى أقل من عشر المعشار، فعلماؤنا أصحاب معرفة واطلاع واسع عجز التاريخ أن يأتيَ بمثلهم، وهيهات أن يلد الزمان مثلهم.

قال الإمام الفقيه التابعي مجاهد بن جبر رحمه الله (ت ١٠١): ذهب العلماء، فلم يبق إلا المتعلمون، وما المجتهد فيكم اليوم، إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم.

تاريخ ابن أبي خيثمة (كما في صفحات من صبر العلماء ص ٣٨٠)

وقـــال الإمام الجليل عبد الله بن المبارك رحمه الله (ت ١٢٠) يخاطب أهل عصـــره الـــذي كـــان يعج بالعلماء، قال ابن المبارك: زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصر، وعالمكم جاهل، وجاهلكم مغتر.

الزهد لابن المبارك (ص٦٠).

قال العلامة الإمام أبو عمرو ابن العلاء رحمه الله (ت ١٥٤): ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال.

كما في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١٣/١).

قال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله: فإذا كان هذا قول هؤلاء الأئمة الأجلة أركان العلم والدين، وشيوخ المعرفة بعلوم المسلمين، من نحو ألف وثلاث مائة عام، فماذا يقول أمثالنا اليوم بالنظر لحالنا وحالهم وحال ســـلفهم الأوَّل؛ الذين قالوا في علمهم وفضلهم ما قالوا؟! فسترك اللهم وعفوك، وحفظك من الدعاوي العريضة المريضة التي عليها بعض الناس في عصرنا أوائل القرن الخامس عشر!!

صفحات من صبر العلماء (ص٣٨١).

قـــال العلامة الإمام النظار جلال الدين الدَّوَّاني رحمه الله (ت ٩١٨): لو علم العلماء الأسلاف، أنه يخلف بعدهم نظراؤنا من الأجلاف، لأوصوا أن تُدفن كتبهم معهم في قبورهم، بل لم يُظهروا قط ما في صدورهم.

روض الأخبار للأماسي (ص٩١).

وصَلِّ يا رَبِّ وسَلِّمْ وبارِكْ على نبينا وحبيبنا وإمامنا وقدوتنا وسيدنا محمد، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، آمين آمين.

المحتوى